



جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة ماجستير بعنوان

تجليات المصامين التراثية في شعر لسان الدين بن الخطيب

Expressions of Traditional Culture in the Poetry of
Lisan al- dîn Bin al- Khatîb

إعداد الطالب

كامل شهاب محمد الجبوري

الرقم الجامعي (١٣٢٠٣٠١٠٣٢)

إشراف الدكتورة

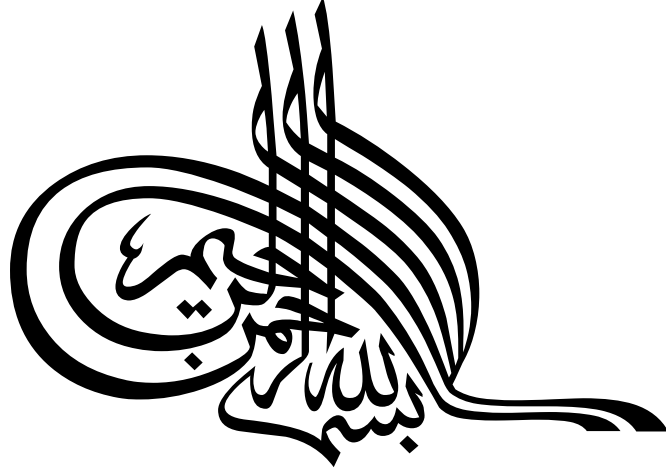
بشينة سلمان القضاة

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة

العربية وآدابها من جامعة آل البيت – كلية الآداب

للعام الدراسي

٢٠١٥ – ٢٠١٦ م



﴿ رَبِّ أُوذِرْ عَنِّي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى

وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ ﴿

(النمل: ١٩)

التفويض

أنا الطالب: كامل شهاب محمد الجبوري ، أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ
من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب
التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع :

التاريخ : / /م

الإقرار

أنا الطالب : كامل شهاب محمد الجبوري الرقم الجامعي : ١٣٢٠٣٠١٠٣٢

التخصص : اللغة العربية وآدابها كلية : الآداب والعلوم الإنسانية

أقرُّ بأنني قد التزمتُ بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول والمتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه، حيث قمت شخصياً بإعداد رسالتي الموسومة بـ:

" تجليات المضامين التراثية في شعر لسان الدين بن الخطيب "

بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية، كما أنني أعلم بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستله من رسائل أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم، فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة إذا تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها، وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها، دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب : التاريخ : / / ٢٠١٥

قرار لجنة المناقشة

تجليات المضامين التراثية في شعر لسان الدين بن الخطيب

Expressions of Traditional Culture in the Poetry of Lisan al- dîn Bin al- Khatîb

إعداد الطالب




كامل شهاب محمد الجبوري

الرقم الجامعي

(١٣٢٠٣٠١٠٣٢)

إشراف الدكتورة

بثينة سلمان محمد القضاة

التوقيع	أعضاء لجنة المناقشة
	د. بثينة سلمان محمد القضاة (مشرفاً ورئيساً)
	د. عبد الرحمن محمد الهويدي (عضواً)
	د. حسين أحمد كتانة (عضواً)
	د. صلاح جرار (عضواً خارجياً)

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها. نوقشت وأوصي بإجازتها يوم الأحد الموافق / ٢٧ / ١٢ / ٢٠١٥ م.

الإهداء

إلى من أروضعتني الحب والحنان ... إلى رمز الحب وبلسم الشفاء..+ إلى القلب الناصع
البياض ... إلى من أمرني الله جل في علاه أن أرفق بها، فاقترن رضاه برضاها ... أمي
الحبيبة... حفظها الله ورعاها.

إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب ... إلى من كلت أنامله ليقدّم لنا لحظة سعادة
... إلى من كلله الله بالهيبه والوقار وأحمل اسمه بكل افتخار ... أبي العزيز (رحمه الله).

إلى النجم الذي أفل من سماء حياتي، وتجلت في غيابه كل معاني الحزن ... إلى من لم
تنصفه دموعي وهي دامية ولا قلبي وهو يحترق ... إلى من رحل إلى جوار ربه داعياً الله أن
يتغمده بواسع رحمته ... أخي الغالي ثامر.

إلى عزوتي وسندي وقت الشدائد ... إلى الشموع التي تربيت معهم ... إلى شجرة الأمل
التي تفيأت بظلالها... إخواني وأخواتي، ويبقى الدعاء لكم في ظهر الغيب.

إلى الشمس التي تضيء حياتي ... والقمر الذي ينير طريقي ... وشمعتي التي تنور دربي ...
زوجتي الغالية... لك مني كل الحب والتقدير.

إلى رياحين عمري وقرّة عيني... أولادي ... حفظهم الله ورعاهم.

إلى من جالسوني وكانوا لي خير أصحاب ... أصدقائي ... لهم مني كل التقدير والاحترام.

أهدي لكم جميعاً ثمرة هذا الحمد المتواضع

الباحث

الشكر والعرفان

الحمد لله حتى يرضى والحمد لله إذا رضي والحمد لله بعد الرضى، حمداً طيباً طاهراً كثيراً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على حامل اللواء المعقود، والمقام المحمود، والحوض المورود، والصراط الممدود، رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين ... وبعد...

فأتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والعرفان وأجلها وأنقائها إلى المملكة الأردنية الهاشمية حكومة وشعباً على حسن ضيافتها وطيب أهلها .

ويسعدني أن أتقدم بالشكر الممزوج بوافر احترامي وتقديري إلى أستاذتي ومشرفتي الفاضلة الدكتورة بثينة سلمان القضاة التي أشرفت على رسالتي، وطوعت وقتها وجهدها؛ لمساعدتي وتوجيهي، فأعطتني من غزير علمها، وواسع معرفتها واطلاعها، وجعلتني أتجاوز الكثير من الصعاب، داعياً الله عز وجل أن ينير دربها ويسدد خطاها وينعم عليها بدوام الصحة والعافية، فجزاها الله في الدنيا سروراً وفي الفردوس يمنحها خلوداً.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكبير، إلى جميع أستاذتي الأفاضل في قسم اللغة العربية، جامعة آل البيت، أخص منهم الأستاذ الدكتور أمين عودة فقد كان لي مرشداً وعونا طيلة فترة البحث، فجزاه الله خيراً، كما أتقدم بشكري إلى أعضاء لجنة المناقشة، مقدراً لهم وقوفهم معي وتحملهم عناء القراءة والحضور، وتفضلهم بمناقشة هذه الرسالة، ولما كتبته أقلامهم الصادقة، فجزاهم الله خير الجزاء وأدامهم لخدمة العلم وأهله.

وأخيراً أوجه شكري وتقديري إلى كل من ساندني ولو بكلمة تشجيع لإتمام هذه الرسالة، وشكري وتقديري إلى أصدقائي وزملائي، وأعتذر عن من نسيه القلم سهواً، وختاماً رجائي ودعائي إلى الله أن أكون قد وفقت في عملي هذا .

والله ولي التوفيق :

الباحث

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
ب	الآية القرآنية
ج	التفويض
د	قرار الالتزام
هـ	أعضاء لجنة المناقشة
و	الإهداء
ز	الشكر والعرفان
ح	قائمة المحتويات
ي	الملخص باللغة العربية
١	المقدمة
٤	التمهيد: حياة لسان الدين بن الخطيب وأثاره
١٤	الفصل الأول: المضامين الدينية
١٥	أولاً: أثر القرآن الكريم
٣١	ثانياً: أثر القصة الدينية
٤٠	ثالثاً: أثر الأحاديث النبوية الشريفة

٤٧	الفصل الثاني: المضامين التاريخية والثقافية
٤٨	المبحث الأول: أولاً: استدعاء القبائل
٥٣	ثانياً: استدعاء المكان
٥٨	المبحث الثاني: أولاً: استدعاء الشخصيات التاريخية
٦٨	ثانياً: استدعاء الوقائع والأحداث التاريخية
٧٢	المبحث الثالث: أولاً: استدعاء المقولات الأدبية
٨٠	ثانياً: استدعاء عرائس الشعر
٨٢	الفصل الثالث: المضامين الاجتماعية
٨٣	أولاً: استدعاء العادات والتقاليد الاجتماعية
٩٧	ثانياً: استدعاء المعتقدات الأسطورية
١٠٣	ثالثاً: استدعاء الأمثال
	الفصل الرابع: الرؤية الفنية
١١٠	المبحث الأول: أساليب التصوير الفني
١٢٢	المبحث الثاني: الموسيقى الشعرية
١٣١	الخاتمة
١٣٤	المصادر والمراجع
١٤٥	الملخص باللغة الإنجليزية

ملخص

تجليات المضامين التراثية في شعر لسان الدين بن الخطيب

إعداد الطالب: كامل شهاب محمد الجبوري

إشراف الدكتورة: بثينة القضاة

تناولت هذه الدراسة موضوع تجليات المضامين التراثية، وحاولت فيها تفصيً ما للتُّراث من آثار في شعر لسان الدين بن الخطيب والتعرف على المضامين من خلال تحديد العلاقة بين المؤثر والمتأثر، والكشف عن الكيفية التي تمت بها معالجة هذه المضامين التي أفاد منها الشاعر، حيث تبين أن المصدر الديني القرآن الكريم والقصص الدينية والأحاديث النبوية الشريفة هي المصدر الرئيسي لتراث الشاعر، وقد ظهر الاقتباس الأدبي بشكلٍ واضح في ديوانه، وهذا دليل واضح على ثقافة الشاعر وسعة اطلاعه على نتاج الآخرين.

قسمت هذه الدراسة على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة، تناول الباحث في التمهيد سيرة حياة الشاعر، وأثاره.

واحتوى الفصل الأول على المضامين الدينية، واختص بالاقتباس من القرآن الكريم والقصص القرآنية وكيف تعامل معها الشاعر، ثم الحديث النبوي الشريف معتمداً على تقنية الاقتباس.

أما الفصل الثاني فقد تناولت الدراسة المضامين التاريخية في ثلاثة مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى استدعاء القبائل والمكان التاريخي، واختص المبحث الثاني باستدعاء الشخصيات والوقائع والأحداث التاريخية، أما المبحث الثالث فدرسنا فيه استدعاء المقولات الأدبية وعرائس الشعر.

واشتمل الفصل الثالث على المضامين الاجتماعية وفيه ثلاثة مباحث، الأول اختص بالعبادات والتقاليد الاجتماعية الإيجابية منها والسلبية، أما الثاني فقد درسنا فيه الأساطير التي استدعاها ابن الخطيب من التراث، واختص المبحث الثالث بالأمثال مستلهم الشاعر منها الحكمة ومقارنة حالة مشابهة الحال.

ثم انتقلت إلى الفصل الرابع الذي اختص بدراسة الرؤية الفنية في مبحثين: الأول أساليب التصوير الفني ومنها التشبيه والجناس والتورية والتضاد، والثاني الإيقاع الموسيقي الداخلي والخارجي.

وتأتي الخاتمة في نهاية الدراسة لتلخيص رؤية الباحث حول ما تمت دراسته، وذلك من خلال عرضه للنتائج التي توصل إليها.

المقدمة

إن فكرة المضامين التراثية المُستدخلة في الشعر، تشكّل نمطاً من أنماط التفاعل الإبداعي بين النصوص - سواء أكانت هذه المضامين التراثية مكتوبة أم محكية أم معيشة - وعلى نحو يجعلها تتجاوز في النص الشعري الجديد، وتتفعل باللحظة الراهنة، فتمنح النصّ روحاً جديدة مفعمة بعبر الماضي وحِكْمِه ورؤاه. ويشكّل توظيف المضامين التراثية في الشعر - عموماً - عند الشعراء، جانباً من جوانب رؤية الشاعر وموقفه من التراث واللحظة الراهنة؛ لأن التوظيف قائم - أساساً - على الاصطفاء. والاصطفاء عنصر مهمٌّ من عناصر تشكيل رؤية الشاعر وموقفه.

ولا شكّ في أن الموروث المنتقى يدلُّ على جانب من جوانب المخزون المعرفي لدى الشاعر وثقافته من جهة، وعلى قدرته الإبداعية في توظيفهما الاستفادة منهما في بناء مضامينه الشعرية، واستبصار الواقع وصلته بالماضي من جهة أخرى .

وتتنوّع المضامين التراثية بتنوّع أشكالها ورموزها الدالّة عليها، فثمة مضامين يوظفها النصّ الشعري عبر استدعاء شخصيات معينة: دينية، أو تاريخية، أو قبليّة، أو أدبية، استدعاءً مباشراً أو غير مباشر. وثمة مضامين تراثية أخرى تتمثّل في استدعاء وقائع تاريخية، أو قصص دينية، أو معتقدات أسطورية، أو عاداتٍ وتقاليّد اجتماعية، أو مقولات أدبية ولغوية ونحوية، أو مقولات في الأمثال والأقوال السائرة، وسوى ذلك مما ينتمي إلى التراث العربي والإسلامي بخاصة، والعالمية بعامة.

ولعل أهمية هذا الموضوع تكمن في كونه يقف على قصائد شخصية أدبية رفيعة الشأن، واسعة الثقافة والمعرفة بالتراث، والتاريخ، والطب، والجغرافيا، والرحلات، والفقه، والتصوّف، وعلم النبات، وسوى ذلك. وهي في الوقت ذاته شخصية سياسية بارعة في تدبير شؤون الدولة أيام حكم بني نصر في مملكة غرناطة. ولا شكّ في أن الثراء المعرفي الواسع لشخصية لسان الدين ابن الخطيب، سيترك أثراً واضحاً في قصائد ديوانه، وسيشكل ملمحاً مهمّاً من ملامح مضامينه الشعرية، وأساليبه الإبداعية.

ديوان لسان الدين بن الخطيب ديوان كبير، ويتكوّن من جزأين، فيه قصائد وموشحات. والكثرة الكثيرة للقصائد؛ ولذلك ستكتفي الدراسة بالوقوف على القصائد حسب الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة دون الموشحات. وسوف تشتمل الرسالة على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة وقائمة مصادر ومراجع، يمكن إيجازها على النحو الآتي:

التمهيد: وينطوي على التعريف بشخصية لسان الدين بن الخطيب وآثاره.

وسيعنى الفصل الأول بالحديث عن مضامين التراث الدينية ويشمل ثلاثة مباحث؛ الأول اختص بأثر القرآن الكريم معتمداً تقنية الاقتباس النصي والإشاري والتحويري، وعني المبحث الثاني بأثر القصة الدينية وكيف تعامل معها الشاعر ووظفها في أشعاره، واختص المبحث الثالث، بالاقتباس من الحديث الشريف الذي جاء على الأغلب إشارياً.

وخصص الفصل الثاني للمضامين التراثية التاريخية ويضمن ثلاثة مباحث، كان الأول استدعاء القبائل والأماكن التاريخية، أما المبحث الثاني خص باستدعاء الشخصيات التاريخية والوقائع التاريخية المتمثلة بالمعارك والحروب والأيام، وجاء المبحث الثالث لبحث استدعاء المقولات الأدبية المتمثلة بأصحابها والتي لا يقل دورها عن الشخصيات التاريخية؛ لأنها ثبتت دعائم الشعر وآدابه لاسيما إذا عُلِمَ أن العرب كانت تفتخر بظهور شاعر في قبيلتها؛ لأنه يمثل لسانها الذي يكون شعره أمضى من وقع السيوف، واستدعاء عرائس الشعر.

سلط الفصل الثالث الضوء على المضامين التراثية الاجتماعية والثقافية، تطرق المبحث الأول إلى العادات والتقاليد الاجتماعية وأثرها في تفكير الإنسان العربي، أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان الأساطير والمعتقدات الاجتماعية، وهي تمثل تراثاً إنسانياً كان له حضور في فكر لسان الدين بن الخطيب أوردها في شعره من خلال عرضه لبعض المعتقدات كأساطير الكواكب مثل المريخ والمشتري، وأساطير الطيور كطائر العنقاء والغراب. وخصص المبحث الثالث للأمثال التي يوردها الشاعر لربط الحوادث بالقرائن المشابهة لتكون أكثر تدليلاً بما تحمله من رموز تراثية وتاريخية وقصص ذات تأثير في المتلقي نفسه.

وأما الفصل الرابع والأخير الذي جاء تحت عنوان الدراسة الفنية وفيه مبحثان؛ اختص الأول بأساليب التصوير الفني وأهميتها ودورها في خلق الصور الشعرية ثم عرض أبرز مكونات تشكيلها عند ابن الخطيب، أما المبحث الثاني فدرس الإيقاع الموسيقي وعناصره كالإيقاع الخارجي من حيث الأوزان التي سار عليها الشعراء العرب لانسجامها مع نمط حياتهم وأغراضهم الشعرية في مدح وغزل وفخر ورثاء. أما الموسيقى الداخلية فجاءت على عدة مستويات هي تكرار الحروف والألفاظ فضلاً عن التصريع .

وتضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

واعتمدت الرسالة على عدد من المصادر الأساسية الأدبية والتاريخية، ولعل أهمها ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني الذي حققه وقدم له الدكتور محمد مفتاح والذي يتكون من مجلدين، فضلا عن كتب التفسير والسنن النبوية وكتب أدبية وتاريخية: منها كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) والإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (ت ١٠٤١هـ)، وكتب في الأساطير والأمثال منها كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري (ت ٨٠٨هـ) ومجمع الأمثال للميداني (ت ٥١٨هـ)، وكتب بلاغية منها أسرار البلاغة للجرجاني (ت ٤٧١هـ) والإيضاح في علوم البلاغة للقرويني (ت ٧٣٩هـ).

أما الدراسات الحديثة فقد أفاد البحث من كتاب "المضامين التراثية في شعر المرابطين والموحدين" للدكتور جمعة حسين يوسف الجبوري، و"المضامين التراثية في شعر أبي العلاء المعري" للدكتورة أسما صابر جاسم التكريتي، و"المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في القرن الرابع الهجري" (رسالة ماجستير)، فائزة رضا شاهين العزاوي، و"بنية القصيدة الشعرية عند لسان الدين بن الخطيب"، (أطروحة ماجستير)، طلال علي ديوب .

وبذلت في هذه الدراسة ما استطعت من جهد، وحاولت تغطية الجوانب كافة المتعلقة بتجليات المضامين التراثية في شعر لسان الدين بن الخطيب، معتمداً على ما تركه مؤرخو تلك الحقبة، وإن كنت قد وفقت لذلك بتوفيق من الله عز وجل، وإن كنت قد قصرت فحسبي أني بذلت ما في وسعي، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا . والحمد لله رب العالمين.

وفي النهاية أضع هذا الجهد أمام أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل الذين سيكون لملاحظاتهم وآرائهم الأثر الكبير في تقويم هفوات الرسالة وتصويبها.

التمهيد

حياة لسان الدين بن الخطيب وآثاره :

وهو لسان الدين أبو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن يوسف بن علي بن أحمد السلماني، ولد بمدينة لوثة^(١)، في ٢٥ رجب ٧١٣هـ ١٦ تشرين الثاني ١٣١٣م^(٢)، والسلماني نسبة إلى سلمان، وهو حي من مراد من عرب اليمن القحطانية. وإن الألقاب المسندة إلى لفظة الدين كانت ذائعة في عصر ابن الخطيب، وخاصة في المشرق، وبهذا فإن لقب لسان الدين لقب مشرقى. ولقب أيضا بذي الوزارتين؛ لأنه جمع بين الكتابة والوزارة، أي جمع بين السيف والقلم، ويقال له (ذو العمرين) لاشتغاله بالتصنيف في ليله، وتبدير المملكة في نهاره^(٣) "وللسان الدين بن الخطيب منزلة خطيرة في عصره، وأثر بعيد في جوانبه السياسية، والفكرية، والتاريخية. وله تصانيف شعرية وأدبية، وآثار أخرى متعددة الاختصاصات، شكّلت معينا خصبا للبحوث والدراسات"^(٤).

(١) لوثة: وهي المدينة التي اشتهرت في التاريخ بإنجاب ابن الخطيب هي إقليم غني بمعدن الفضة، ويشتمل على العديد من الحصون والقرى في القديم، وهي تقع على نهر سنجل (نهر في غرناطة) وتبعد عن غرناطة بمسافة خمسة وخمسين كيلو متر. الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (٥٧٤ - ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج ٥ ص ٢٦. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله بن سعد بن أحمد السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٣٤٣، ابن الخطيب، لسان الدين، اللحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهرسه، محبّ الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ، ج ١، ص ٢٨.

(٢) بهجت، منجد مصطفى، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢٠هـ - ٨٩٧هـ)، ط ٢، دار ياقوت، عمان، ٢٠٠١م، ص ٦٠. وينظر: ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، ط ٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٤١٧-٤٢٢.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص ٣١٢. وينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ٦، ص ٢٣٥. وينظر: عنان، محمد عبدالله، لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٦-١٧.

(٤) إسماعيل، فاروق، مفهوم الشعر وبواعثه في ديوان لسان الدين بن الخطيب، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ٢٣، العدد الثاني، سوريا، ٢٠٠٧م، ص ٥٢.

قامت مملكة غرناطة^(١) بعد تفكك دولة الموحيدين^(٢)، وانهيار سلطانهم السياسي والعسكري، وفي هذه المدة الحرجة للأمة الإسلامية في الأندلس نهض محمد بن يوسف بن أحمد بن خميس النصرى المعروف بابن الأحمر^(٣) واستلم السلطة، الذين يرجع نسبه إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج^(٤).

شهدت هذه الفترة صراعا محتدما بين المسلمين وأعدائهم من الإسبان، وهذا الصراع لم يمنع أهل الأندلس من الإصرار على البقاء والوقوف والعطاء، على الرغم من أن هذا العطاء أخذت تبدو عليه ملامح التعب، وحل الاتباع محل الإبداع، وكان الشعر الأندلسي خلال العصر الغرناطي يُقاوم لأجل البقاء، مثله في ذلك مثل غيره من فروع الثقافة الإسلامية في الأندلس، لكن كل هذا لم يحل دون ظهور أعلام كبار، من أمثال لسان الدين بن الخطيب، الشاعر والأديب والمتصوف والطبيب^(٥).

واتسمت جغرافية غرناطة بكثرة الأشجار والأنهار وأراضيها الخصيبة، وكانت تضم عددا كبيرا من القرى العامرة التي كان يسكنها الألو، وتتخللها الأنهار والميادين الفسيحة، وكانت مدينة الحمراء أروع ما في غرناطة، وغرناطة هذه هي التي نشأ فيها ابن الخطيب وبلغ فيها ذروة الجاه والسلطان^(٦).

(١) يقال غرناطة أو أغرناطة وهي اسم أعجمي، والصواب أغرناطة بالهمزة ومعناه الرمان، وكان يطلق عليها اسم (دمشق الأندلس)، وسميت بذلك تشبيهاً بدمشق في غزارة الأنهار وكثرة الأشجار. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٩٥. وينظر: الطوخي، أحمد محمد، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، ١٩٩٧م، ص٤٨.

(٢) دولة الموحيدين: قامت هذه الدولة بين سنتي (٥٣٩هـ - ٦٢٠هـ) في بلاد الأندلس والمغرب وإفريقية وتونس، وأول من لقب بأمر المؤمنين فيها يوسف بن عبد المؤمن الكومي الصلابي، علي محمد، دولة الموحيدين، دار البيارق، عمان، ١٩٩٨م، ص١٤٣.

(٣) محمد بن يوسف بن محمد (٥٩٥ - ٦٧١هـ) من آل نصر ابن الأحمر الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الله، أمير المسلمين، الملقب بالغالل بالله، ويقال له محمد الشيخ: ولد بأرجون، وهو مؤسس دولة بني الأحمر في الأندلس، وتعرف بالدولة النصرية. الزركلي، الأعلام، ج٧، ص١٥١.

(٤) عنان، لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، ص١٢.

(٥) القرشي، سليمان، مفهوم الشعر عند لسان الدين بن الخطيب، مجلة أفق الثقافة والتراث، السنة الثامنة، العدد الثاني والثلاثون، مطبعة دبي، الإمارات المتحدة، ٢٠٠١م، ص٦٠.

(٦) عنان، لسان الدين بن الخطيب حياته، ص١٦-١٧.

كان ابن الخطيب مصاباً بداء الأرق، وقد ألف مؤلفاته العديدة، عندما كان يأوي الناس إلى مضاجعهم، وقد ذكر ابن الخطيب في مواضع عديدة هذا الداء الذي لازمه، وقال في كتابه (الوصول إلى حفظ الصحة في الفصول) العجب مني مع تألّفي لهذا الكتاب الذي لم يؤلف مثله في الطب ومع ذلك لا أقدر على الأرق الذي بي، وقد لقبه البعض بعد وفاته بذي الميتين^(٧)، وحدثت تلك الفاجعة التي أنهت حياته وهو مسجون بفاس^(٨)، فقد قتل خنقاً ليلياً ودفن، ثم نبش قبره وألقى بجثمانه في النار، ثم أعيد من جديد إلى قبره، وإليه يرجع اللقب (ذي الميتين) حيث دفن مرتين^(٩).

قال المقري "سمعت بالمغرب بعض الرؤساء يقول: لسان الدين ذو الوزارتين وذو العمرين، وذو الميتين، وذو القبرين"^(١٠).

أما أسرة ابن الخطيب فتنتمي أصلاً إلى حي مراد من عرب اليمن، ثم هاجرت إلى الشام ثم جاءت إلى الأندلس عقب الفتح، واستوطنت "قرطبة" وخرج منها جراء ظلم الحكم بن هشام الأموي^(١١)، أمير الأندلس، وذلك عام (٢٠٢هـ)، فغادرت الأسرة المدينة، واتخذوا (طليطلة)^(١٢)

(١) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العسكري الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، ج ٦، ص ٢٤٦. وينظر: عيد، يوسف، دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والإعلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ٢٠٠٦م، ص ٥٥٨.

(٢) مدينة كبيرة على برّ المغرب، وليس في المغرب مدينة يتخللها الماء غيرها إلا غرناطة بالأندلس، يشقها نهر يسمى الماء المفروش إذا تجاوز القلعة أدار رحى هناك. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٣٠. وينظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص ١٠٢.

(٣) ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني. الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣، ص ١١. ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، دراسة وتحقيق: محمد الشريف قاهر، منشورات الشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٧٣م، ص ٥٤.

(٤) المقري، أحمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٥، ص ٨٠.

(٥) الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، الأموي (١٥٤ - ٢٠٦هـ)، أبو العاص: من ملوك بني أمية بالأندلس كان يباشر الأمور بنفسه، شديداً، جباراً، ضابطاً لأمر مملكته، يقظاً، يلقب بالربضي لإيقاعه بأهل الربض (وهي محلة متصلة بقصره) نمي إليه أنهم يدبرون مكيدة للإيقاع به فقتلهم وهدم ديارهم. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٢، ج ٢، ص ١٣٠. الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٢٦٧.

مسكناً واستقرت بهذه المدينة ما يزيد عن مئتي عام، ومن ثم تركتها قاصدة جنوبي الأندلس ونزلت مدينة لوشة التي أصبحت فيما بعد مسقط رأس ابن الخطيب، وكان أول من استقر في هذه المدينة هو سعيد الجد الأعلى لابن الخطيب وعمل فيها قاضياً وخطيباً، وكان على درجة كبيرة من العلم والصلاح، ونال والد ابن الخطيب عبدالله بن سعيد رتبة الوزارة، وبقي في هذا المنصب إلى أن قتل مع ولده الأكبر أخي لسان الدين، في موقعة طريف^(٧)، وكان عبدالله هذا من رجال العلم بالأدب والطب ويقول الشعر، قال: ابن الخطيب تكلمت يوماً بين يديه في مسائل من الطب، وأنشدته أبياتاً من شعري، وقرأت عليه رقاعاً من إنشائي^(٨) فتلهلهم وما برح أن ارتجل قائلاً^(٩):

الطَّبُّ وَالشَّعْرُ وَالكَتَابَةُ سَمَاتُنَا فِي بَنِي النَّجَابَةِ
هُنَّ ثَلَاثٌ مُبَلَّغَاتٌ مَرَاتِبًا بَعْضُهَا الْحِجَابَةُ

ويعد ابن الخطيب من كبار شعراء الأندلس، كما يحسب من الكتاب والأدباء، وقد طرق في شعره جميع الأغراض المعروفة، وله كثير من القصائد في التوسل والشكوى إلى الله ثم رسوله، والصبغة الغالبة على شعره هي صبغة العلماء والفقهاء الذين يميلون إلى ذكر الحقائق صريحة جافة، فليس ابن الخطيب ممن يعتمدون في شعرهم على الخيال والافتتان في القول، ومع هذا فله أحياناً شعر رقيق في الغزل والوصف الغالب عليه مسحة الصناعة^(٩)، ويعد تقلده الوزارة من أهم التحولات في حياته إذ أصبح وزيراً وأثر ذلك في أشعاره وكثرة شعره من حيث الكم والكيف ولاسيما تقلده مناصب عدة بعد ذلك في الدولة النصرانية، ومدح ابن الخطيب سلاطين غرناطة وسلاطين المغرب من بني مرين وبني زيان، كما مدح عدداً من الوزراء والأمراء وأصحاب النفوذ؛ وذلك لينال رضاهم من جانب وليجد ملجأً آمناً من جانب آخر^(١٠).

(١) طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، وهي غربي ثغر الروم، وهي على شاطئ نهر تاجه، وعليه القنطرة التي يعجز الواصف عن وصفها، وقد ذكر قوم أنها مدينة دقيانوس صاحب أهل الكهف. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٠.

(٢) موقعة طريف في (٧) جمادي الأولى عام (٧٤١هـ)، ٢٠ تشرين الأول (١٣٤١م) انهزم المسلمون وضعفت شوكتهم أمام النصارى. لم يشهد المسلمون مثلها واقعة منذ واقعة العقاب، قتل فيها عدد من العلماء منهم المفسر الكبير محمد بن الجزري، وأخ ووالد لسان الدين بن الخطيب. الصلابي، دولة الموحدين، ص٢٦٢.

(٣) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٥، ص١٦. وينظر: فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ط٢، دار الملايين، بيروت، ١٩٩٤م، ص٥٥.

(٤). ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٢٩٧.

(٥) عيد، دفاتر أندلسية، ص٥٥٩.

(٦) ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني، صنعه وحققه: محمد مفتاح، الدار البيضاء ودار الثقافة، ١٩٨٩م، ج١، ص٣١-٣٢. وسيذكر فيما بعد باسم ديوان ابن الخطيب.

أما شاعريته وأسلوبه فقد جمع بين مَلَكتي الشعر والنثر، وأشاد به بعض الكتاب والعلماء حيث يقول عنه ابن خلدون ونبغ في الشعر والترسل إذ لا يُجارى فيهما^(٧)، وأصبح شاعر الأندلس والمغرب في عصره، وقال عنه أبو الوليد بن الأحرر: "هو شاعر الدنيا" كما أشاد به المستشرق سيمونت: إنه أمير الأدب الغرناطي، وإن شهرته وصلت بلاط قشتالة^(٨).

وهو من أشهر أعلام القرن الثامن الهجري ومن أعظم كتاب عصره وشعرائه، وذلك لمنزلته السياسية وتنوع شخصيته العلمية ووزارة إنتاجه على مستوى العلوم الإنسانية والتطبيقية، فهو شاعر بارز وناثر ممتاز وله كتب علمية، وكان لأستاذة ابن الخطيب اليد العليا فيما وصل إليه، فقد اغترف من فيض علمهم، ففيما يخص اللغة والأدب تعهده الأستاذ أبو القاسم محمد بن علي الحسيني وغيره، أما الأدب فكان على يد الوزير أبي عبدالله بن الحكيم اللخمي، وكان النثر والنظم على يد أبي الحسن علي بن الجياب، أما الطب فقد كان على يد زكريا يحيى بن هذيل^(٩).

جاء ابن الخطيب إلى المغرب العربي وتلمسان مرات عدة، على الرغم من أنه تربي وترعرع على أرض الأندلس وبالتحديد مدينة لوشة مسقط رأسه، وغرناطة مُنطلق نبوغه، إلا أننا لا نستطيع إغفال المغرب الذي عاش فيه الشاعر ردهاً من الزمن، فلم تكن الفترات التي قضاها ابن الخطيب في المغرب فترات عابرة، بل كانت بالعكس فترات أصيلة، سواء بالنسبة لتطورات حياته، أو بالنسبة لإنتاجه الفكري، فقد وضع معظم مؤلفاته إبان إقامته بالمغرب^(١٠).

١- لقد زار ابن الخطيب المغرب أربع مرات، وكان أولها في زمن السلطان أبي الحجاج^(١١)

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، ط٢، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، ص٤٤٠.

(٢) عنان، لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، ص٣٤.

(٣) المرجع السابق، ص٣٤.

(٤) المرجع السابق، ص١٧.

(٥) أبو الحجاج (٧١٨ - ٧٥٥ هـ) - (١٣١٨ - ١٣٥٤م) يوسف بن إسماعيل ابن فرج بن إسماعيل الأنصاري الخزرجي سابع ملوك بني نصر وبينما هو في المسجد، الأعظم بجمراء (غرناطة) ساجداً في الركعة الأخيرة من صلاة العيد هجم عليه مجهول وطعنه بسكين أو خنجر، فسئل فتكلم بكلام مختلط فقتل وأحرق بالنار، وحُمِلَ السلطان إلى منزله فمات على الأثر، وابن الخطيب وزيره، وأصبح رئيس الإنشاء في عصره. ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٧، ص٤٠٢. الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢١٧.

عندما وفد إلى البلاط السلطاني يعزي السلطان بوفاة ولده، ويهنئه بالجلوس على كرسي الحكم^(٧).
٢- وفي أواخر عام (٧٥٥هـ) على أثر مقتل السلطان أبي الحجاج، بعث السلطان الجديد محمد الغني بالله وفداً كان ابن الخطيب على رئاسته إلى المغرب لطلب النجدة، وتجديد عهد الصداقة والتعاون بين البلدين وقد وفق توفيقاً كاملاً في أداء مهمته، وقد أنشد أبا عنان قصيدة رائعة مطلعها^(٨):

خليفة الله ساعد القدرُ علاك ما لآخ في الدجى قمرُ
ودفعت عنك كف قُدرته ما ليس يسطيع دفعه البشرُ

وقال السلطان لابن الخطيب، اجلس والله ما ترجع إليهم إلا بكل طلباتهم، وعاد الوفد إلى غرناطة، محملاً بالهدايا الثمينة، والوعود الصادقة الخالصة، بفضل سياسة رئيس الوفد ولباقتة، وجميل أشعاره وفصيح لسانه^(٩).

٣- وفي محرم (٧٦١هـ) زار ابن الخطيب المغرب للمرة الثالثة ولكن كان هذه المرة لاجئاً سياسياً، فقد وقع انقلاب على سلطانه محمد الغني فاعتقلوه، وصادروا أمواله، ونال الضيق أسرته وأصدقائه، والشاعر لم يترك بلاده إلا لما "أرغمته الظروف السياسية على الخروج من الأندلس"^(١٠).

وفي عام (٧٧٣هـ) بعث ابن الخطيب برسالة مؤثرة إلى أبي عبدالله محمد الغني بالله، يودّعه ويذكر أسباب خروجه من الأندلس بصورة غير متوقعة، ويرجوه الصفح وقبول العذر، ويلتمس الرعاية لأهله في (غرناطة)^(١١).

(١) الناصري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد ت(١٣١٥هـ)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ص١٩١. وينظر: التازي، عبد الهادي، ابن الخطيب سفيراً ولاجئاً سياسياً، مجلة كلية الآداب بتطوان، المغرب، عدد (٢) لسنة ١٩٨٧م، ص٤٧.

(٢) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص٥٤٣.

(٣) المقرئ، نفع الطيب، ج٥، ص٩٨. ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط١٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٤٤١.

(٤) ديوان الصيب والجهام، ص٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٦١.

بعد تربع السلطان (أبو العباس المريني) على العرش بفاس، كثر حساد ابن الخطيب، وسعى أعداؤه للحط من قدره، ومكانته لدى السلطان، وأوغروا صدر سلطانه أبي عبدالله محمد عليه، يوهونه بأن ابن الخطيب يعمل للمرينيين في الخفاء، ويستشهدون له ببعض الرسائل بين ابن الخطيب وبين السلطان المريني أبي فارس، فهو يستقي الأوامر من المغرب، وينفذها بكل صدق وأمانة، ويقول في ذلك^(١):

تَلَوْنَ إِخْوَانِي عَلِي وَوَقَدْ جَنَّتْ عَلَيَّ خُطُوبٌ جَمَّةٌ دَاتُ أَلْوَانِ
وَمَا كُنْتُ أُدْرِي قَبْلَ أَنْ يَتَنَكَّرُوا بِأَنَّ خُوَانِي كَانَ مَجْمَعِ خُوَانِي

أمر السلطان بالقبض على ابن الخطيب، وأودعه السجن، وبمجرد إلقاء القبض على ابن الخطيب انتشر الخبر في غرناطة، فاستبشر الأعداء بالنبأ وتهللوا، وعلى جناح السرعة وصل الوزير أبو عبدالله بن زمرك^(٢)، تلميذ ابن الخطيب إلى فاس، على رأس وفد يحمل معه قائمة اتهامات لابن الخطيب، ولم يكن هو غافلاً عما يجري من حوله، فهو يقول في وصف هذه الظاهرة " وصرت أنظر إلى الوجوه، فألمح الشر في نظراتها، وأعتبر الكلمات فأتبين الحسائف في لغاتها والصبغة في كل يوم تستحکم، والشر يتضاعف "^(٣) شعر ابن الخطيب بدنو أجله لاسيما بعد أن سارت الأمور على عكس ما أراد، فوبخ ونكل وغذب، ثم أُعيد إلى السجن، ففسد سليمان بن داود إليه بعض الأوغاد، فطرقوا السجن ليلاً وقتلوه خنقاً في محبسه، وهو في السجن ثم أحرقوا جثته ودفن باقي الرفاة في مقبرة (باب المحروق)، وهكذا انتهت حياته في أوائل سنة (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)^(٤)، فرثى نفسه بهذه المقطوعة التي تقطر حزناً ولوعة، قائلاً^(٥):

(١) المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٥، ص٣٦.

(٢) هو محمد بن يوسف بن محمد، ويعرف بابن زمرك، أحد أدباء الأندلس الكبار المتخرجين على ابن الخطيب، أصله من شرق الأندلس، ثم نزل بقرنطة حيث ولد ونشأ، ومن شيوخه أيضاً محمد بن الفخار، والشريف أبو القاسم الحسني، توفي في عهد السلطان محمد السادس مقتولاً شر قتلة مع بعض أبنائه. الحميدي، محمد بن فتوح، (ت٤٨٩هـ) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩، ج١، ص٣١٢. وينظر: الزركلي، الأعلام، ج٧، ص١٥٤. وينظر: ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، ص٢٠٧.

(٣) ابن الخطيب، لسان الدين، أعمال الأعلام، ط٢، تحقيق: ليفي بروفنسال، منشورات دار الكشوف، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٦١. ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، ص٤. وينظر: ديوب، طلال علي، بنية القصيدة الشعرية عند لسان الدين بن الخطيب، (رسالة ماجستير) جامعة تشرين، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٧م، ص٦.

(٤) الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٤، ص٦٤. وينظر: فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص٥٠٧.

بُعْدْنَا وَإِنْ جَاوَرْتْنَا الْبُيُوتُ وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ
وَأَنْفَاسُنَا سَكَنَتْ دَفْعَةً كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهُ الْقُتُوتُ
وَكُنَّا عِظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا وَكُنَّا نَقُوتُ فَهِيَ نَحْنُ قُوتُ
وَكَنَّا شُمُوسَ سَمَاءِ الْعُلَى غَرَبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْهَا الْبُيُوتُ
فَكَمْ جَدَلَتْ ذَا الْحُسَامِ الطُّبَى وَدَوَّ الْبَحْتِ، كَمْ خَدَلَتْهُ الْبُحُوتُ
وَكَمَّ سَيْقٍ لِلْقَبْرِ فِي خِرْقَةٍ فَتَى مُلِنَتْ مِنْ كُسَاهُ التُّخُوتُ
فَقُلْ لِلْعِدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَقَاتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ
فَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْكُمْ لَهُ فَقُلْ يَفْرَحُ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتُ

لقد ترك لنا ابن الخطيب إرثاً مجيداً حافلاً بعلم شتى من طب وتصوف وسياسة وتاريخ وأداب... وغيرها. وقد بلغت مؤلفاته زهاء ستين مؤلفاً ما بين مطبوع ومخطوط، ويمكن تصنيف مؤلفاته في ثلاثة أصناف عامة، الصنف الأول تاريخي، والثاني علمي، والثالث أدبي. ومن أشهرها في الصنف الأول أحد عشر مصنفاً وهي: الإحاطة في أخبار غرناطة، والتاج المحلى في مساجلة القدر المعلى، والكتيبة الكامنة فيمن لقيته بالأندلس من شعراء المئة الثامنة، واللمحة البدرية في الدولة النصرانية، وفاضلة الجراب في علالة الاغتراب، وأعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، وطرقة العصر في تاريخ دولة بني نصر، والإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر، وعائد الصلة، والإماطة عن وجه الإحاطة. وأما سيرته فقد خص ابن الخطيب نفسه بترجمة وافية في آخر كتابه (الإحاطة) ذكر فيها نسبه وسياسته ومؤلفاته وتنقلاته ومشيخته^(١).

وأما الصنف العلمي، فقد ترك لنا عدداً من المؤلفات بلغت سبعة في أغلبها رسائل في الطب وفي الأغذية وعلاج السموم، ومنها رسالته التي كتبها عن الوباء (الطاعون) الذي عم الأندلس وسائر العالم الإسلامي عام (٧٤٩هـ). وهذه الآثار لها مكانة علمية عند أهل الاختصاص. ومنها أرجوزته الموسومة بـ (الحلل المرقومة في اللمع المنظومة) وهي منظومة تقع في ألف بيت في أصول الفقه، وأخرى ألفها في العروض بعنوان: كناش منظوم في عروض الرجز. وله أرجوزة أخرى في مجال السياسة وتتكون من ستمئة بيت^(٢).

(١) المقرئ، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص ١١١. وينظر: ديوان ابن الخطيب، ج ١، ص ١٨٥.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص ٤٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٨-٢٧٩. وينظر: ابن الخطيب، لسان الدين، رقم الحلل في نظم الدول، ط ٤، علق عليه: عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠م، ص ٤٢-٤٧.

وأما الصنف الثالث، فهو تراثه الأدبي، ومنه: ديوان شعره، ومجموعة من الرسائل الأدبية. وله أشعار وضعها تحت عنوان (الصيب والجهام والماضي والكهام)، وهذه ليست كل أشعاره، وهناك كتب أخرى فيها الكثير من أشعاره، وكذلك له كتب أخرى منها: السحر والشعر وكتاب جيش التوشيح، الذي يعد أوسع مجموع للموشحات (١).

(١) بهجت، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص ٢٨٠.

الفصل الأول

أثر القرآن الكريم

أثر القصة الدينية

أثر الأحاديث النبوية الشريفة

الفصل الأول

المضامين الدينية

كانت الأرض العربية مهذاً للرسالات الإلهية، وفيها بعث الله الأنبياء والرسل، وقد ختمت هذه الرسالات برسالة سيدنا محمد ﷺ وبالكتاب الكريم، الذي أعجز دهاة العرب ببلاغته ونقده للحياة الاجتماعية، وعاداتهم وعباداتهم التي كانوا يقومون بها، قال ﷺ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ

اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١)

وإن العرب قبل الإسلام كانوا يعبدون الأوثان؛ لأنهم يعتقدون بأنها تقربهم إلى الله زلفى، وهذه العبادة هي واسطة إلى الله في تفریح الهم وإزالة الكرب، وبعضهم يضطرون إلى تغيير آلهتهم وأصنامهم إذا ما وجدوا خيراً منها، وبالرغم من وجود هذه الأوثان، فإنهم كانوا يعترفون بوجود الله تعالى - جل جلاله - ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا

نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٢).

فأنزل الله القرآن الكريم ليكون هادياً للعباد يرشدهم إلى طريق الحق والهداية ويخرجهم من طريق الضلال والغواية، فكان لهم منهاج يأخذون منه دروساً علمية وعملية ولذلك وجدنا أن " هذه المضامين انتشرت بعد ظهور الإسلام إذ ظهر شعراء الدعوة، وحملوا صوت الإسلام ليرسم كل من في الجزيرة العربية وخارجها بهذا الدين"^(٣)، وإن الشاعر بعد أن ظهر الإسلام أخذ ينهل من معينه ليغني شعره ويقوي فصاحته "فالتواصل قائم بين الدين والشاعر لم ينقطع منذ بزوغ شمس

(١) سورة يونس / ١٨.

(٢) القالي، أبو علي إسماعيل بن قاسم (ت ٢٥٦هـ)، الأمالي، دار الكتب العالمية، بيروت، ١٩٢٦م، ج ٣، ص ٥٠. وينظر: الحوفي، أحمد محمد، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط٤، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٦٢م، ص ٣٨١.

(٣) سورة الزمر / ٣.

(٤) التكريتي، أسماء صابر جاسم، المضامين التراثية في شعر أبي العلاء المعري (دراسة موضوعية فنية)، دار غيدان، عمان، ٢٠١١م، ص ٧٨.

الإسلام إلى يومنا هذا "١)، ويمثل الخطاب الديني مرجعية ثقافية واجتماعية وفكرية للشاعر في أي عصر من العصور" ٢) ونلاحظ أثر الدين الإسلامي في الشعر العربي في جوانبه الدينية المتمثلة بالقيم الأخلاقية الأصيلة.

ويمكن أن نتتبع المضامين الدينية التي استطاع ابن الخطيب أن يستقي منها ويضمونها في شعره متمثلة في :

المبحث الأول : أثر القرآن الكريم .

القرآن الكريم هو المعجزة الإلهية التي عجز كل البشر أن يأتوا بآية واحدة من مثله، وإن ابن الخطيب استدعى في شعره من هذا الكتاب العظيم بطريقة الاقتباس و الاقتباس لغة " الشعلة من النار" ٣)

أما اصطلاحا : فالاقتباس هو " أن يضمن الكلام شيئا من القرآن والحديث ولا ينبه عليه للعلم به " ٤)، والذي يهمننا في هذا الجانب هو القرآن الكريم فهو المنبع الأساس في شعر ابن الخطيب، فقد استلهم من ألفاظه ومعانيه من خلال الاقتباس النصي والجزئي والتحويري والإشاري، ويمكن توضيحها على النحو الآتي:

١- الاقتباس النصي : هو "ما التزم فيه الشاعر بلفظ النص القرآني وتركيبه" ٥) وبعد استقراء ديوان ابن الخطيب، تبين أنه أقل الأنواع شيوعا، وتعليل ذلك على كراهية الاقتباس النصي عند المالكية، وبما أن ابن الخطيب يتوسم بروح الإيمان وصفاء العقيدة مما جعله يلتزم بهذه الشعائر

١) الجبوري، جمعة حسين يوسف، المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين، عمان، دار صفا، عمان، ٢٠١٠م، ص ٤٠.

٢) ديوب، بنية القصيدة الشعرية عند لسان الدين بن الخطيب، ص ١١٧.

٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة، (قبس).

٤) الحلبي، شهاب الدين (ت ٧٢٥هـ)، حسن التوسل إلى صناعة التوسل، تحقيق، أكرم عثمان يوسف، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٠م، ص ٣٢٥.

٥) البدري، حكمة فرج، معجم آيات الاقتباس، دار الحرية للطباعة، ودار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م، هامش ٢١.

الدينية، وتقديسه لها فإنه يحاول أن يذكر مفردات قرآنية في نصه الشعري من القرآن دون الإخلال بمعنى الآية (٧).

وإن الاقتباس النصي قليل جدا والسبب في ذلك - فضلاً عما سبق ذكره - هو طول الآيات القرآنية التي لا تتناسب مع حجم البيت أو شطر البيت.

فيقول ابن الخطيب وهي من القصائد التي تشتمل على أغراض غريبة(٨):

أَدْرَنَّا بِهَا (كَأْسًا دِهَاقًا) مِنَ السُّرَى أُمَلْنَا بِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ مِنَ الرُّوسِ
وَكَانَةَ خَمَارٍ هَدَانًا لِقَصْدِهَا شَمِيمٌ حُمِيًّا وَاصْطِكَكَ النَّوَاقِيسِ

وقد اقتبس من الآية القرآنية قوله تعالى ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ (٩) وهو اقتباس نصي ومعنى

الآية "كأساً ملاً متتابعة على شاربها بكثرة وامتلاء" (١٠). فقد وصف الشاعر الكؤوس وقد امتلأت خمراً، وبهذا يصف نفسه كأهل الجنة وقد حصل عليها في الصباح من خلال تلك الرائحة الطيبة المتمثلة بريح خمر أهل الجنة التي يحصلون عليها دون تعب وعناء.

أما الموضوع الثاني الذي اقتبسه لسان الدين اقتباساً نصياً فهو قوله في مقدمة غزلية(١١):

قَالَتْ تَنَاسَيْتَ عَهْدَ الْحُبِّ قُلْتُ لَهَا لَا، وَالَّذِي (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ!)

حيث اقتبس قوله ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (١٢) والمراد بالعلق في هذه الآية هو " الدم :

وقال علق ، والمراد به علقه لأنه ذهب إلى الجمع" (١٣)، فقد أكد الشاعر بقاءه في عهد الحب مع حبيبته من خلال القسم بالآية القرآنية حيث وظفها بأسلوب شعري مطابق لقافية القصيدة.

(١) عبد المطلب، محمد، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٥م، ص ١٧٢.

(٢) ديوان ابن الخطيب، ٧٣٠ / ٢.

(٣) سورة النبأ / ٣٤.

(٤) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ٢٠٠١م ، ج ٢٤، ص ١٧١.

(٥) ديوان ابن الخطيب ٦٩٠ / ٢.

(٦) سورة العلق / ٢.

(٧) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٤، ص ٥١٩.

٢- اقتباس جزء من النص : " هو اقتباس جزء من الآية دون الإخلال بنص الجزء المقتطع" (١)، ونجد مثل هذا الاقتباس قد أكثر منه لسان الدين، فذكر ما يقارب ستاً وثلاثين مرة هذا النوع. فهنا ذكر صفة المؤمنين على أنهم فيما بينهم رحماء وكل واحد يعطف على أخيه بكل معاني الإنسانية، ومقابل ذلك على الأعداء أشداء أقوياء حتى يهزوا قلوب أعدائهم فيقول (٢):

سِيمَاهُمْ التَّقْوَى أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ فِيمَا بَيْنَهُمْ رُحَمَاءَ

وهذه الألفاظ بمعانيها مقتبسه من قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى

الْكَفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ (١).

وفي موضع آخر يضمن شعره من النص القرآني، وهو يذكر الكدح (٣) من أجل الوصول إلى الله متمثلاً برب الجمال، وزيارة النبي محمد ﷺ فيقول (٤):

كَدَحْتُ إِلَى رَبِّ الْجَمَالِ مُلَاقِيًا (فِيهَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ)

وهنا يحث على العمل لأجل الوصول إلى الجمال الحقيقي المتمثل في جمال الأخلاق والدين اللذين تجسدا في شخص النبي ﷺ، وهذا اقتباس جزء من نص الآية لأنه قد حذف (إلى ربك كدحا فملاقيه) وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَقِيهِ﴾ (٥). وفي موضع آخر نراه يقتبس من آيتين ويضمنهما في بيت واحد ليبين أفضلية النبي محمد ﷺ فيقول (٦):

فَضَلْتُ النَّبِيِّينَ الْكِرَامَ مَزِيَّةً وَكَمْ بَيْنَ (رَبِّ اشْرَحْ) وَبَيْنَ (أَلَمْ نَشْرَحْ)!

(١) العزاوي، فائزة رضا شاهين، المضامين الدينية والتراثية في الشعر الأندلسي في القرن الرابع الهجري، (رسالة ماجستير)، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، العراق، ٢٠٠٤م، ص ٢٥.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٩٥/١.

(٣) سورة الفتح / ٢٩.

(٤) الكدح هو العمل : ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن الكريم، تحقيق، محمود حسن، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ج ٤، ص ٥٩١.

(٥) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٢٥.

(٦) سورة الانشقاق / ٦.

(٧) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٤٠.

هنا إشارة إلى أفضلية النبي الكريم محمد ﷺ على النبي موسى عليه السلام؛ لأن الله تعالى خاطب النبي بـ (ألم نشرح) فالله قد شرح صدره ونوره وجعله فسيحاً رحباً واسعاً للإيمان، وخاطب موسى ربه بقوله: (رب اشرح) وهذا سؤال موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بعثه به "٧)، وهذا الاقتباس جزء من دعاء موسى في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي

صَدْرِي ﴾ (٧)، أما قوله تعالى بحق النبي محمد ﷺ ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (٧) وهذا اقتباس جزئي؛ لأنه حذف أواخر الآيتين.

وفي موضع آخر نجد ابن الخطيب يذكر بأن النار كلما دخل عليها الكفار تقول " هلّ من

مَزِيدٍ " (٨)؟ بعد سؤال هل امتلأت؟ فتقول مجيبة: هل من مزيد؟ يقول ابن الخطيب (٩):

فَأِذَا قِيلَ هَلْ تَمَلَّاتِ؟ قَالَتْ: فِي جَوَابِ السُّؤَالِ: (هَلْ مِنْ مَزِيدٍ)

وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ (١٠) وقد

اقتبس من نهاية الآية وهو اقتباس جزئي ومعنى " هل من مزيد استكثرنا للداخلين فيها استبداعاً للزيادة" (١٠).

وفي موضع آخر يقول (١١):

سَفِينَةُ الْأَمَلِ الْمَمْدُودِ قَدْ سَبَحَتْ فِي جُودِهِ وَاسْتَوَتْ مِنْهُ عَلَى الْجُودِيِّ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج ٣، ص ١٧١.

(٢) سورة طه / ٢٥.

(٣) سورة الشرح / ١.

(٤) سورة ق / ٣٠.

(٥) ديوان ابن الخطيب، ١ / ٣٣٠.

(٦) سورة ق / ٣٠.

(٧) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه

التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٦م، ج ٤، ص ٣٩٢.

(٨) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٤٤.

فهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ

الْأَمْرُ وَأُسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (١)

وهنا يمدح شيخ الغزاة سليمان بن داود^(٢)، وهو يحمل العز والمكانة العالية في المحاربة ، وأن سفينته هي أمل لكل الناس، وهي تسبح حتى أناخت على جبل الجودي كناية عن رفعة المكانة.

وقد اقتبس الشاعر جزءاً من الآية التي تتحدث عن جبل الطور في قوله^(٣):

جَلَا الْحَقُّ قَلْبِي حَتَّى أَنَارَا فَأَنْسْتُ مِنْ جَانِبِ (الطُّورِ) نَارَا

وفي هذا البيت يصف ابن الخطيب ممدوحه من اتباع الطريقة التحقيقية بأنهم وصلوا إلى درجة أنارت قلوبهم كما أنس موسى – عليه السلام- من جانب الطور ناراً، وقد أخذ هذا الاقتباس من الآية قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءَأَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَأَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٤٥﴾﴾، ومعنى (قال لأهله امكثوا إني ءأنست ناراً) "يعني أحسست ناراً"^(٤).

وفي موضع آخر يصف أهل الطريقة الصوفية بأنهم أهل حب في الله، وحين تنظر إليهم تراهم سكارى، ولكنهم ليسوا بسكارى فيقول^(٥):

وَنَادَمْتُ مِنْ أَجْلِهِ فُتِيَّةً تَرَاهُمْ سُكَارَى وَمَا هُمْ سُكَارَى

ورفع من شأن أهل التصوف على أنهم أهل الحقيقة التي انفردوا بها في إخلاصهم لله وتصفية الباطن وإخلاص النية، ولكن الناس ينظرون إليهم فيرونهم كالسكارى أو أنهم لم يهتموا بمظهرهم،

(١) سورة هود / ٤٤ .

(٢) لقد خصص ابن خلدون فصلاً في تاريخه " الخبر عن إجازة سليمان بن داود إلى الأندلس ومقامه بها إلى أن هلك " ويفهم منه أنه كانت له رغبة في منصب شيخ الغزاة ولكن ابن الخطيب حال دونه ، ومع ذلك فضل البقاء في الأندلس وأسرها في نفسه حتى كاد لابن الخطيب مع الكاتدين توفي سنة (٧٨١ هـ) . ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٧، ص ٤٥٤- ٤٦١ .

(٣) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٣٨٥ .

(٤) سورة القصص / ٢٩ .

(٥) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٩ ، ص ٥٧٠ .

(٦) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٣٨٥ .

والشاعر يقتبس جزءاً من النص القرآني (سكاري وما هم بسكاري) من قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا

تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا

هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٣١﴾

وفي هذا اليوم يرى الناس كالسكاري، وهم ليسوا بسكاري من الخمر؛ ولكن شدة الهول والفرع
وشدة العذاب أفقدتهم عقولهم وإدراكهم (٢).

وفي موضع آخر يقول (٣):

عُصْنُ بَانٍ وَهَلَالٌ وَرَشَا إِنْ تَفَنَّىٰ أَوْ تَبَدَّىٰ أَوْ خَطَرَ
لَوْ بَدَا ، لِلْحُورِ يَوْمًا ، وَجْهَهُ قُلْنَ جَلَّ اللَّهُ (مَا هَذَا بَشَرًا)

والبيتان من قصيدة يمدح فيها أبا الحجاج يوسف، وهما من ضمن مقدمة غزلية يصف فيها
محبوبه، فقد اقتبس الشاعر في هذين البيتين صورة شعرية مستمدة من جمال النبي يوسف – عليه
السلام- وذلك في قول نسوة المدينة عندما رأين جماله وانبهرن به قال تعالى ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ

بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا

رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (١) ليؤكد

بهذا الاقتباس جمال الممدوح وحسن مظهره.

وقد أنشد لسان الدين في أبي الحجاج في عيد الفطر منكرًا إياه بأن الأيام تذهب وأن الأعمار
مستعارة ويجب ردها إلى الله، وأن الحياة مجرد وقت، وأن عمل الخير هو الذي يبقى يقول (٤):

وَمَا الْعُمُرُ إِلَّا زِينَةٌ مُّسْتَعَارَةٌ تُرَدُّ وَلَكِنَّ النَّثَاءَ هُوَ الْعُمُرُ
وَإِنْ زَحَفُوا مِنْ دُونِ رَايَةِ يُوسُفٍ تَقُولُ تَعَالَىٰ مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ

(١) سورة الحج / ٢ .

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٨، ص ٥٦٥ .

(٣) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٣٩٣ .

(٤) سورة يوسف / ٣١ .

(٥) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٤٠٠ .

وقد اقتبس جزءاً من قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَلَا لَهُ

الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴿٧﴾

وأن كل شيء بيد الله" ولا معقب لحكمه الذي لا يمانع ولا يخالف وما شاء كان وما شاء لم يكن" (٧). وموضع آخر يقول (٧):

فَإِنْ كُنْتَ عَنْ كَاسٍ وَرَاحٍ وَشَادِنٍ سَوَوَلًا فَلَا يُنْبِئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ

ففي هذا البيت يصور ابن الخطيب قلة السؤال عن الأشياء وأمور الحياة فلا يخبر بهذه

الأمور إلا العالم بها جاء في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا

أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۗ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿٥٤﴾ ﴿١﴾.

وأن الله هو الخبير والذي يعلم كل شيء ، ويصور الشاعر حال الذين ينشغلون بالأفراح من ملذات الدنيا فإنهم يوم القيامة ينبئهم بها الله لأنه هو الخبير.

وفي موضع آخر يقول (١):

أَقُولُ لِأُظْعَنِي وَقَدْ غَالَهَا السُّرَى وَأَنْسَهَا الْحَادِي وَأَوْحَشَهَا الزُّهْرُ

رُؤْيُكَ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرُّ أَنْ ابْشُرِي بِأَنْجَازِ وَعْدِ اللَّهِ، فَذْ ذَهَبَ الْعُسْرُ

يبين ما يحمله أهل الظعن وهم يسرون في الليل ولا يوجد أحد معهم إلا الحادي الذي يقوده،

وفي هذا الليل الموحش وقد فقد الزهر وهو القمر، وأن إيمانه بالله سيجعل بعد العسر يسراً مقتبساً

من قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۗ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ

نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴿٢﴾، وأن بعد كل عسر يسراً، ويذكر بقوله

(١) سورة الأعراف / ٥٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم ، ج ٣، ص ٣١٠ .

(٣) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٤١٢ .

(٤) سورة فاطر / ١٤ .

(٥) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٤١٥ .

(٦) سورة الطلاق / ٧ .

أبشري بإنجاز وعد الله وأن الله لا يخلف وعده، والقادر على إزالة العسر الذي حل بنا^(١) وفي موضع آخر يمدح أبا سالم المريني^(٢)، فيقول^(٣):

دَعَتْكَ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْلَصَتْ وَقَدْ طَابَ مِنْهَا السَّرُّ، لِلَّهِ، وَالْجَهْرُ
وَمُدَّتْ إِلَى اللَّهِ الْأَكْفُ ضِرَاعَةً فَقَالَ لَهُنَّ اللَّهُ: قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ

لقد بين الشاعر في هذين البيتين حب المؤمنين لممدوحه، فقد صور ذلك الحب من خلال الدعاء له في السر والعلن، حيث رفعت أكف الضراعة إلى الله رجاءً وابتهالاً، ولكن الأمر قد قضي من الله تعالى، ووقع القضاء في أمر الله عز وجل فلا راد لحكمه وقدره إلا هو، وهذا اقتباس من الآية قَالَ تَعَالَى: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمْ مَا فَيَسْقَى رَبَّهُ حَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ

فِيَصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾

ثم يرسم الشاعر صورة أخرى للممدوح، فيقول^(٤):

يَا كَوْكَبَ الْحُسْنِ يَا مَعْنَاهُ يَا قَمَرَهُ يَا رَوْضَةَ الْمُتَنَاهِي الرَّيْعِ يَا ثَمْرَهُ
أَمْرَتِي بِسُلُوكِ عَنْكَ مُمْتَنِعٍ مَأْمُورُ حُسْنِكَ (لَمَّا يَقْضِ مَا أَمْرَهُ)

وهذا الاقتباس من قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمْرُهُ﴾^(٥) وتعني الآية " كلا ليس

الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه "^(٦)، وهذا تأكيد واضح على قوة تمسك الشاعر بالممدوح.

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٢، ص ٤٦٤ .

(٢) أبو سالم المريني : إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني(ت ٧٦٢ هـ)، من ملوك بني مرين في المغرب الأقصى، ذهب إلى المغرب، فاستقر في فاس الجديدة . ثم رأى أن يجعل مقامه في قسبة فاس القديمة، وبعدها أعلن عمر الفودوي الثورة على أبي سالم ومبايعة تاشفين، وعمت البلاد الفوضى، وتفرق عنه رجاله فقبض عليه رجال الفودوي وأمر بقتله، وهو يُعد آخر بيوت بني مرين، كان من أهل الحياء وبعده عن الشرور. الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ٢، ص ١٧٢. الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٥٢.

(٣) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٤١٥ .

(٤) سورة يوسف / ٤١ .

(٥) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٤٢٥ .

(٦) سورة عبس / ٢٣ .

(٧) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٤، ص ٢٢٥ .

وفي موضع آخر يقول(١):

قال جَوَادِي عِنْدَمَا هَمَزْتَ هَمْزاً أَعْجَزَهُ
إِلَى مَتَى تَهْمِزُنِي؟ (وَيَلُّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ هَمْزَةٌ)

فقد اقتبس من قوله تعالى ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لُحْمَةٌ ﴾ (١) ، بحذف نهاية الآية (لمزة)

لتتفق مع قافية القصيدة والمعنى المراد، فيذكر الشاعر في هذا الاقتباس حواراً مع جواده فعندما همز جواده همزاً أعجزه، فرد عليه الجواد إلى متى وأنت تهمزني مقتبساً النص السابق من الآية القرآنية.

وفي موضع آخر يقول(٢):

قَلَمُ الْمَحَاسِنِ خَطٌّ نُونٌ عِدَارُهُ أَوْ مِثْلُ خَلَّتِهِ يَحَاكُ بِلَا عِلْمٍ
لَا تَتَّقُوا عَيْنًا تُصِيبُ جَمَالَهُ فَاللَّهُ عَوْدَهُ (بِنُونٍ وَالْقَلَمِ)

الشاعر يتغزل بالحببية بأن الله قد خصها بشيء لم يخص أحداً مثلها، وهذه الخاصية هي أن العين والحسد لا يصيبها؛ لأن الله قد عودها بآيات من سورة نون، حيث اقتبس جزءاً من قوله

تعالى ﴿ تَتَّقُوا عَيْنًا تُصِيبُ جَمَالَهَا فَاللَّهُ عَوْدَهُ (بِنُونٍ وَالْقَلَمِ) ﴾ (١).

وفي موضع آخر يقول(٣):

أَفْقَدَ جَفْنِي لَذِيذَ الْوَسَنِ مَنْ لَمْ أزل فِيهِ خَلِيعَ الرَّسَنِ
عِدَارُهُ الْمِسْكِيُّ فِي خَدِّهِ (أَنْبَتَهُ اللَّهُ النَّبَاتَ الْحَسَنُ)

يقول إن عيونه قد فقدت النوم وأصبح بلا قيود، وقد اصطفاه الله وأحسن زرعه ، واقتبس من

قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ (١) والشاعر ذكر

الحببية التي أتعبته وهو بلا قيود تمسكه، وخذ حبيبته معطر لأن الله حفظها حين أحسن زرعه، تشبيهاً بالسيدة مريم العذراء التي رزقها الله وحفظها وأحسن زرعه إياها، ونلاحظ أنه بالغ في

(١) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٤٥٤ .

(٢) سورة الهمزة / ١ .

(٣) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٦٦ .

(٤) سورة القلم / ١ .

(٥) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٠٤ .

(٦) سورة آل عمران : ٣٧ .

الوصف في الجمع بينهما بين الحبيبة ومريم العذراء، علماً أن الاقتباس جاء جزءاً من نص، حيث زاد اسم لفظ الجلالة (الله).

وفي موضع آخر يمدح السلطان، فيقول^(١):

وَأَنْشَأَتْ فِي أَفْقِ الْعَلَا سُحْبَ النَّدَى وَسَقَّيْتَ رَوْضَ الْمَجْدِ فَهُوَ مُفَوِّفٌ
وَجَمَعْتَ أَسْبَابَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى وَنَادَيْتَ لَا تَتْرِبَ إِذْ أَنْتَ (يُوسُفُ)

لقد رسم الشاعر صورة شعرية في المدح، حيث جمع كل أسباط المكارم والرفعة والعلو في الممدوح، وفي عجز البيت الثاني اقتباس جزئي من الآية، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ

الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٩٢﴾﴾^(٢)، حيث يشبه الممدوح بالنبي يوسف –

عليه السلام- ليزيد من قوة ورفعة ممدوحه.

ونلاحظ أنه قد تجاوز الحد العقائدي الممدوح وزاد به إلى حد التشبيه بالأنبياء، حيث تفسر (لا تتريب عليكم) لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم^(٣). وهذا الاقتباس الجزئي ساعده على تغيير مفردات الكلمات والتقديم والتأخير مما جعله يحافظ على الوزن والقافية.

وفي موضع آخر قال^(٤):

قَالَ لِي مَا تَقُولُ : قُلْتُ مُجِيباً لَمْ نَخَفْ مِنْ نِكَالِهِ أَوْ لِحْبَسِهِ
حَصَّصَ الْحَقُّ يَا خَوْنُدُ^(٥) فَدَعْنِي أَنَا (رَاوَدْتُ يُوسُفًا عَنْ نَفْسِهِ)

والاقتباس جاء من قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ

لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الَّتِي حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ

لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾^(٦)، واقتبس جزءاً من النص، وهذا الاقتباس جاء من وسط الآية . أما في

صدر البيت (حصص الحق)، أي تبين الحق وظهر وبرز^(٧)، وأنه لا يخاف من الحبس كما أن

(١) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٦٩.

(٢) سورة يوسف / ٩٢.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج ٢، ص ٥٩٥.

(٤) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٧٢٩.

(٥) خَوْنُدُ: السيد . ينظر حاشية ديوان ابن الخطيب، ج ٢، ص ٧٢٩.

(٦) سورة يوسف / ٥١ .

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج ٢، ص ٥٨٦ .

النبي يوسف عليه السلام لم يخف من الحبس، ولا من سيده رغم كيد امرأة العزيز له عندما راودته عن نفسه فامتنع، وبعدها ظهر الحق.

وموضع آخر قال^(١):

يَا مَنْ تَرَحَّلَ وَالرِّيَّاحُ لِأَجْلِهِ يَشْتَاقُ إِنْ هَبَّتْ شَدَا رِيَّاهَا
تَحْيَا النُّفُوسُ إِذَا بَعَثَتْ تَحِيَّةً وَإِذَا عَزَمَتْ أَقْرَأَ (وَمَنْ أَحْيَاهَا)

وهنا يمدح صاحبه ابن خلدون^(٢) بأن الرياح تجري حيثما يتجه، والرياح هي التي تحتاجه، فكلما اتجه إلى جهة هبت الرياح، وكل أرض يدخلها تحيا به وبقدومه، وهنا اقتباس جزئي من الآية قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ

فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ

جَمِيعًا﴾^(٣)، ونلاحظ أنه قد استفهم عن إحياء الأرض، وهي إحياء الناس من الهلكة سواءً كان

غرقاً أم حرقاً أم هدماً أم غير ذلك^(٤). وكذلك تحيا الأرض بالعلماء وتنقص بموتهم.

٣- الاقتباس الإشاري: وهذا الاقتباس يعطي الشاعر حرية التحكم بالألفاظ والتراكيب القرآنية فهو يكتفي بالإشارة إلى الآيات القرآنية^(٥)، والإشارة إلى المعنى أو الإشارة إلى الحديث الذي تضمنه النص وتوظيفه في نصه الشعري كيفما يراه الشاعر، وإن شاعرنا قد استخدم الاقتباس الإشاري أربعاً وأربعين مرة وهو أكثر نوع من أنواع التضمين وجدناه مقارنة بالأنواع الأخرى، بإيراد أمثلة من هذا النوع:

يقول ابن الخطيب^(٦):

(١) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٧٥٣.

(٢) ابن خلدون: هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد وليّ الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨ هـ)، فيلسوف ومؤرخ، أصله من أشبيلية، ونشأ بتونس ثم رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس ثم عاد إلى تونس وبعدها إلى مصر فأكرمه سلطانها، وولي فيها قضاء المالكية، واشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر)، وكذلك له شعر، وقد تناول عدد من كتاب العرب سيرته منها (حياة ابن خلدون) لمحمد الخضر بن الحسين . ينظر: الزركلي ، الأعلام، ج ٣، ص ٣٣٠.

(٣) سورة المائدة / ٣٧.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٦٦١.

(٥) البدرى، معجم آيات الاقتباس، ص ١٩.

(٦) ديوان ابن الخطيب ١ / ١١٤.

شَوَاطِئُ أَرَادَ اللهُ إِطْفَاءَ نَارِهِ وَقَدْلَفَحَ الْإِسْلَامَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَإِنْ لَمْ يُصِْبْ مِنْهُ السَّلَاحُ فَإِنَّمَا أَصِيبَ بِسَهْمٍ ، مِنْ دُعَانِكَ ، صَائِبٍ

يمدح في هذين البيتين (يوسف بن إسماعيل) وهو يهنته بهلاك طاغية الروم^(١)، وهنا

إشارة إلى قوله تعالى ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاطِئُ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾^(٢) ()

وإشارة إلى أن الإسلام قد أطفأ هذه الشواطئ التي هي لهب النار^(٣)، وأن الإسلام قد انتصر

فمن لم يصب بقوة السلاح ، أصابه سهم الدعاء؛ لأن الله أراد نشر دعوته .

وفي موضع آخر يقول^(٤):

وَإِنْ قِيلَ: أَرْضُ اللهِ إِرْثُ عِبَادِهِ بِمُوجِبِ تَقْوَى، أَنْتَ أَقْرَبُ عَاصِبٍ

إشارة لقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا

عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾^(٥) ()

فالأرض يرثها عباد الله الصالحون ، محمد وآمته^(٦)، وإن الأرض للذين هم أهل للعبادة

والذين عصب^(٧) أفواهم والمقصود بالعاصب هنا: الوريث.

وفي موضع آخر قال^(٨):

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ خْتَمًا بَعْدَ مُفْتَتِحِ مَا الْبَارِقُ التَّاحِ أَوْ مَا الْعَارِضُ انْسَكَبَا

(١) الأذفنش الحادي عشر هو الذي هزم المسلمين في موقعة طريف (٧٤١هـ). ينظر: ابن الخطيب، لسان الدين،

اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهرسه، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة،

١٣٤٧هـ، ج ١، ص ٦١.

(٢) سورة الرحمن / ٣٥.

(٣) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٣، ص ٤٦.

(٤) ديوان ابن الخطيب / ١ / ١١٤.

(٥) سورة الأنبياء / ١٠٥.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٦٠٢.

(٧) عاصب : عصب الريق بفيه، وعصب : جفَّ وبيس . ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي المصري ، لسان

العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م، مادة (عصب).

(٨) ديوان ابن الخطيب / ١ / ١٢٠.

وإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ لَوْ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ

هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ (١) ، وهنا حمد الله على هذه النعمة وهي التي

ليست بريح ولا عارض (٢) قد يذهب بخيرهم ، بل هي نعمة من الله وجود شيوخه وعسى الله أن يرحمهم برحمته .

وفي موضع آخر يقول (٣):

وَكَذَا النَّوْمُ شَاعِرٌ فِيكَ أَمْسَى مِنْ دُمُوعِي يَهِيمٌ فِي كُلِّ وَادِي

يرى أنه أصبح هائماً بمن يحبه ، والنوم قد فارق جفونه ، وأن دموعه أمست في عيونه

وهنا يشبه نفسه بالشاعر الذي يهيم في كل واد ، وهذا اقتباس من قوله تعالى ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ

الْغَاوُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٤)

وفي موضع آخر يقول (٥):

شَاهِدْ بِعَيْنِكَ مَنِي قَرَّةِ الْعَيْنِ وَأَعْجَبْ لِمَا حَزْتُ مِنْ شَكْلِ وَمِنْ زَيْنِ

أَنَا الْفَرِيدَةُ فِي دَهْرِ دِيَانَتُهُ أَنْ لَا يَرَى جَامِعاً مَا بَيْنَ أُخْتَيْنِ

ففي هذه الأبيات يصف الشاعر قبة بناء فريدة في دهرها، ولا يمكن لأحد أن يبني مثلها،

وإشارة لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٦) في عدم جواز الجمع بين الأختين . والإيحاء من هذا الاقتباس

أنه لا يمكن لأحد أن يبني مثلها كما لا يجوز الجمع بين الأختين .

(١) سورة الأحقاف / ٢٤ .

(٢) العارض : هو ما سد الأفق من الجراد والنحل . ابن منظور، لسان العرب، مادة عرض، ج٧، ص ١٦٥ .

(٣) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٣٦٢ .

(٤) سورة الشعراء / ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٥) ديوان ابن الخطيب / ٢ / ٦٢٠ .

(٦) سورة النساء / ٢٣ .

و في موضع آخر قال في مدح النبي محمد ﷺ (١):

يَا مُصْطَفَى مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمِ وَالْكَوْنُ لَمْ تَفْتَحْ لَهُ أَغْلَاقُ
أَيُّوْمٍ مَخْلُوقٍ ثَنَاءَكَ بَعْدَمَا أَنْتَى عَلَى أَخْلَاقِكَ الْخَلَاقُ

فقد مدح النبي محمد ﷺ بأن الله قد خصه بشيء لم يخص أحداً به منذ أن خلق آدم ، وأن الله سبحانه وتعالى قد أثنى عليه وعلى خلقه العظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١)

ونقلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ " قَالَتْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ " (٢)
وموضع آخر في مدح السلطان، يقول (٣):

حَتَّى إِذَا سَأَلْتِكَ السَّلْمَ مَائِلَةً حَكَمْتَ فِيهَا كِتَابَ اللَّهِ مُمْتَبِلًا
وَصِرْتَ، وَالذَّيْنُ ضَاحٍ فِي هَوَاجِرِهَا ظِلَالٌ أَمِنْ وَسَلْمٌ أَمَّنِ السُّبُلَا

فالسُلطان عنده القوة في مقاومة الأعداء والانتصار عليهم ، ولكن إذا جنحوا للسلم فإنه يرجع إليه ، وهذا اقتباس من قوله تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٤). (١)

٤- الاقتباس التحويري : وهذا النوع من الاقتباس قد يخرج من الاقتباس الإشاري؛ لأن الشاعر لا يتخذ من الإشارات والإيحاءات دليلاً، ولا يعد اقتباساً نصياً لأن الشاعر لا يأتي بالآية كاملة، بل يأتي بجزء منها، محوراً، فنجد الشاعر يقدم ويؤخر ويغير دون الإخلال بالمعنى العام، سواء أقام الشاعر بزيادة الأحرف أم نقصها لا يضر ذلك في المعنى، وإن طبيعة المخاطب يكون

(١) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٧١٥.

(٢) سورة القلم / ٤.

(٣) ابن حنبل، أحمد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م، رقم الحديث (٢٤٦٠١)، ج ٤١، ص ١٤٨..

(٤) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٧٦٦. وينظر مثل ذلك في ديوان ابن الخطيب ١ / ١٣٣ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٤٣٩ ، ٤٥٩ / ٢ ، ٤٦١ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٣٣ ، ٥٦٠ ، ٥٨٨ ، ٥٩٤ ، ٦٢٩ ، ٦٨٧ ، ٧٠٤ ، ٧٣٠ ، ٧٦٦.

(٥) سورة الأنفال / ٦١.

أحياناً مفرداً أو مثني أو جمعاً أو يبدأ استبدال كلمة مكان الأخرى، وهذا كله بشرط أن لا يحدث اضطراب بالمعنى الدالة عليه الآية^(١)، وقد استخدم شاعرنا الاقتباس التحويري خمساً وعشرين مرة ، ومن الأمثلة على ذلك.

قال لسان الدين بن الخطيب^(٢):

أَمُولَايَ اسْتَزِدُّ بِالشُّكْرِ صُنْعَا فَقَدْ وَعَدَ المَزِيدَ اللهُ بَعْدَهُ

يقصد (مولاي) السلطان عبد العزيز ، وهو يُذَكِّرُهُ بأن يُكثِرَ مِنَ الشُّكْرِ لله؛ لأن الله يزيد الذي يشكر، فقد حور الآية القرآنية ، دون الإخلال بالمعنى، وقد اقتبس من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ

رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٣)

وفي مثل المعنى السابق يقول^(٤):

وَمَنْ أَعْطَاكَ بِالشُّكْرِ اسْتَزِدَّهُ فَإِنَّ الشُّكْرَ مِفْتَاحُ المَزِيدِ

ففي هذا البيت يؤكد الشاعر أن كثرة الشكر هي مفتاح زيادة الخير .

وقال ابن الخطيب^(٥):

أَتَتْكَ عَلَى حُكْمِ الوِدَادِ غَرِيبَةً نَتِيجَةَ فِكْرٍ لَا يَبِينُ لَهَا رَسْمُ

وَهَلْ مِنْهُ تُرْضَى إِذَا كَلَّتِ القُوَى وَبَانَ اشْتِعَالُ الرَّأْسِ أَوْ وَهَنَ العَظْمُ

وهذان البيتان من قصيدة تجاوزت مئة بيت " قصيدة غراء ميميه في غرض الاستصراخ والاستشفاع بمولانا أمير المؤمنين (أبي حمو)^(٦) عند مولاه السلطان (الغني بالله أبي عبدالله

(١) العزاوي، المضامين الدينية والتراثية، ص ٢٨.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٢٦.

(٣) سورة إبراهيم / ٧.

(٤) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٢٦.

(٥) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٤٧.

(٦) أبو حمو: هو أبو حمو موسى الثاني بن يوسف أبي يعقوب بن عبد الرحمن (٧٢٣-٧٩١هـ) وهو سلطان بني

زيان ورافع أمجاد تلمسان، ومن أهل الأدب والسياسة ومن آثاره (واسطة السلوك في سياسة الملوك) . ابن

الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص ٢١٦ . الزركلي ، الأعلام، ج ٨، ص ٢٨٧- ٢٨٩.

محمد بن نصر^{١٠}، ونجد الاقتباس التحويري في عجز البيت من قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي

وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (١)، وهنا قدم

اشتعال الرأس على وهن العظم عكس ما هو في الآية، وهذا تحوير في الآية دون أن يخل بالمعنى الموجود بالنص القرآني، وأراد الشاعر أن يقول إن الأيام تقادمت عليه وقد ضعف العظم واشتعل الرأس شيباً أي شمطاً^{١١}.

وفي موضع آخر قال^{١٢}:

وَتَدَارَكُهَا بِعِزَائِمِهِ مَا مِثْلُ صِفَاحِ الْهِنْدِ رَقِي

وَأَقَامَ الْحَقَّ وَجَاءَ بِهِ فَبَادَا (بِ) الْبَاطِلِ قَدْ زَهَقَا

يذكر الشاعر بأن السلطان قد أقام الحق وجاء به، أما في عجز البيت فإنه يثني على هذه

الجهود، وبأن الباطل قد زهق وانتصر الحق، وهذا اقتباس تحويري من قوله تعالى ﴿ وَقُلْ جَاءَ

الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١١)، وقد قدم (الباطل) على (زهق) أي من باب

التقديم، ومعنى زهق الباطل، أي زال واضمحل ولم يثبت^{١٣}.

جاء ميل ابن الخطيب في الاقتباس من القرآن الكريم إلى الإشاري بالدرجة الأساس، أما

الاقتباس جزء النصي جاء بالدرجة الثانية، أما الاقتباس النصي نادراً، وذلك لعدم انسجام أغلب

(١) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٤٢ .

(٢) سورة مريم / ٤ .

(٣) الثعلبي، ابن أسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (٤٢٧هـ)، الكشف والبيان، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ٦، ص ٢٠٦ .

(٤) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٨٨. وينظر مثل ذلك في ديوان ابن الخطيب، ١ / ١١٣، ١٣١، ٢٠٢، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٥١، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٦٩، ٣٧٧، ٤٢٤، ٤٨٥/٢، ٤٩٧، ٥٠٤، ٥٤٤، ٥٧٦، ٥٩٥، ٦١٦، ٦٨٩، ٦٩٨ .

(٥) سورة الأسراء / ٨١.

(٦) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ج ٦، ص ٤٩ .

الآيات القرآنية مع وزن البيت من جهة ، وتحريم المذهب المالكي للاقتباس النصي من جهة أخرى.

المبحث الثاني: أثر القصص الديني .

وردت لفظة (القصص) في أكثر من موضع في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى ﴿ نَحْنُ

نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ

﴿ ٣ ﴾ في اللغة : يعني قص أثره تتبعه^(١) والقصص الجملة من الكلام^(٢) " وقص عليه

الرؤيا أخبره بها وقص عليه خبره أورده على وجهه "^(٣).

أما اصطلاحاً : فإن القص " تعني الإعلام بالخبر وتتبع الحديث شيئاً فشيئاً"^(٤) ومنه قوله تعالى:

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ ١١ ﴾^(٥)

ومن تلك القصص التي ضمنها ابن الخطيب في شعره:

أولاً : قصة النبي موسى عليه السلام .

ذكره الله تعالى قصة موسى الكليم عليه السلام "في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن، وفي مواضع

متعددة مبسطة مطولة وغير مطولة"^(٦). وإن قصة النبي موسى من أكثر القصص ذكراً في

(١) سورة يوسف/٣.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح ، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٥٦٠.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصص) .

(٤) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ط٢، تحقيق : مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، إستنبول، ١٩٨٩م، ج ٢، ص ٧٣٩.

(٥) الربيعي، أحمد حاجم، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١م ، ص ٩ .

(٦) سورة القصص/ ١١ .

(٧) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل(ت٧٧٤هـ)، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار التأليف، القاهرة، ١٩٦٨م، ج ٢، ص ٢٤.

القرآن الكريم، حيث ذكرت فيما يقارب من ثلاثين مرة (١)، ووظفها ابن الخطيب في شعره مستلهما منها الحكمة والعبر التي تتفق مع الغرض الذي يراد تحقيقه.

وقد وظف ابن الخطيب هذه القصة القرآنية في قوله مخاطبا (يحيى بن خلدون) (٢):

دَعَوْتَ لِخِدْمَةِ (مُوسَى) عَصَاهُ فَجَاءَتْ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
فَأُذِعْنَ مَنْ يَدْعِي السَّحَرَ رَغْمًا وَأَسْلَمَ مِنْ أَجْلِهَا الْمُشْرِكُونَ

ففي هذه الأبيات يخاطب الشاعر ممدوحه على أنه صاحب علم، إن علمه يحرك القوم بعد سكونهم كما حركت عصا موسى قوم فرعون، وأسلم من أجلها سحرة فرعون، وهنا اقتبس من

قوله تعالى ﴿ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (٣)

وفي موضع آخر يستجير ابن الخطيب بالسادة الكرام ببتغي العون، من الأحياء والأموات على حد سواء أن ينصروه على بلواه من رسول اختير لإرساله إلى الأندلس في مهمة، وقد تبين أن الرسول الذي اسمه موسى لا يشبه موسى ﷺ ولا عصاه، ومالها من تأثير في فرعون والسحرة والملا برسالته إليهم، ويطلب أن يأتوا له برسول صارم الحد محكم التدبير وله قدرة على فن محاوره الحديث ومداورته ، وإلا فليريحوا قلبه من التخبط في عذاب كبير، فقال (٤):

يَا بَنِي السَّادَةِ الْكِرَامِ نِدَاءٌ يَبْتَغِي الْجَبْرَ لِلْمَهِيضِ الْكَسِيرِ
أَنَا بِالْحَيِّ مُسْتَجِيرٌ وَبِالْمَيْتِ، أَمَا فِي كِلَيْهِمَا مِنْ مُجِيرٍ؟
لَيْسَ مُوسَىٰ هَذَا بِصَاحِبِ فِرْعَوْنَ ، وَلَا فِي عَصَاهُ مِنْ تَأْثِيرِ
فَأَنْصُرُونِي وَعَيْنُوا لِي رَسُولًا صَارِمَ الْحَدِّ مُحْكَمَ التَّدْبِيرِ
أَوْ أَرِيحُوا بِالْيَأْسِ قَلْبِي فَأَنِّي قَدْ تَخَبَّطْتُ فِي عَنَاءٍ كَبِيرِ

وفي موضع آخر يمدح السلطان أبا حمو موسى بن يوسف، وفيه يربط بين السلطان أبي حمو وسيدنا موسى ﷺ ، فيقول في ذلك (٥):

لَقَدْ زَارَ الْجَزِيرَةَ مِنْكَ بَحْرٌ يُمِدُّ فَلَيْسَ نَعْرُفُ مِنْهُ جَزْرًا
أَعَدْتَ لَهَا بَعْدَكَ عَهْدَ مُوسَى سَمِيكَ، فَهِيَ تَتَلَوُ مِنْهُ ذِكْرًا
أَقَمْتَ جِدَارَهَا وَأَقَدْتَ كَنْزًا وَلَوْ شِئْتَ اتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا

(١) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م، ص ١٢٩.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٦٠١ / ٢.

(٣) سورة الأعراف / ١١٧.

(٤) ديوان ابن الخطيب ٣٨٧ / ١.

(٥) ديوان ابن الخطيب ٤٠٥ / ١. وينظر مثل ذلك في ديوان ابن الخطيب، ٣٨٥ / ١ ، ٤٣١ ، ٤٦٠ / ٢ ، ٦٣٤ .

فهو يصور لنا مدى الأريحية في الإنفاق لدى السلطان أبي حمو فهو لا ينتظر من أحد مديحا ولا أجراً ، فإن صفة الكرم لديه سجية ، وهذا مستلهم من قصة سيدنا موسى عليه السلام ومع الخضر في سورة الكهف ، كما نجد اقتباسا مباشرا من قوله تعالى ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (٧) ، ونلاحظ أن ابن الخطيب قد ربط بين النبي موسى والسلطان أبي حمو موسى بصفة الكرم وهو سمي به.

ثانياً : قصة النبي يوسف عليه السلام.

و يستلهم ابن الخطيب قصة النبي يوسف –عليه السلام- وهو يمدح السلطان بأنه نصر الدين بعد أن أوشك على الإتلاف وأنجز الوعود وحققها واجتمعت في ممدوحه المكارم والعلا ونادى على الذين أساءوا إليه أن لا تثريب عليكم كما قال يوسف لإخوانه قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ

عَلَيْكُمْ أَلْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ (٧) ، وشدت أرجاؤه بهم . فقال (٧):

تَلَأَقَيْتَ نَصْرَ الدِّينِ إِذْ كَادَ يَنْلِفُ	وَأَنْجَزْتَ وَعْدَ الْحَقِّ وَهُوَ مُسَوِّفٌ
وَأَنْشَأْتَ فِي أَفْقِ الْعَلَا سُحْبَ النَّدى	وَسَقَّيْتَ رَوْضَ الْمَجْدِ فَهُوَ مُقَوِّفٌ
وَجَمَعْتَ أَسْبَاطَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى	وَنَادَيْتَ لَا تَثْرِبَ إِذْ أَنْتَ (يُوسُفُ)
وَفَرَّ سَرِيرُ الْمُلْكِ لَمَّا حَلَّتْهُ	وَلَوْلَمْ تَشُدَّ أَرْجَاءَهُ كَادَ يَرْجُفُ

ثالثاً : قصة صالح عليه السلام.

ومن القصص القرآنية التي استند إليها ابن الخطيب قصة ثمود (٨) ، والنبي صالح عليه السلام ومعجزة الناقة التي خلقها الله لهم وفيها الخير والبركة، وهي ترعى مما تنبت الأرض بلا راع لها سوى الله ، وهم يشربون منها لبنا سائعا شرابه ، ولكنهم مسوها بسوء وتعرضوا لها وذبحوها ،

(١) سورة الكهف / ٧٧.

(٢) سورة يوسف / ٩٢.

(٣) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٦٩ ، وينظر مثل ذلك في ديوان ابن الخطيب ، ١ / ١٤٥ ، ١٦٢ ، ٣٧٤ ، ٢ / ٧٠٣ .

(٤) ثمود: وسميت ثمود لقلة مائها والتمد الماء القليل ، وقيل سموا ثمود باسم أبيهم الذي ينسبون إليه أخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين . الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٢، ص٢٥٢.

فأنزل الله بهم العذاب^(٧)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقْوِمُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ

فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴿٧﴾ وجاء ابن راجح، أبو عبدالله محمد بن علي

عام ٧٥٠هـ إلى الأندلس في موكب مهيب واستقبله ابن الخطيب، بقصيدة يمدح بها هذا الراكب الذي أسفر الصبح لمرآه من فوق الأباطح والربى، ويخاطب قومه عندما حطت ناقته وسط مسارح السعدان أن يتركوها تمرح وترعى في أرض الله ولا يتعرضوا لها أو يمسوها بسوء فهي كناقاة صالح تجلب لهم الخير والبركة، فقال^(٨):

رَعَى اللَّهُ رَكْبًا أَطْلَعَ الصُّبْحَ مُسْفِرًا
وَلِلَّهِ مَا أَهْدَتْهُ كَوْمَاءُ أَوْضَعَتْ
أَقُولُ لِقَوْمِي عِنْدَمَا حُطَّ كَوْرُهَا
ذُرُوهَا، وَأَرْضَ اللَّهِ لَا تَعْرِضُوا لَهَا
بِمَرَآكَ مِنْ فَوْقِ الرَّبِيِّ وَالْأَبَاطِحِ
بِرِخْلِكَ فِي قَفْرِ عَنِ الْأُنْسِ نَارِحِ
وَسَاعِدَهَا السَّعْدَانُ وَسَطَ الْمَسَارِحِ
بِمَعْرِضِ سُوءٍ، فَهِيَ (نَاقَةُ صَالِحِ)

رابعاً : قصة النبي سليمان عليه السلام .

وجد ابن الخطيب في فتنة النبي سليمان وإغارة بعض جنده من الجن على كرسية، وغيابه عن ملكه، وسجوده لله طالبا المغفرة، وداعيا الله ليهب له ملكا عظيما وحالاً لا تختلف عن حال ممدوحه السلطان محمد بن يوسف الغني بالله حين ثار عليه جماعة ونصبت أخاه ملكا على غرناطة، حيث فقد سلطانه، وفقد ابن الخطيب وزارته، مما جعلهم ينزلون عند أبي سالم المريني ملك المغرب، وبعد فترة من الزمن استطاع الغني بالله أن يسترجع عرشه، ورجع ابن الخطيب إلى وزارته عام (٧٦٣هـ)، وكان ذلك فضلا من الله وإحسانا^(٩) . فقال ابن الخطيب في ذلك^(١٠):

هَنِيئًا بِمَا خَوْلَتْ مِنْ رِفْعَةِ الشَّانِ
وَأَنْ خَصَّكَ الرَّحْمَانُ - جَلَّ جَلَالُهُ
وَإِنْ كَرِهَ الْبَاغِي وَإِنْ رَغِمَ الشَّانِي
بِمُعْجَزَةٍ مَنَسُوبَةٍ لِسُلَيْمَانَ

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية ، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، مصر، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٣١٢.

(٢) سورة هود / ٦٤ - ٦٥ . و سورة الأعراف / ٨٣.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٣٢ . وينظر مثل ذلك في ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٦٧.

(٤) الربيعي، القصص القرآنية في الأندلس ، ص ١٥١.

(٥) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٩٨.

أَغَارَ عَلَى كُرْسِيِّهِ بَعْضُ جِنَّهِ فَأَقَاتَ لَهُ الدُّنْيَا مَقَالِدَ إِدْعَانِ
فَلَمَّا رَأَاهَا فَتْنَةً خَرَّ سَاجِدًا وَقَالَ الْإِلَهِي اأْمُنُّ عَلَيَّ بِغُفْرَانِ
وَهَبْ لِي مُلْكًا بَعْدَهَا لَيْسَ يَنْبَغِي تَقَلُّدُهُ بَعْدِي لِأَنْسٍ وَلَا جَانِ
فَاتَاهُ لَمَّا أَنْ أَجَابَ دُعَاءَهُ مِنْ الْعِزِّ مَا لَمْ يُؤْتِ يَوْمًا لِأَنْسَانِ
وَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي الدَّهْرِ مُفْرَدًا فَأَنْتَ لَهُ لَمَّا أَقْتَدَيْتَ بِهِ الشَّانِي
فَقَابِلَ صَنِيعِ اللَّهِ بِالشُّكْرِ وَاسْتَعِينِ بِهِ وَأَجْزِ إِحْسَانَ الْإِلَهِ بِإِحْسَانِ

وقيل لما أعرض سليمان عن حب الخيل لوجه الله عوضه الله عز وجل بشيء أحسن منها

وهي الريح، حيث هي أسرع سيرا وأكثر تحملا وأعظم قوة وبلا تكلفة ولا تعب عليه قَالَ تَعَالَى: ﴿

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ ﴿

(١) و قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ﴿٣٦﴾ (١)

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عُدُومًا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن

يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنَ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِّنَ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿ (١)

ونلاحظ أن ابن الخطيب رأى بين الفتنة التي أصابت السلطان وبين ما حدث للنبي سليمان

عندما أغار على كرسيه بعض الجن مشابهة واضحة.

خامساً : قصة الملكين هاروت وماروت .

استلهم ابن الخطيب قصة السحر المنسوبة إلى بابل فقال^(١):

بُكِّرَ مِنَ السَّحْرِ الْحَلَالِ (بِبَابِلِ)^{٩٠} تُنْمَى إِلَى (هَارُوتِهِ) إِذْ تُنْسَبُ

(١) سورة الأنبياء / ٨١

(٢) سورة ص / ٣٦ .

(٣) سورة سبأ / ١٢

(٤) ديوان ابن الخطيب / ١ / ١٠٩ . وينظر مثل ذلك في ديوان ابن الخطيب ، ٣٧٧/١ .

(٥) بابل : موضع بالعراق، ينسب إليه السحر والخمر. ينظر: الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت،

٢٠٠٤م ، ج٢٨ ، ص٤٩ . والرازي، مختار الصحاح، ص٧٣ .

فقد اقتبس من الآية قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾^(١).
 فقد استدعى ابن الخطيب جمال محبوبته الساحر الأخاذ وكأنما جمالها مستمد من سحر بابل.
 سادساً : قصة النبي نوح عليه السلام .

وظف ابن الخطيب في شعره هذه القصة، ومن الأحداث التي تأثر به طول عمره، إذ عاش أكثر من تسعمئة وخمسين عاماً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٢)، "وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم"^(٣).
 وقد ذكر ابن الخطيب ممدوحه وهو يستلهم هذه القصة. قانلاً^(٤):

فِي أَحْسَنِ التَّفْوِيمِ أَنْشَأْتَهُ خَلْقًا جَدِيدًا بَيْنَ جِسْمٍ وَرُوحٍ
 فَعُمُرُهُ الْمَكْتُوبُ لَا يَنْقُضِي وَإِنْ تَقَضَى عُمُرُ (سَامٍ) وَ (نُوحٍ)

نلاحظ أنه قد بالغه في ممدوحه بأن عمره طويل ليس له نهاية بل إنه باقٍ، وهو لا يشبهه سام أو نوح اللذين انقضى عمرهما.
 وفي موضع آخر وهو يستلهم قصة الطوفان التي غرق كل من في الأرض، ونَجَّى نوحاً ومن معه بسفينته التي أمره الله بصنعها. فيقول^(٥):

سَفِينَةُ الْأَمَلِ الْمَمْدُودِ قَدْ سَبَحَتْ فِي جُودِهِ وَاسْتَوَتْ مِنْهُ عَلَى الْجُودِي

لقد صور الشاعر في هذا البيت سفينة النبي نوح – عليه السلام- فرمز لها بسفينة الأمل وسفينة النجاة التي سبحت بجود النبي – عليه السلام- ورست على جبل الجودي، ثم استخدم

(١) سورة البقرة / ١٠٢ .

(٢) سورة العنكبوت / ١٤ .

(٣) ابن كثير، قصص الأنبياء، ج ١، ص ٧٨ .

(٤) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٢٣٩ . وينظر مثل ذلك في ديوان ابن الخطيب، ١ / ٣٤٤ .

(٥) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٣٤٤ .

الشاعر الجناس في (جوده، والجودي) ليضيف صورة شعرية جميلة على البيت الشعري من خلال نقله لقصة النبي نوح والطوفان.

سابعاً : قصة النبي أيوب .

مكث أيوب عليه السلام بعد ما ألقى على الكناسة سبع سنين وأشهرًا ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امرأته التي صبرت معه، وكانت تأتيه بالطعام وتحمد الله تعالى مع أيوب، وكان أيوب مواظباً على حمد الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه؛ فصرخ إبليس صرخة جزعاً من صبر أيوب فاجتمع جنوده من أقطار الأرض وقالوا له: ما خبرك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي سألت الله أن يسلطني عليه وعلى ماله وولده فلم أدع له مالاً ولا ولداً ولم يزد بذلك إلا صبراً وحمداً لله تعالى ثم سلطت على جسده فتزكته ملقى في كناسة وما يقربه إلا امرأته، وهو مع ذلك لا يفتر عن الذكر والحمد لله فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له: أين مكرك أين عمك الذي أهلكت به من مضى. قال بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا علي قالوا أدليت آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته؟ قال: من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته^(١)، وكذلك استلهم ابن الخطيب في الشطر الثاني (درع داوود) التي ربطت به " وبقيت هذه الدروع مثالا حيا للتراث العربي الحي ينطق بالمجد والسؤدد عبر السنين " ^(٢) فقال ابن الخطيب^(٣):

نَادَيْتُ قَلْبِي إِذْ لَاحَتْ طَلَائِعُهُ يَا صَبْرَ أَيُّوبَ: هَذَا (دِرْعُ دَاوُودَ)

ونلاحظ أن ابن الخطيب قد اقتبس من قصة النبي أيوب قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ

رَبَّهُ وَآنِي مَسْنَىٰ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ ^(١)

ومن قصة النبي داود قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ

فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ ^(٢)، لقد استلهم الشاعر كلا القصتين ليعبر عن عزم ممدوحه (السلطان)

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢٢، ص١٧٨ .

(٢) التكريتي، المضامين التراثية، ص٩٥ .

(٣) ديوان ابن الخطيب ١/ ٣٢٤ .

(٤) سورة الأنبياء/ ٨٣.

(٥) سورة الأنبياء/ ٨٠.

في صبره على البلاء وقوة مقاومة له، ثم استمد القوة والعزم من درع النبي داود -عليه السلام- ليؤكد به صلابة قلبه وعزمه في مواجهة الصعاب.

ثامناً : قصة عيسى عليه السلام.

فقد استلهم ابن الخطيب من قصة النبي عيسى - عليه السلام - معجزاته التي أبهرت الناس حيث قال(١):

هَيْهَاتَ لَا تُغْنِي لَعَلَّ وَلَا عَسَى فِي مِثْلِهَا إِلَّا لآيَةِ (عِيسَى)

وقد اقتبس من قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ (١)

ونلاحظ أنه قد بالغ في ذكر ممدوحه السلطان أبي حمو موسى حيث شبهه بأن لديه معجزات كالتي عند النبي عيسى عليه السلام وهذا أمر مبالغ فيه؛ لأن هذه المعجزات قد اختص بها النبي عيسى عليه السلام فقط .

تاسعاً: قصة ذي القرنين .

استلهم ابن الخطيب قصة ذي القرنين وبنائه للسد بوجه يأجوج ومأجوج، وأشار إليها في أكثر من موضع. فيقول(٢):

فَقُلْ لَهُمْ لِلْحَقِّ فِي الْخَلْقِ صَوْلَةٌ وَلَوْ نَفَرْتَ (يَأْجُوجُ) وَارْتَفَعَ الرَّدْمُ

(١) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٧٢٣ .

(٢) سورة المائدة / ١١٠ .

(٣) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٤٥ . وينظر مثل ذلك في ديوان ابن الخطيب ١ / ٢١٢ ، ٤٤٦ .

وقد استدعى القصة من قوله تعالى ﴿ قَالُوا يٰذَا الْقَرِينِ إِنَّ يٰأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٦﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ

أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴿١﴾ ، وقيل إنه كان نبياً وقيل إنه كان ملكا عادلا صالحا (٢) .

وهنا أشار الشاعر إلى قصة يأجوج ومأجوج ونفوذهم في آخر الزمان وارتفاع الردم وانهيار السد، فعندها يكون هناك صولة للحق تعلقو فوق قوتهم ويأتي الله بخلق يقيمون الحق ويأمرون به وينصرون المظلوم ويمحون الظلم ، وقد أشار الشاعر إلى هذه القصة ليؤكد عزم ممدوحه على إعلاء كلمة الحق ورفع الظلم.

عاشراً: قصة الإسراء والمعراج .

ومن الأحداث التي تأثر بها شاعرنا بعد بعثة النبي ﷺ قصة الإسراء والمعراج إذ أسرى الله - عز وجل - بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهذه القصة يعظمها الحق جل جلاله في قوله تعالى: ﴿ سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِّنْ ءآيٰتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (١) ، وهو نبينا محمد ﷺ أي : تنزيهاً له عن الأماكن والحدود والجهات، إذ هو أقرب من كل شيء إلى كل شيء، وإنما وقع الإسراء برسوله ليقتبس أهل العالم العلوي، كما اقتبس أهل العالم السفلي، فأسرى به ليلاً من المسجد الحرام بعينه(٢). فقد استلهم ابن الخطيب هذه الحادثة فقال(٣):

تَبَوَّأَهَا مِنْ خَيْرَةِ الرُّسُلِ مَنْ سَمَتْ بِهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فِيهَا الْمَطَامِحُ

(١) سورة الكهف / ٩٤ - ٩٥ . وينظر : الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ٤، ص ٢٣١ .

(٢) الثعلبي، ابن أسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (٤٢٧هـ)، الكشف والبيان، تحقيق : أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م ، ج ٦، ص ١٨٩ .

(٣) سورة الإسراء / ١ .

(٤) ابن عجيبة ، البحر المديد، ج ٤، ص ٧٣ .

(٥) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٢٢٥ . وينظر مثل ذلك في ديوان ابن الخطيب / ١ / ٢٠٢ ، ٣٥١ .

وَبِالْأَفُقِ الْأَعْلَى مِنَ الْعَرْشِ قَدْ سَمَتْ سَجَايَاهُ ، يَا اللَّهُ تِلْكَ السَّجَائِحُ!^١

وهنا يمدح الشاعر الرسول الكريم محمد ﷺ ويصور مكانته العالية عند الله عز وجل لأن هذه المعجزة الربانية العظيمة خصت بالنبى محمد ﷺ عن سائر الأنبياء والرسل، ثم يرسم الشاعر صورة المسرى في الأفق ونيل السجايا الحميدة التي خص بها النبى ﷺ.

استدعى ابن الخطيب القصص القرآنية ووظفها توظيفاً دينياً في شعره ليؤكد عمق تأثره بالتراث الديني من خلا إعادة تلك التجارب في سياق التشكيل للألفاظ والمعاني والأفكار، التي تدخل ضمن حدود القرآن.

المبحث الثالث: أثر الأحاديث النبوية الشريفة.

استطاع ابن الخطيب أن يجعل من الحديث النبوي الشريف رافداً آخر لإبداعه الشعري، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾^(٢)، وإن هذه الآية فيها دليل واضح على تزكية أحاديث الرسول ﷺ إضافة إلى أن الأحاديث النبوية تزيد النص الشعري قوة في المعنى.

ومن ذلك قول ابن الخطيب في ميلاد النبى ﷺ، وهو يصور اشتياقه إلى الديار المقدسة، ويحث جفونه على البكاء، فعدم نزول الدمع منها يُعدُّ ظلماً لأنها غنية به. فيقول^(٣):

وَقُلْتُ لِحَفْنِي، إِنْ دُعِيتْ لِعَبْرَةٍ فَسَاعِدْ بِهَا (مَطْلُ الْعَنِيِّ مِنَ الظُّلْمِ)
وَلِمَ لَا؟ وَقَدْ حَلَّ الرِّكَابُ بِيَثْرِبِ وَبُوتُ بِشَحْطِ الدَّارِ مِنْهَا عَلَى رَعْمِ

فقد استلهم الشاعر هذا الحديث ووظفه في هذه الصورة الشعرية، وقد اقتبس من قول النبى محمد ﷺ " مَطْلُ الْعَنِيِّ ظُلْمٌ وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيُتْبِعْ"^(٤)، ومعناه ترسيخ فكرة حب الشاعر للرسول الكريم وتوقه الشديد لزيارة الأماكن المقدسة^(٥).

(١) السجائح : سجع ورفق ويقال (ملكت فأسجح) أحسن العفو وتكرم، وإذا سألت فأسجح سهل ألفاظك وارفق . إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤١٦.

(٢) سورة النجم / ٤-٣ .

(٣) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٢٩ . وينظر مثل ذلك في ديوانه ١ / ٣٦٨ .

(٤) ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله (ت ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر، بيروت (دب)، ج ٢، ص ٨٠٣.

(٥) ديوب، بنية القصيدة الشعرية عند لسان الدين بن الخطيب، ص ١٢٣.

وفي موضع آخر يقتبس من الحديث النبوي الشريف الذي ورد فيه: " قال رجل يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل ؟ قال اعقلها وتوكل " (١) ومعنى الحديث " المراد طمأنينة النفس، لا أن ذلك يدفع القدر، وكذلك في أخذ الحذر فهو الدليل في ذلك " (٢) فقال ابن الخطيب مقتبساً من هذا الحديث (٣):

وَالْيُسْرُ، بَعْدَ الْعُسْرِ، مَوْعُودٌ بِهِ وَالصَّبْرُ بِالْفَرْجِ الْقَرِيبِ مُوَكَّلٌ
وَالْمُسْتَعِدُّ لِمَا يُؤْمَلُ ظَافِرٌ وَكَفَاكَ شَاهِدٌ (قَيِّدُوا وَتَوَكَّلُوا)

وهذان البيتان جزء من قصيدة " خاطب بها السلطان حين عاد من المغرب إلى الأندلس، وأعاد الله تعالى عليه ملكه الذي كان خلع منه، ويقال: إن السلطان أمر بكتب هذه القصيدة على قصوره بالحمراء إعجاباً بها، وإنها إلى الآن لم تنزل مكتوبة بتلك القصور التي استولى عليها العدو الكافر، أعادها الله تعالى للإسلام، وأول هذه القصيدة" (٤):

الْحَقُّ يَعْطُو وَالْأَبَاطِلُ تَسْفُلُ وَاللَّهُ عَنِ أَحْكَامِهِ لَا يُسْأَلُ

قال لسان الدين رحمه الله تعالى: نظمها للسلطان وأنشدتها بعد الفتح وفاء بنذري وسميتها " المنح الغريب في الفتح القريب" (٥)، ونلاحظ أن ابن الخطيب قد ربط بين الحديث الشريف وحكمة السلطان ونظرته الثاقبة في حسم الأمور ثم توكله على الله بعدها.

وفي موضع آخر يقول ابن الخطيب من قصيدة يتوجع فيها لفقد الشبيبة (٦):

تَعَارُ الرِّيَّاحُ السَّافِيَاتُ بِطَارِ فِي فَمَا، إِنَّ تَرِيمَ الرَّكْضِ حَوْلَ هِضَابِي
فَإِنَّ سَجَعَ الرُّكْبَانَ فِي بَمِدْحَةٍ حَثَّتْ، فِي وُجُوهِ الْمَادِحِينَ، تُرَابِي

(١) الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى ، الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار أحياء التراث العربي ، بيروت (د.ت)، ج ٤ ، ص ٦٦٨.

(٢) الثعلبي، الكشف والبيان ، ج ٣ ، ص ٣٤٣.

(٣) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٤٩٥.

(٤) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٤٩٥. والمقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب: تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج ٦، ص ٤٧٨.

(٥) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٤٩٥.

(٦) ديوان ابن الخطيب ١ / ١٥٦.

وهنا يستلهم الشاعر من الحديث الشريف القائل "إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَاحِينَ فَاحْتُوا فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ" (١)، فالشاعر يفتخر بنفسه، ويرى ذاته أعلى من المدح والمادحين، فلا تحتاج إلى الثناء من أحد .

وفي موضع آخر يقول (٢):

قَبْلَتْهُ حُلُو الْمَرَاشِفِ أَسْمَرًا وَأَجَبْتُهُمْ إِذْ عَاتَبُونِي لَيْلَتَهُ
هُوَ مُشْبِهٌ لِلنَّحْلِ فِي أَوْصَافِهِ أَفْمُنْكَرٌ أَنِّي (أَذُوقُ عُسَيْلَتَهُ)

وقد اقتبس من قول النبي ﷺ " طلق رجل امرأته ثلاثا فتزوجها رجل ثم طلقها من قبل أن يدخل بها ، فأراد زوجها الأول أن يتزوجها ، فسأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : لا ، حتى يذوق الآخر من عُسَيْلَتِهَا ما ذاق الأول " (٣)، ونلاحظ من هذا المقطع الغزلي لابن الخطيب بأنه قبل الحبيبة، وهو يريد أن يجامعها ويذوق عسيلتها لأن أوصافها كلها كالعسل.

وفي موضع آخر أخذ بن الخطيب صورة شعرية من الحديث الشريف "الْمُنْبَتُّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى" (٤) فقال (٥):

نَهَضُوا وَقَدِ جَنَّ الدُّجَى وَتَخَالَفَتْ سُبُلُ الرَّدَى فَمُسَدَّدُونَ وَضَلُّوا
سَلْنِي عَنِ الْمُنْبَتِّ حِينَ تَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهُ تِيهَا وَلَا مَنْ يَسْأَلُ

يبين الشاعر أن هذا الدين يحتاج إلى تألُّ في العبادة فيه، فإنه دين محبة وسلام ، وابن الخطيب يربط هذا الكلام بحديث النبي " فإن هذا الدين متين فأرغل فيه برفق ولا تبغض إلى

(١) النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم (ت ٢٦١هـ)، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥م . رقم الحديث (٧٦٩٨)، ج ٨، ص ٢٢٨.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١/ ١٨٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، (ت ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ٢٠٠١م، رقم الحديث (٥٢٦١)، ج ١٣، ص ٢٦٠.

(٤) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم الحديث (٤٧٧٦)، ج ٩، ص ١٠٥.

(٥) ديوان ابن الخطيب ٢/ ٥١١.

نفسك عبادة الله فإن المنبت^(١) لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى^(٢)، ونلاحظ أن ابن الخطيب يستلهم الحكمة من حديث النبي بأن لا تكلف نفسك ما لا تطيق، فإنك لن تصل إلى مبتغاك إلا بالتأني .

أما الموضوع الآخر الذي اقتبس منه ابن الخطيب فهو من قول النبي ﷺ " لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموه فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف"^(٣).

وفي موضع آخر يقول ابن الخطيب^(٤):

أَصْبَحَ الْخُدُّ مِنْكَ جَنَّةً عَدْنٍ مُجْتَلَىٰ أَعْيُنٍ وَشَمِّ أَنْوْفٍ
ظَلَّلْتَهَا مِنَ الْجُفُونِ سَيْوْفٍ (جَنَّةُ الْخُدِّ تَحْتَ ظِلِّ السَّيْوْفِ)

فقد اقتبس الشاعر في هذين البيتين جزءاً من الحديث النبوي الشريف ليؤكد به عن جمال محبوبته حيث صور خدها بجنة عدن، ثم وصف عينها وأنفها، وشبه جفونها بالسيوف وجعل الجنة تحت ظل السيوف أي تحت جفونها، فجمع الشاعر كل الدلالات الجمالية من الجنة وظلالها ليعبر بها عن حسن محبوبته وجمالها.

وقد استخدم ابن الخطيب في ديوانه مواضع أخرى من الأحاديث الشريفة التي جاءت لتصبح مورداً آخر يغني أشعاره ويكسوها حلة جديدة تزيد من بلاغتها وسبكها^(٥).

مضامين أخرى :

منها مدح الرسول الكريم : ويقصد به ذكر صفاته وأعماله والأحداث التي جرت في زمنه ، وقد ظهر هذا النوع من المديح في الأندلس في أوائل القرن السابع الهجري، وكان معروفاً في المشرق^(٦)، وسبب شيوعه في هذا القرن كما يرى حكمة علي الأوسي " الهزائم المتلاحقة التي

(١) المنبت: يقال لمن يبالغ في طلب الشيء ويفرط حتى يفوته على نفسه، أو هو الذي أتعب دابته حتى عطب ظهره فبقي منقطعاً به. ابن فارس، أبي الحسين أحمد (ت ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، سورية، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ١٧١.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١، ص ٢٢٣.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٦٦٣) ج ٣، ص ١٠٣٧.

(٤) ديوان ابن الخطيب ٦٨١/٢.

(٥) وينظر مثل ذلك في ديوان ابن الخطيب، ١٠٧/١ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٨٥ ، ٢٥٨ ، ٢٩٣ ، ٣٣٥ ، ٤٥٥/٢ ، ٤٩٨ ، ٥٩١ ، ٦٥١ ، ٦٥٦ ، ٦٩٦ ، ٧٢٥ ، ٧٦٠ .

(٦) الربيعي، القصص القرآنية، ص ١٥٩.

مني بها الحكم الإسلامي خلال هذا العصر في الأندلس ٠٠٠ فالتجأت النفوس المؤمنة بالله واليائسة من خير الحكام إلى التشفع بالنبي والاستنجاد به في تلك المحن^(١) ورأى ابن الخطيب أن في ذكر الرسول ﷺ واستحضار صفاته ومناقبه واستعراض بعض معجزاته والتذكير بمواقفه الجهادية استنهاضاً للنفوس المسلمة وشد عزيمتهم في سبيل مواجهة ذلك العدوان الضاري من قبل أنصار الصليب^(٢).

أما المناقب التي ردها ابن الخطيب فتتمثل في معجزاته ﷺ ومنها، تكلم الجذع، وانشقاق البدر، ومعجزة القرآن، ومعجزة المعراج، وفيها طلب جبريل من النبي ﷺ امتطاء البراق^(٣) وكان سيره ليلاً وزيارته المسجد الأقصى وصعوده إلى السماء ووصوله إلى سدرة المنتهى وقربه من الله تعالى قاب قوسين أو أدنى وغيرها^(٤). يقول ابن الخطيب^(٥):

لك المعجزات العرُّ يبهر نورها إذا أربد من جُحِ الضلال بهيمه
 وحسبك من جذع تكلم مفصحا وقد دميت يوم الفراق كلومه
 وبدر بدا قسمين، فالقسم ثابت مقيم وقد أهوى إليك قسيمه
 ودل لمسراك البراق كرامة وساعد منه وخذه ورسيمه^(٦)
 ومن فوق أطباق السماء بك اقتدى خليل الذي أوطاها وكليمه
 ومعجزة القرآن أجلى فائنه عجايبه لا تقضي وعلومه

ومن المضامين التراثية تضمينه لصلاة الاستسقاء يقول^(٧):

(١) الأوسي، حكمة علي، الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٢٣٥.

(٢) المالكي، سعيد بن مسفر سعيد العاصمي، المدحة في شعر لسان الدين بن الخطيب الغرناطي (٧٧٦هـ)، البعد التشكيلي، (رسالة ماجستير)، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢م، ص ٦٩.

(٣) البراق : اسم دابة ركبها سيدنا محمد ﷺ ليلة المعراج، وسميت بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه، وقيل لسرعة حركته شبهه فيها بالبرق وشيء براق ذو بريق، ينظر : ابن منظور، لسان العرب، مادة (برزق).

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٦، ص ١٤١.

(٥) ديوان ابن الخطيب، ٥٥١/٢ . وينظر مثل ذلك في ديوان ابن الخطيب، ٢٢٨ / ١، ٢٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٤١٩ ، ٥٣٠/٢ ، ٥٣١ ، ٦١٢ ، ١١٨ .

(٦) الوخذ ضرب من سير الإبل وهو سعة الخطو في المشي. أما الرسم فهو بقية الأثر. ابن منظور، لسان

العرب، مادة (وخده)، ومادة (رسم)

(٧) ديوان ابن الخطيب ٦٩٤ / ٢.

وَقَدْ قَلَبَ السُّوسَانَ^(١) فِيهَا رِدَاءَهُ كَأَنَّ النَّعَامِيَّ^(٢) أُبْرَزَتْهُ لِيَسْتَسْقِيَ
كَأَنَّ عَلِيلَ النَّرْجِسِ اهْتَجَّ دَاوُهُ وَقَدْ قَعَدَتْ يَبْكِيهِ سَاجِعَةُ الْوُرْقِ

لقد أشار الشاعر من خلال هذين البيتين إلى صلاة الاستسقاء وأهميتها وهي سنة مؤكدة تصلى عند انقطاع الغيث، حيث يقلب المصلون رداءهم وينهلون بالتضرع والدعاء إلى الله عز وجل طلباً لنزول الغيث، حيث يقلب النبات رداءه من العطش وهو يستقي من رياح الجنوب الرطبة، ويشبه القحط والجوع بمرض النرجس الذي هاج مرضه وقد قعد يبكيه الورق الأصفر الممزوج بالعطش.

تضمن مصطلحات فقهية :

قال ابن الخطيب^(٣):

يَمَّمْتَهَا، وَالْمَاءُ مَوْجُودٌ لَهَا نَحَرَ الْعَدُوَّ فَكَانَ خَيْرَ تَيْمَمٍ
حَمَلَتْ رَجَالًا كَاللُّيُوثِ مَصَاعِبًا صَبْرًا عَلَى لَفْحِ الْمِصَاعِ^(٤) الْمُضْرَمِ

ونلاحظ أنه قد ضمن مسألة فقهية وهي التيمم بدل الوضوء بالماء البارد حيث جمل هذه القصيدة بهذه المسألة التي مدح بها السلطان بعد أن انتصر المسلمون في هذه المعركة البحرية على الروم من عام أربعين وسبعمئة^(٥)، وهو تضمنين لحديث النبي محمد ﷺ " إذا وجد أحدكم البرد قال هكذا يعني تيمم وصلّى"^(٦).

ونلاحظ مما سبق أن التضمنين للحديث الشريف جاء بصيغة الاقتباس الإشاري فقط.

(١) السوسن: نبت أعجمي معرب، وأجناسه كثيرة وأطيبه الأبيض. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوسن).

(٢) النعامي: وتسمى الريح الجنوب وهي أبلُّ الرياح وأرطبها، والنعامي بلغة هذيل. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ج٣، ص٦١.

(٣) ديوان ابن الخطيب ٥٣٨/٢. وينظر مثل ذلك في ديوان ابن الخطيب، ١/ ١٥٥، ١٦٤، ٣٤٧، ٦٠٧/٢.

(٤) المصاع: الجراد والضرب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (مصع).

(٥) ديوان ابن الخطيب ٥٣٧ / ٢.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٤٥)، ج١، ص ٣٥٥.

الفصل الثاني

المضامين التاريخية والثقافية

المبحث الأول:

أولاً: استدعاء القبائل

ثانياً: استدعاء المكان

المبحث الثاني:

أولاً: استدعاء الشخصية التاريخية

ثانياً: استدعاء الوقائع والأحداث التاريخية

المبحث الثالث:

أولاً: استدعاء المقولات الأدبية

ثانياً: استدعاء عرائس الشعر

الفصل الثاني

المضامين التاريخية والثقافية

يعدُّ التراث التاريخي سجل الأولين، يقيدون فيه بطولاتهم ووقائعهم وانتصاراتهم وهزائمهم، ونتعرف من خلاله على ما أنجز خلال الحُقب الزمنية الماضية في مناحيها المختلفة السياسية والعمرانية والحياتية، "وإن هذا الإنجاز هو الذي يؤكد حضور الأمة في التاريخ ويمنحها أصالة وعراقة، وكل أمر استطاع أن يدخل التاريخ وأن يخلد نفسه سواء في واقعة أو في شخصية أو في صفة عمرانية، فهو جدير بالاعتزاز ممن ينتمون إليه، والتاريخ العربي مليء بمثل هذه الحوادث والشخصيات، والتراث ومن ضمَّنَه التاريخي، هو الجذر الذي يمتد في القِدَم وفيه تشكل هوية الأمة، وإن الشاعر العربي عامة والشاعر الأندلسي خاصة جزء من الشخصية القومية وهذا التراث جزء من شخصيته وهويته"^(١).

والشاعر الأندلسي يتعامل مع الحقب بما يلائم الحدث الحالي والمعاصر له فإنه " يضيف عليها من نفسه وواقعه وطبيعة الحالة النفسية التي دفعته إلى الاستعانة بجزء من التاريخ، وهو يتعامل معها على وفق قناعاته بما تكتنفه هذه المادة التاريخية من قيمة معنوية ودلالة إيحائية يريد إيصالها إلى ذهن المتلقي وشعوره"^(٢).

(١) الجبوري، المضامين التراثية، ص ١٢٣ .

(٢) حداد، علي، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م، ص ٨٠.

المبحث الأول:

أولاً: استدعاء القبائل .

إن العرب منذ القدم يهتمون بإثبات نسبهم إلى العرب الأقباح من العدنانيين والقحطانيين^(١) كونه " معياراً مهماً من معايير الانتماء القومي في تلك المرحلة في حياة الأمة، وهذا التأكيد يستند إلى حقيقة أساسية هي: أنه من غير الممكن أو المعقول تصور وجود مجمع بشري من غير أن يكون له نسب محدد"^(٢). وبعد استقرائي لديوان ابن الخطيب تبين إن أكثر القبائل حضوراً في شعر لسان الدين بن الخطيب هي قبيلة الخزرج^(٣).

فيقول ابن الخطيب^(٤):

وَسَمَا انْتِمَاءً فِي دُؤَابَةِ (خَزْرَج) فَزَكَتْ أَرْوَمَتُهُ وَقُدَّسَ بَيْتُهُ
بَيْتٌ عِمَادُ غُلَاهُ (سَعْدُ عِبَادَةَ)^(٥) وَطَنَابُهُ الْأَنْصَارُ نِعَمَ الْبَيْتِ بَيْتُهُ

(١) عدنان وهم ذرية إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام) فينسبون إلى ربيعة ومضر، وأما قحطان وهم اليمانية ذرية قحطان بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح (عليه السلام) فينقسمون إلى حمير وكهلان. الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ٢، ص ١٦٢. وينظر: ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٧. وينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٣٠.

(٢) الراوي، مصعب حسون، الشعر العربي قبل الإسلام بين الانتماء القبلي والحس القومي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م، ص ٤٤.

(٣) الخزرج: وهم بنو الخزرج بنو الحارثة بن ثعلبة البهلول بن عمرو مزريقاء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة العنقاء بن مازن بن الأزد، وكانوا يقطنون المدينة مع الأوس ونشبت بينهما حرب طويلة، فجمعت الأوس وحشدت بأحلافها ورأسوا عليهم أبا قيس بن الأسلت يومئذ، أما الخزرج فكان عليهم سعد بن عباد، وقتلت بينهم قتلى كثيرة وكان الطول يومئذ للأوس. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٥٣. كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة، ط ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م، ج ١، ص ٣٤٢.

(٤) ديوان ابن الخطيب ١ / ١٨٤.

(٥) سعد بن عباد بن دليم بن حارثة، الخزرجي، أبو ثابت (ت ١٤هـ)، صحابي، من أهل المدينة. كان سيد الخزرج، وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام. وكان يلقب في الجاهلية بالكامل (لمعرفته الكتابة والرمي والسباحة) وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٨٥.

والجدير بالذكر أن ابن الخطيب عاش في زمن بني الأحمر، الذين ينتمي نسبهم إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج^(١)، ولذا نراه يكثر من مدح الخزرج وذكرهم، وكل من ينتمي إلى قبيلتهم، بل إنه يزيكها ويعدها ذات عماد لا ينهدم، وبيتاً مقدساً؛ لأن أصولها متمثلة بسيدها سعد بن عبادة، وإضافة إلى ذلك فهم من الأنصار الذين ناصرُوا النبي ﷺ. ثم يجدد الافتخار في موضع آخر فيقول^(٢):

فَكَيْفَ لَا يُحَرِّزُ إِرْثَ الْعُلَى مَنْ وَرِثَ (الْأَنْصَارَ) وَ (الْخَزْرَجَا)

ويعد الانتماء إلى الأنصار والخزرج إرثاً عظيماً ومكرمة كبيرة يفخر بها كل من ينتسب إليهما .

واستدعى ابن الخطيب قبيلة "حمير"^(٣)، وهي من القبائل التي ذكرها أهل الأندلس في مجال المدح لأن أصل الملوك من حمير^(٤).

ويذكر قبيلة حمير وهو يمدح السلطان أبا الحجاج، يقول^(٥):

لَوْ أَنَّ (حَمِيرَ) أَغْفَلَتْ أَيَّامَهَا لَشَكَّتْ إِلَيْهِ "عِيَاثَ ذِي الْأُدْعَارِ"^(٦)

يَا ابْنَ الْخَلَائِفِ، وَالَّذِينَ إِذَا اخْتَبَوْا أَبْصَرْتَ فِي النَّادِي هَضَابَ وَقَارِ

(١) عنان، لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، ص ١٢.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١/ ٢٠٤.

(٣) حمير: حمير بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير بن سبأ الأصغر بن لهيعة بن حمير بن سبأ بن يشجب، وهو حمير الأكبر، وحمير الغوث هو حمير الأدنى، ومنازلهم باليمن بموضع يقال له حمير غربي صنعاء. الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠٦-٣٠٧. وينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠٦.

(٤) القيرواني، ابن رشيق أبو علي الحسن (ت ٤٦٣هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، طه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٥) ديوان ابن الخطيب ١/ ٣٧٠.

(٦) ذو الأُدْعَار: هو عمرو بن أبرهة ذي المنار بن الحارث الرائش، من حمير: وهم ملوك اليمن. ولي بعد أخيه العبد بن أبرهة. وهو معاصر للنبي سليمان ﷺ. كان جباراً، ظلم الناس، فلقبوه بذو الأُدْعَار. وثار في أيامه شرحبيل بن عمرو، فأنشأ دولة في " مَأْرَب " انتقلت بالإرث إلى ابنه الهدهاد ثم إلى بلقيس. وضعفت بلقيس فجئ بها إلى ذي الأُدْعَار. فقتلته بحيلة، في غمدان. وفي سيرته اختلاف في الروايات والأقوال. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٥٩. وينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٧٢.

فهو يثني على مكانة حمير العظيمة، وأن لها أياماً لا تنسى، فلو أنها تركت مكانتها العظيمة، لغزاها الشر متمثلاً بذي الأذعار؛ ولكن بوجودك يا ابن الخلائف نستطيع أن نجتاز المحن ونقاوم الشر القادم من أي مكان.

وضمن ابن الخطيب "القحطانية اليمانية"، فقد اهتم الشعراء بالنسبة إليها، وامتدحوا كل من ينتسب إلى قحطان؛ وذلك لأن القحطانيين هم أصل العربية، وإليهم تنسب الشجاعة والكرم، قال ابن الخطيب^(١):

قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ الْيَمَانِيِّينَ الْأُولَى نَصَرُوا الْهُدَى وَتَبَوَّأُوا بِالذَّارِ
قَامُوا بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَالْإِسْلَامِ مَا بَيْنَ الْعَدُوِّ ، وَمُزْبِدِ زَخَّارِ

فقد مدح ابن الخطيب السلطان أبا الحجاج بانتسابه إلى الأصول الأولى للعرب، وفي البيت الثاني يجدد المدح بأنهم ناصروا النبي ﷺ وساندوه في المدينة، والشاهد في هذا البيت، أن الشاعر يمدح السلطان بانتسابه إلى النسب العربي الأصيل .

وفي موضع آخر يستلهم ابن الخطيب عدداً من القبائل العربية، فيوظفها في شعره على أنها

قبائل عريفة يرجع نسبها إلى "يعرب" فيقول^(٢):

مِنْ دَوْحَةِ "الْأَزْدِ"^(٣) حَيْثُ الْحَيُّ مِنْ "يَمَنِ" بِشَطِّ "عَسَّانٍ"^(٤) مِنْ بَعْدِ السُّرَى نَزَلَا
ثُمَّ اسْتَرَادَ جَنَابَ اللَّهِ "خَزْرَجُهُ" حَتَّى أَحَلَّ بِأَعْلَى "يَثْرِبَ" الْحِلَالَ
مِنْ كُلِّ أَرْوَغٍ تَبْدُو فِي أَسْرَتِهِ سِمَاتُ "يَعْرَبٍ" تَأْبَى الشُّؤْبَ^(٥) وَالذَّخْلَا^(٦)

(١) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٦٩ .

(٢) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٧٦٤ .

(٣) الأزْد: من أعظم قبائل العرب وأشهرها، تنتسب إلى الأزْد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من القحطانية. وتنقسم إلى أربعة أقسام: أزْد شنوءة . أزْد غسان. أزْد السُّرَاة. أزْد عُمان. ينظر : كحالة، معجم القبائل ، ج١، ص١٥ - ١٦ .

(٤) عَسَّانُ : ماء بسد مأرب باليمن، فسُموا به، ويُقال: عَسَّانُ: ماء بالمُثَلَّلِ. البلادي، عاتق بن غيث (ت١٤٣١هـ)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر، مكة المكرمة، ١٩٨٢م، ج١، ص٢٢٦ . وينظر : الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٠٣ .

وفي هذه الأبيات تضمين للقبائل التي يرجع نسبها الأول إلى يعرب؛ لأنه الملك الأول وإليه يرجع الفخر، ويذكر " الخزرج " بأنها نزلت بيثرب التي شرفها الله باسم المدينة المنورة، وأن هذه القبائل عريقة النسب بسبب انتمائها إلى يعرب حيث الأصالة .

ومن القبائل الأخرى التي ضمنها ابن الخطيب في شعره قبيلة "لَحْم" (٧)، في خطابه للوزير " أبي بكر " ابن ذي الوزارتين أبي عبدالله بن الحكيم (٨)، يقول (٩):

وَأَنْتَ مِنَ الصَّيْدِ الَّذِينَ سَمَتْ بِهِمْ أَرْوَمَةٌ "لَحْمٍ" فِي حَدَائِقِهَا الْغُبِ

ويزيد فخر قبيلة لحم لأنك منها، ويشير إلى كثرة عدد أفراد القبيلة؛ إذ يصورهم بالحديقة المتكاثفة الأشجار .

ويذكر ابن الخطيب بعض القبائل كـ (عاد) (١٠) وطسم (١١) وعملاق (١٢) في سياق مدح أبي زيان (١٣) المتوكل (١٤):

(١) الشَّوْبُ: الخَلْطُ شاب الشيء شوباً خلطه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (شوب).

(٢) الدَّخْل: العيب والغش والفساد. ابن منظور، لسان العرب، مادة (دخل)

(٣) لَحْمٌ واسمه مالك بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أد بن زيد ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، من القحطانية. كانت مساكنهم متفرقة، وأكثرها بين الرملة، ومصر في الجفار، ومنها في الجولان، ومنها في حوران . كحالة، معجم البلدان، ج٣، ص١٠١٢ . وينظر : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج١، ص٤٢٣ .

(٤) هو الوزير أبو بكر (٦٦٥هـ - ٧٥٠هـ) ألف كتاب (الموارد المستعدية والمقاصد المنتخبة) . ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٧٦ .

(٥) ديوان ابن الخطيب ١ / ١١٧ .

(٦) عاد بن عَوْص: من العرب العاربة البائدة، وهم: بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، ويقال لعاد هؤلاء: عاد الأولى. وكانت منازلهم بالأحقاف، وهو الرمل ما بين عمان إلى الشحر، إلى حضرموت، إلى عدن أبين، وعاد ليست لها باقية بيقين قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِجِّ صَصْرِ عَاتِيَةٍ ﴾ سورة الحاقة ٦٠ . ابن حزم،

جمهرة انساب العرب، ج ١، ص ٧ . وينظر: كحالة، معجم القبائل، ج ٢، ص ٧٠٠ .

(٧) طَسْمٌ: قبيلة من العرب العاربة، تنتسب إلى طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. كانت ديارها اليمامة، وما حولها إلى البحرين، وقد انقرضت. ابن حزم، معجم أنساب العرب، ج ١، ص ٤٦٢ . كحالة، معجم قبائل العرب، ج ٢، ص ٦٨٠ .

(٨) عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح، وطسم وعملاق أخوان. الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٨٤ . وينظر: كحالة، معجم القبائل، ج ٢، ص ٨٢٣ .

إِذَا هُوَ أُعْطِيَ لَمْ يَضِرْ مَنْعُ مَانِعٍ وَإِنْ حُسِدَتْ "طَسْمٌ" وَ"عَادٌ" وَ"عِمْلَاقٌ"

ونلاحظ أنه قد استدعى ثلاث قبائل في عجز البيت، ليزيد من قدر ممدوحه، فيذكر أنه لو أعطى لا يتأثر أبداً، وإذا أردت أن تطلب حاجة لا ترجو من أحدٍ إلا منه، فهو أهلٌ للعطاء خزانته ملأى، وهذا العطاء لا يتوقف ولو حُشدت قبائل طسم وعاد وعملاق.

وفي موضع يذكر أهل عذرة^(٧) ليؤكد بأن أهلها قد ألفوا العشق، وأصبح ينسب إليهم؛ لأن عقولهم وأشواقهم قد تقيدت بهذا العشق. يقول^(٨):

يَا رَحْمَةً لِلْعَاشِقِينَ تَقَحَّمُوا خَطَرَ النَّوَى ، وَعَلَى الشَّدَائِدِ عَوَّلُوا
طَارَتْ بِهِمْ أَشْوَاقُهُمْ فَعَقُولُهُمْ مَعْقُولَةٌ عَنْ شَائِهَا لَا تَعْقِلُ
عُذْرًا لَكُمْ يَا " أَهْلَ عُذْرَةَ " شَأْنَكُمْ سَلَّمْتُ فِيهِ لَكُمْ فَقُولُوا وَأَفْعَلُوا

ونلاحظ أن ابن الخطيب يعتذر لهم ويسوّغ موقفه بأن يقول لهم : قولوا وافعلوا أي شيء عمّن سواكم فشأنكم يختلف يا أهل عذرة.

وقد استلهم ابن الخطيب قبيلة أخرى ليضمنها في شعره ليرفع من شأن ممدوحه ويزيده فخراً بانتمائه إلى النسب الكناني^(٩) الذي منه النبي الكريم ﷺ يقول^(١٠):

(١) أبو زيان المتوكل على الله محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المريني . وكانت السيطرة للوزير عمر بن عبد الله أراد أن يفتك بعمر هذا، ولكن عمر فتك به . الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٤، ص٤٤.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٧٠٠ / ٢.

(٣) عُذْرَةٌ : عُذْرَةُ بن سعد: بطن عظيم من قضاة، من القحطانية وهم: بنو عذرة ابن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاة، وتتفرع منه أفخاذ عديدة، وعذرة هؤلاء هم المعروفون بشدة العشق . ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٢٤٧. وينظر: كحالة ، معجم قبائل العرب، ج٢، ص٧٦٨ .

(٤) ديوان ابن الخطيب ٥١٢ / ٢.

(٥) كنانة : هم كنانة بن خزيمة بن مدركة إخوة بني سعد ، وديارهم في جهات مكة، وأشرفها قريش، وحدثت فتنة بين كنانة وقيس فتقاتلا، وسميت هذه الحرب بحرب الفجار، ودامت عشرين سنة، وشهدها رسول الله ﷺ وكان صغيراً . ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج٢، ص٢١١ ؛ وينظر: البلادي، معجم معالم الجغرافية في السيرة النبوية، ج١، ص٦٤. وينظر : الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص٤٨١.

(٦) ديوان ابن الخطيب ٤٣٤ / ١.

أَصَبَحَتْ سَهْمًا مِنْ "كِنَانَةَ" صَائِبًا يَمْضِي إِلَى هَدَفِ الْكَمَالِ وَنَحْرِهِ
وَأَبُو الْمَكَارِمِ جَدُّكَ الْأَرْضَى الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى سِرِّ الْكَمَالِ وَجَهْرِهِ
مَا كَانَ يُدْعَى بِالْمَكَارِمِ كُنْيَةً إِلَّا بِكَوْنِكَ ثَاوِيًا فِي ظَهْرِهِ

وهنا استلهم قبيلة (كنانة) في ذكر ممدوحه "أبي المكارم الكناني" (٧) فشبهه على أنه سهمٌ من كنانة يمضي إلى هدف الكمال، وإن جده قد استولى على هذه المكارم العظيمة في السر والجهر، ولم يكن ليحصل على هذه المكارم ولا يُدعى بها؛ إلا لكونه ثاويًا في ظهره .

استطاع ابن الخطيب أن يضمن شعره عدداً من القبائل التي احتلت مكاناً في التراث التاريخي، وذلك من خلال ما خلده من مفاخر ومآثر تستحق الفخر، لاسيما إذا كان الممدوح يعود نسبه إلى قبيلة مشهورة ذات نسب يفتخر به، ولها إنجازات قد خلدها التاريخ .

ثانياً: استدعاء المكان .

اتخذ البعد المكاني التاريخي مساحة واسعة في شعر ابن الخطيب، فالمكان حاضر في ذهنه موصول بمشاعره، وقد جعل ابن الخطيب من المكان أحد المضامين التاريخية المهمة التي تغنى بها في شعره، ومن المعالم التي استلهمها واستدعى شخوصها (النيل، وإيوان كسرى، وغمدان، والكاظمية، وطيبة)، وغيرها من الأماكن التاريخية .

فنلاحظه قد استدعى أماكن حضارية خلدها التاريخ من عظم بنائها، ومنها قصر "غمدان" (٨)،

فيقول ابن الخطيب وهو يُهنئ (أبا سالم) (٩) بفتح (تلمسان) (١٠) يقول (١١):

(١) حفيده هو محمد بن محمد بن منديل الكناني ، قتل سنة (٧٧١هـ)، أما جده أبو المكارم، فهو علي بن أبي القاسم، وكان كاتباً للسلطان أبي يعقوب يوسف المريني، وكان أكثراً في العطاء حتى استغرق أموال الديوان . ينظر : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٧، ص٤٣٠.

(٢) غمدان : يقع في مدينة صنعاء باليمن ، ويعد من عجائب الهندسة المعمارية، ومن أقدم القصور الضخمة. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٥٣ . وينظر: البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز(ت٤٧٨هـ) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٢م، ج٤، ص١٠٠٢.

(٣) أبو سالم المريني (ت ٧٦٢ هـ) إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، أبو سالم، السلطان المستعين بالله من ملوك بني مرين في المغرب الأقصى. الزركلي، الأعلام، ج١، ص٥٢.

(٤) تلمسان: تلقب بـ (لؤلؤة المغرب الكبير) وهي مدينة في شمال غرب الجزائر، عاصمة دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط، وعرفت قديماً باسم أكادير وقد ترك فيها المرابطون والموحدون والمرينيون آثاراً . ويزعم

فَلَوْ رُمِيَتْ "مِصْرٌ" بِهَا وَ"صَعِيدُهَا" لَأَضَحَتْ خَلَاءً بَلْقَعاً بَعْدَ عُمَرَانَ

وَلَوْ يَمَّمَتْ "سَيْفَ بَنِ ذِي يَزَنِ" لَمَا تَقَرَّرَ ذَاكَ الْعِغْدُ فِي عِمْدٍ "عُمْدَانَ"

وفي موضع آخر يستدعي (إيوان كسرى)^(١) لِيُوظِّفَهُ فِي نَصِهِ الشَّعْرِي؛ لِأَجْلِ الْإِكْتَارِ وَالْمَبَالِغَةِ فِي مَدْحِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَجَّاجِ (٢):

شَاهَدْتُ كِسْرَى مِنْهُ فِي "إِيَوَانِهِ" وَلَقِيتُ رَبَّ النَّجَّاحِ مِنْ عُمْدَانَ

مِنْ "آلِ سَعْدِ الْخَزْرَجِ بْنِ عُبَادَةَ" صَحْبِ الرَّسُولِ وَأَسْرَةِ الْفَرَقَانَ

فقد استلهم من كسرى الشخصية التي وصفت بالعدل قبل الإسلام، وهو يلبس تاج الملك في (إيوانه) لِيُشَبِّهَهُ مَدْمُوحَهُ بِهَا، وَهَذِهِ الصُّورَةُ لَهَا دَلَالَاتٌ تَعْطِي لِلْمَدْمُوحِ صِفَةَ الْقُوَّةِ وَالْعِظْمَةِ وَالْحِزْمِ وَالْعَدْلِ تَشْبِيْهًا بِكِسْرَى، وَأَمَّا قَصْرُهُ فَقَدْ زَادَ شَهْرَةَ عَلَى قَصْرِ غَمْدَانَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ آلِ سَعْدِ الَّذِينَ نَاصَرُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ، بَلْ آمَنُوا بِهِ قَبْلَ وَصُولِهِ.

وفي موضع آخر يستدعي إيوان كسرى فيقول^(٣):

وَهَدَّ لَهَا "إِيَوَانَ كِسْرَى" مَهَابَةً وَأَخْمَدَ مِنْ نِيرَانَ "فَارِسَ" لَافِحَ

وفي هذا المكان يذكرنا بالحادثة التاريخية ولادة النبي الكريم ﷺ، فعندها انهد هذا القصر الكبير، وأطفئت نيران فارس لهذا الحدث الكبير، ويصف الإيوان مرة أخرى، ويضيف إليه حادثة انتكاس الأصنام في الكعبة تعظيماً لولادة النبي الكريم ﷺ فيقول^(٤):

بِمَوْلِدِكَ اهْتَزَّ الْوُجُودُ وَأَشْرَقَتْ قُصُورٌ بِبُصْرَى ضَاعَتِ الْهَضْبُ وَالْوَهْدَا

وَمِنْ رُغْبِهِ الْأَوْثَانُ خَرَّتْ مَهَابَةً وَمِنْ هَوْلِهِ "إِيَوَانُ فَارِسَ" قَدْ هُدَا

بعضهم أنه البلد الذي أقام به الخضر، عليه السلام، الجدار المذكور في القرآن . الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٤.

(١) ديوان ابن الخطيب ٥٩٠ / ٢.

(٢) إيوان كسرى: وهو في المدائن زعم أنه تعاون على بنائه عدة ملوك وقيل إن من بناه سابور بن إردشير وهو من أعظم الأبنية وأعلاها. الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٩٤.

(٣) ديوان ابن الخطيب ٥٧٦ / ٢.

(٤) ديوان ابن الخطيب ٢٢٦ / ١.

(٥) ديوان ابن الخطيب ٣٥٠ / ١.

ويذكر ابن الخطيب مدينة بابل، عندما يستدعي الشعراء مدينة (بابل) فإنهم ينسبون إليها
السحر المتمثل بالملكين هاروت وماروت، قال^(١):

بِكْرٌ مِنَ السَّحْرِ الْحَلَالِ " بِبَابِلِ " تُنْمَى إِلَى " هَارُوتِهِ " إِذْ تُنْسَبُ

ونكر ابن الخطيب مدينة (طيبة) وهي أحب الأماكن إليه، يقول^(٢):

تَخَلَّفَ مِنِّي رَكْبٌ " طَيْبَةٌ " عَانِيًا أَمَا أَنْ لِلْعَانِيِ الْمَعْنَى بِأَنْ يُفْدَى
مُخَلَّفٌ سَرِبٌ قَدْ أُصِيبَ جَنَاحُهُ وَطِرْنَ فَلَمْ يَسْطِعْ مَرَاحًا وَلَا مَعْدَى

ويجدد شوقه إلى مدينة الرسول ﷺ " يثرب " فيقول^(٣):

أَلَا يَا حُدَاةَ الرُّكْبِ يَبْغُونَ " يَثْرِبًا " وَيَلْقُونَ فِي اللَّهِ السَّامَةَ وَالْجُهْدَا

بِمَا بَيْنَنَا مِنْ خُلَّةٍ طَابَ ذِكْرُهَا إِذَا فَرَعَتْ عُوجَ الْمَطِيِّ بِكُمْ نَجْدَا

يستدعي الشاعر مدينة (يثرب) ويتمنى الذهاب إليها؛ ولكن لم تكن الفرصة له، فهو الآن يرسل
سلامه إليها وإلى ساكنيها؛ ويقول لهم إن هناك شخصاً غريباً في أقصى الأرض مشتاقاً إليكم .

وقد استدعى ابن الخطيب الأماكن المقدسة، لاسيما في جانب الشوق والحنين وحب زيارتها
والنظر إليها ومن هذه الأماكن (الكعبة الشريفة، ومنى، وعرافات، وزمزم، والصفاء، والحطيم^(٤)،
والبقيع^(٥)) وهو يتشوق إلى بيت الله الحرام ويتألم من تعذر الوصول، يقول^(٦):

إِذَا فَاتَنِي ظَلُّ الْحَمَى وَنَعِيمُهُ كَفَانِي وَحَسْبِي أَنْ يَهْبَ نَسِيمُهُ
وَيُفْتَعِنِي أَنِّي بِهِ مُتَكَيِّفٌ فَرَمَزْمُهُ دَمْعِي، وَجِسْمِي " حَطِيمُهُ "

(١) ديوان ابن الخطيب ١ / ١٠٩ .

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٤٨ .

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٥٤ .

(٤) الحطيم أو حجر إسماعيل وهو حائط مستدير على شكل نصف دائرة يقع شمال الكعبة، وسُمي بالحطيم؛ لأن
الناس يتحطمون عليه للدعاء . الحموي ، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٧٣ . وينظر : ابن منظور، لسان العرب، مادة
(حطم). البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٠٣ .

(٥) البقيع : مقبرة أهل المدينة، به دفن الكثير من الصحابة وزوجات رسول الله وبناته وأبناؤهن رضوان الله عليهم
أجمعين، وهو مطلع الشمس من المسجد النبوي يُرى رأي العين، وكثير من المسلمين يزورنه بعد زيارة خير
البشر، ويقال له بقيع الفرقد . البلادي، معجم معالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٤٨ .

(٦) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٤٩ .

وذكر الحطيم وزمزم بأنها آثار باقية يقول^(١):

وَعَرِيْبَةُ الزَّمَنِ الَّتِي آثَارُهَا مُتْلُوَةٌ بَيْنَ "الْحَطِيمِ" وَزَمَزَمٍ

ويتعجب من زمانه ويعتبر عندما يستدعي البقيع وما به من ماضيه، فلا بقاء إلا لله وحده، يقول^(٢):

هَلَا اَعْتَبَرْتَ وَيَا لَهَا مِنْ عِبْرَةٍ ! بِمَدَائِنِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ
قَفَّ "بِالْبَقِيْعِ" وَنَادٍ فِي عَرَصَاتِهِ فَلَكُمْ بِهَا مِنْ جِيرَةٍ وَوَلَدَاتٍ!

وفي سياق آخر يستدعي أسماء لأنهار من المشرق، فيستدعي - مثلاً - نهر النيل من مصر والرافدين وبغداد من العراق. فيقول^(٣):

وَقَدْ كَانَ هَمِّي أَنْ تُعَانِي مَطِيَّتِي بِبَعْضِ نَبَاتِ "النَّيْلِ" خَوْضُ عُبَابٍ
وَأُضْحِي وَمِحْرَابُ الدَّجَى مُتَهَجِّدِي وَأُمْسِي وَمَاءُ "الرَّافِدَيْنِ" شَرَابِي
وَتَضْحَكُ مِنْ بَغْدَادٍ بَيْضُ قِبَابِهَا إِذَا مَا تَرَاءَتْ بِالسَّوَادِ قِبَابِي

استلهم ابن الخطيب نهر النيل وكان جُلَّ همه أن يزوره وهو على صهوة جواده، كما استلهم في الوقت نفسه نهري دجلة والفرات، الذي تمنى أن يكونا شرابه، وأن يرى قباب بغداد البيضاء والتي تذكره بانقضاء شبابه، وتحول شعر رأسه من الأسود إلى الأبيض.

لم يقتصر استدعاء ابن الخطيب للأماكن التاريخية على القصور، والمدن والأنهار؛ بل تجاوز ذلك إلى استدعاء الجبال التي عُرفت في الجزيرة العربية وغيرها، والتي لها حضور لا بأس به في شعره، ومن تلك الجبال (رضوى^(٤)، وثهلان، وللع، وجبل الثلج، وجبل بارق، ويذبل)، ونرى لجبل رضوى حضوراً أكثر من غيره. يقول^(٥):

(١) ديوان ابن الخطيب ٥٣٩ / ٢.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١٨٧ / ١.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١٥٦ / ١.

(٤) رضوى : يقع في ديار جهينة، تابع لمحافظة ينبع بمنطقة المدينة المنورة، غرب المملكة العربية السعودية، ويتميز بارتفاعه وجماله وشهرته. الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٥١. البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج٢، ص٦٥٥.

(٥) ديوان ابن الخطيب ٤٩٩ / ٢.

وَالْبَحْرُ قَدْ خَفَقَتْ عَلَيْكَ ضُلُوعُهُ وَالرَّيْحُ تَقَطُّعُ الزَّفِيرَ وَتُرْسِلُ

فِي مَوْقِفٍ يَا هَوْلُهُ مِنْ مَوْقِفٍ! يَدُوي لَهُ "رَضْوَى" وَيَذْبُلُ "يَذْبُلُ"

وابن الخطيب يتعجب من الموقف الذي يقف به السلطان ويشبّهه بالقوة والثبات، ثم يستدعي جبلي رضوى ويذبل ويبراهما يذوبان لو تعرضا لمثل هذا الموقف. والدلالة هنا أن السلطان ثباته أقوى من ثبات الجبال.

ونجد ابن الخطيب يصف أبا سالم بأنه شديد العزم وقوي، فيشبهه بجبل رضوى ومناكب ثهلان، يقول^(١):

لَقَدْ هَزَّ مِنْكَ الْعَزْمُ لَمَّا انْتَضَيْتَهُ دَوَائِبَ "رَضْوَى" أَوْ مَنَاكِبَ "ثَهْلَانَ"^(٢)

ونراه يصف جبل "شَلَّير" ^(٣) بأنه أساء الجوار فيقول^(٤):

"شَلَّير" لَعَمْرِي أَسَاءَ الْجَوَارَا وَسَدَّ عَلَيَّ رَحِيبَ الْفَضَا
هُوَ الشَّيْخُ أَبْرُدُ شَيْءٍ يُرَى إِذَا لَبَسَ الْبُرْنُسَ الْأَبْيَضَا

وصف الشاعر هذا الجبل بأنه قد أساء الجوار وسدّ عليه الطريق؛ وذلك لأن الجبل يتصف بوجود الثلج طيلة أيام السنة، وصفه بالشيخ الذي يلبس الملابس البيضاء. فنقل لنا دلالة اللون الأبيض الذي يتصف به الجبل إلى الشعر الأبيض الذي يتصف به شعر الشيخ الكبير السن، فرسم لنا صورة لونية جميلة يتضح جمالها من خلال نقل لون الشعر المشيب إلى الثلج، فجبل الثلج يذكره بالمشيب، وأيام الشيخوخة؛ ولهذا أساء الجوار.

فقد جاء استدعائه للمضامين التاريخية في نطاق الأنساب والقبائل لإثبات انتمائها لهذه الأمة، وغن أكثر القبائل حضوراً في شعره قبيلة الخزرج، أما المكان فقد جاء استدعائه لأنها تمثل الإبداع الحضاري، وقد جاء تركيزه على الأمان المقدسة، فضلاً عن توظيفه لأسماء الجبال.

(١) ديوان ابن الخطيب ٥٩٠/٢.

(٢) ثهلان: وهو جبل في اليمن. وأصل الثهل الانبساط على الأرض، ولضخم هذا الجبل تضرب به العرب المثل في الثقل، وقيل هو جبل بنجد. الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٨٨. البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج ١، ص ٣٤٧.

(٣) شَلَّير: جبل الثلج أحد مشاهير جبال الأرض الذي ينزل به الثلج شتاءً وصيفاً. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص ١٠٣.

(٤) ديوان ابن الخطيب ٦٤٣/٢.

المبحث الثاني

أولاً: استدعاء الشخصيات التاريخية.

فُدر لكثيرين أن يتركوا أثراً على وجه هذه الأرض، سواءً أكان سلباً أم إيجاباً، وفُدر لكثيرين منهم أن تظل أسماؤهم حاضرة على مر القرون، مما جعل من هذه الأسماء مادة حية يتخيرها الشعراء ويوظفونها في أشعارهم مستمدين تلك القيم التي انتهجها أولئك الخالدون، لاسيما تلك القيم والعادات المتمثلة بالجد والكرم والقوة والشجاعة والحكمة والدهاء والعزيمة والعدل والعفة والفصاحة والبلاغة في الكلام، وغيرها من الصفات الحميدة، وكذلك في جانبها السلبي لما تحمله من صفات الكذب والخيانة والكفر والفسوق.

وظف ابن الخطيب في أشعاره عدداً من الشخصيات التراثية مثلت مرجعية تاريخية في التراث، فنجدته يتنقل بنا بين عصور تاريخية مختلفة، العصر الجاهلي وما قبله، والعصر الإسلامي، والعصر الأموي، والعصر العباسي، وكذلك العصور الأندلسية المختلفة السابقة على عصره .

١- استدعاء شخصيات من عصر ما قبل الإسلام : ومن الشخصيات التي وظفها ابن الخطيب في شعره: حاتم الطائي وهرم بن سنان المعروفتان بالكرم، وشخصية لقمان في الحكمة، وشخصية كسرى في العز والجاه، وسيف بن ذي يزن^(١) وعنترة بن شداد في الشجاعة، وشخصية قس^(٢) وسحبان^(٣) في الفصاحة، وغيرها من الشخصيات، وفي هذه الشخصيات يقول أبو هلال العسكري "وشهر قوم بخصال محمودة، فصاروا فيها أعلاما فجرروا مجرى ما قدّمناه؛ كالسموأل

(١) سيف بن ذي يزن بن أبي أصيبغ بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري (نحو ١١٠-٥٠ ق هـ / ٥١٦ - ٥٧٤ م): من ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم. قيل اسمه معد يكر ب. ولد ونشأ بصنعاء. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م، ج ٦، ص ٣٥. الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٤٩.

(٢) قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، (٥٠٠ - ٢٣ ق هـ / ٥٠٠ - ٦٠٠ م) من بني إباد: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص ٢١٢. الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ١٩٦.

(٣) (سحبان) اسم رجل من وائل كان لساناً بليغاً يُضربُ به المثل في البيان والفصاحة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سحب) ج ١، ص ٤٦١.

في الوفاء، وحاتم في السخاء، والأحنف في الحلم^(١)، وسحبان في البلاغة، وقسّ في الخطابة، ولقمان في الحكمة. وشهر آخرون بأضداد هذه الخصال؛ فشبه بهم في حال الذم كباقل في العي، وهبنقة^(٢) في الحمق، والكسعي في الندامة^(٣)

ومن شخصيات عصر ما قبل الإسلام التي استلهمها ابن الخطيب في أشعاره شخصية حاتم الطائي، ولاسيما في غرض المدح، لما تحمله هذه الشخصية من صفات الجود والكرم، يقول ابن الخطيب مخاطباً بعض الولاة في المغرب^(٤):

وَالِي الْوَلَاةِ وَوَاحِدَ الزَّمَنِ الَّذِي تَبَأَى ٩٠ الْمُلُوكُ بِمِثْلِهِ وَتَفَاخَرُ
صَيَّرَتْ "حَاتِمَ طَيِّءٍ" يُزْرِي بِهِ زَارٍ، وَيَسْخَرُ إِنْ تُذَوِّكِرَ سَاخِرُ
إِنْ كَانَ طَلًّا أَنْتَ جَوْدٌ سَاجِمٌ أَوْ كَانَ نَهْرًا، أَنْتَ بَحْرٌ زَاخِرُ

نلاحظ تفضيل ممدوحه على حاتم، حيث جعل من حاتم شخصية لو رأت كرم ممدوحه لسخرت منه، وكرمه عظيم، فإذا كان الكرم طلا فكرمك مطر غزير، وإذا كان الكرم نهر فكرمك بحر، فأنت واحد في عصرك ولا مثيل لك. والدلالة التي نقلها الشاعر من شخصية حاتم الطائي الكرم فجعل هذه الصفة عند ممدوحه تعلو كرم حاتم الطائي.

ومن الشخصيات الإيجابية التي استدعاها ابن الخطيب (سيف بن ذي يزن) حيث عبرت عن الإنسان الثائر الذي وهب نفسه لقومه وارتبط معهم ارتباطاً قوياً، وهو من الشخصيات الشعبية المعروفة التي تناول ابن الخطيب هذه الشخصية بقوله^(٥):

فَلَوْ رُمِيَتْ "مِصْرٌ" بِهَا وَ"صَعِيدُهَا" لِأَضَحَّتْ خَلَاءَ بَلْقَعًا بَعْدَ عُمَرَانَ

(١) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّي السعدي، أبو بحر(٣ ق هـ - ٧٢ هـ)، سيد تميم، وأحد العظماء الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحين. يضرب به المثل في الحلم. الزركلي، الأعلام، ج١، ص٢٧٦.

(٢) هبنقة (..-..=..-..). يزيد بن ثروان القيسي، من قيس بن ثعلبة، أبو ثروان، المعروف بهبنقة، ويلقب بذي الودعات: مضرب المثل في الغفلة، يقال: أحمق من هبنقة! وهو جاهلي. الزركلي، الأعلام، ج٨، ص١٨٠.

(٣) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت٣٩٥ هـ)، كتاب الصناعاتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٤٣.

(٤) ديوان ابن الخطيب ١/ ٣٨٨.

(٥) تَبَأَى: نَجَّهْدُ فِي عُدُوها وَقَبِيلِ تَنْتَسَمِي وَتَنْتَعَالِي. ابن منظور، لسان العرب، مادة (بأى).

(٦) ديوان ابن الخطيب ٢/ ٥٩٠.

وَلَوْ يَمَّمَتْ "سَيْفَ بَنِ ذِي يَزْنَ" لَمَا تَقَرَّرَ ذَاكَ الْغَمْدُ فِي غَمْدِ "عُمْدَانَ"

يصف ابن الخطيب ممدوحه بأنه لو أقبل بإرادته وشجاعته على مصر وصعيدها؛ لأصبحت خالية، ولو توجهت نحو طلب العون من سيف ذي يزن لما استقرَّ هذا البطل المغوار في مكانه. وفي هذه الصورة الشعرية دلالة واضحة وهي تفوق شجاعة الممدوح على شجاعة غيره.

ونلاحظ أن ابن الخطيب استدعى من هذا العصر الشخصيات ذات السمة الإيجابية، ولم يركن كثيراً إلى الشخصيات التي اتصفت بالسلبية في سلوكها ومواقفها، وحتى إن استعان بها فإن توظيفها يكون إيجابياً، فنجدهم يستلهم شخصية فرعون بأبعادها الدلالية، حيث أن الزمان استقى من سماتها الظلم والطغيان^(١)، ليعوذ بعد ذلك من طغيانه بممدوحه أبي حمّو موسى، يقول ابن الخطيب^(٢):

وَإِذَا طَغَى فِرْعَوْنُهُ فَأَنَا الَّذِي مِنْ صَرِّهِ وَأَذَاهُ عُدْتُ بِمُوسَى
بِحِمَى أَبِي حَمُو حَطَّطْتُ رَكَائِبِي لَمَّا اخْتَبَرْتُ اللَّيْثَ وَالْعَرِيْسَا^(٣)

٢- استدعاء شخصيات من العصر الإسلامي : وأول الشخصيات التي نتطرق إليها في العصر الإسلامي شخصيات الخلفاء الأربعة، حسب تسلسل الخلافة يقول، وهو يخاطب السلطان أبا الحجاج في شرف الشعر، ومكانته في العصر الإسلامي^(٤):

أَمْوَلَايَ، إِنَّ الشَّعْرَ دِيْوَانُ حِكْمَةٍ يُفِيدُ الْغِنَى وَالْعِزَّ وَالْجَاهَ مُدَاكَتَا
وَقَدْ وُجِدَ الْمُخْتَارُ فِي الْحَقْلِ مُنْصِتًا لَهُ وَحَبًا "كَعْبًا" (٥) عَلَيْهِ وَ"حَسَانًا"^(٦)
وَفِيمَا رَوَاهُ النَّاقِلُونَ وَأَثَبْتُوا بِذَلِكَ دِيْوَانًا صَحِيحًا فِدِيْوَانَا
فَإِنَّ "أَبَا بَكْرٍ" خَلِيفَتَهُ الرِّضَا "وَفَارُوقَهُ" الْأَدْنَى إِلَيْهِ وَ"عُثْمَانَ"

(١) العاصمي، المدحة في شعر لسان الدين بن الخطيب، ص ١٣٦.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٧٢٤ / ٢.

(٣) العريس : الشجر الكثير الملتف يكون مأوى للأسد. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرس) ج ٦، ص ١٣٤.

(٤) ديوان ابن الخطيب ٥٧٩ / ٢.

(٥) كعب بن زهير (ت ٢٦ هـ / ٦٤٥ م) شاعر من أهل نجد اشتهر قبل الإسلام، ولما ظهر الإسلام هجا النبي وأقام يشيب بنساء المسلمين فأهدر النبي دمه، فجاءه كعب مستأمناً، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها بانث سعاد . كحالة، معجم المؤلفين، ج ٨، ١٤٤.

(٦) يقصد حسان بن ثابت (٥٤ هـ / ٦٧٤ م) أبو الوليد الصحابي، شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدرکوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة قبل الإسلام، ومثلها في الإسلام. الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٧٥.

وَإِنَّ "عَلِيًّا" قَدَسَ اللَّهُ جَمْعَهُمْ وَكَرَّمَنَا بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ وَحَبَاتَنَا لَهُمْ فِي بُحُورِ الْقَوْلِ إِذْ هُمْ بَحَارُهُ خُطَابٌ وَشِعْرٌ يَسْتَفْرِزَانِ تَبِيَّاتَا

ونأخذ من هذه الأبيات دلالات منها أنه يقول الشعر بحضرة السلطان؛ لأنه كان هناك من هو أعلى مرتبةً من السلطان، بل خير منه ويسمع الشعر، هو نبينا محمد ﷺ كان منصتا لقول كعب ، وكان منصتا لقول حسان، ثم من بعده الخلفاء الراشدون لم يُعارضوا الشعر، بل كانوا يُساندونه، وكانوا يقولون الشعر، ومن دلالات النص رفع لمكانة الشعر لما فيها من شدّ الهمم، ولم الشمل في مواجهة الأخطار التي تحاول المساس بدولتك، فالشاعر عنصر فعال في المعركة؛ بل هو مقاتل شجاع يهجو الخصم، ومؤرخ دقيق لمجريات الأحداث بل هو الصوت الإعلامي لنشر الأخبار، ولسانها الناطق في أيام المحن .

ومن الشخصيات التي أكثر من ذكرها واستدعائها في سياق المدح شخصية سعد بن عبادة، يقول ابن الخطيب في مدح السلطان الغني بالله بن أبي الحجاج^(١):

أَوْ لَيْسَ جَدُّكُمْ الْمَدِينَةُ دَارُهُ كَلًّا ، وَصَاحِبُهُ النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ
 "سَعْدٌ" وَمَا أَذْرَاكَ "سَعْدُ عَبَادَةَ" فِي مَجْدِهِ صَدَقَ الَّذِي يَتَوَعَّلُ
 مَاذَا يُحْبِرُ مَا دَخَّ مِنْ بَعْدِ مَا أَتَى بِمَدْحِكُمُ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ

ونلاحظ في هذا الاستدعاء لهذه الشخصية في هذا الموضع نلاحظ سوء أدب، فبعد أن حدد موقع جد "أل سعد"، وهو المدينة، يقول بأن النبي ﷺ هو صاحب سعد، وكان عليه إن يقول أن سعداً هو صاحب النبي^(٢)، ثم يجدد التعجب بهذا النسب بأن كل من ينتمي لهذا النسب العظيم له مجدٌ خالد، ومرة أخرى يكرر الفخر بأن كل المادحين قد قصرُوا بحقهم في مدحهم؛ لأن القرآن الكريم قد أتى عليهم بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

وَمَنْ يُوقِفْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴿٧﴾.

(١) ديوان ابن الخطيب ٥٠٢/٢.

(٢) حاشية ديوان ابن الخطيب ٥٠٢/٢.

(٣) سورة الحشر / ٩ .

ومن الشخصيات البارزة في هذا العصر التي استدعاها ابن الخطيب، خالد بن الوليد وضرار بن الخطاب وعمرو بن العاص، حيث وصف شجاعة بني نصر، وشبه سيوفهم وهي في أيديهم كأنها في يد خالد بن الوليد، وضرار بن الخطاب، فيقول^(١):

وَاسْتَرْهَفُوا الْبَيْضَ الْعِضَابَ ^(٢) كَأَنَّمَا تَمْضِي بَكْفِي "خَالِدٍ" وَضَرَارٍ ^(٣)

ومن الشخصيات التي لها إحياءات سلبية في هذا العصر والتي استحضرها ابن الخطيب شخصيات مثل: (مسيلمة الكذاب^(٤)، وسجاح^(٥)، وابن ملجم). يقول ابن الخطيب في (إسماعيل)^(٦) الذي خرج على أخيه الغني بالله، حيث شبهه في ذلك بمسيلمة الكذاب والمُدعية النبوة (سجاح بنت الحارث التميمية)^(٧):

بِيَدِي هَلْهَلُ الْحَجَى ، فَاقِدِ الدِّينِ أَخِي جُرْأَةً وَرَبَّ اجْتِرَاحِ
نَالَ مِنْهَا عُقْبَى "مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ" إِذْ عَانَدَ الْهَوَى "وَسَجَّاحِ"

(١) ديوان ابن الخطيب ٣٦٩/١ .

(٢) عضاب : والعَضْبُ، السَّيْفُ القاطع، ورجل عَضَابٌ شَتَامٌ وَعَضْبٌ لسانه بالضم عُضُوبَةٌ صار عَضْباً أي حديداً في الكلام . ابن منظور، لسان العرب، مادة (عضب) .

(٣) ضِرَار بن الحَطَّاب بن مرداس القرشي الفهري (٥٠٠ - ١٣ هـ / ٥٠٠ - ٦٣٤ م) فارس وشاعر صحابي من القادة، أسلم يوم فتح مكة، ولم يكن في قريش أشعر منه. واستشهد في وقعة أجنادين . ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٦١. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢١٥ .

(٤) مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابِ (ت ١٢هـ) : مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة، من المعمرين، وفي الأمثال (أكذب من مسيلمة) . ولد ونشأ باليمامة وادعى النبوة، وتوفي النبي ﷺ قبل القضاء على الفتنة ، ولما انتظم الأمر لأبي بكر انتدب له أعظم قواده خالد بن الوليد على رأس جيش قوي ، وانتهت المعركة بمقتل مسيلمة . ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٦٤. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٧٨.

(٥) سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان(ت ٥٥هـ / ٦٧٥م)، التميمية، من بني يربوع، أم صادر، مشهورة، وادعت النبوة بعد وفاة النبي، وكان لها علم بالكتاب أخذته عن نصارى تغلب، فنزلت باليمامة فبلغ خبرها مسيلمة فتزوجها، وبعد مقتل مسيلمة، أسلمت وهاجرت إلى البصرة وتوفيت فيها . الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٧٨.

(٦) ابن نَصْر (٧٤٠ - ٧٦١ هـ / ١٣٣٩ - ١٣٦٠ م) إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر، من ملوك بني نصر بن الأحمر بالأندلس، ولد في غرناطة، وشب والملك في يد أخيه محمد (الغني بالله) فاجتمع حوله من شجعه على الثورة، وأفلت منهم الغني بالله إلى وادي آش سنة (٧٦٠ هـ)، وانتظم الأمر لإسماعيل سنة واحدة إلى أن قتل غيلة. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٢١٤. الزركلي، الأعلام، ج١، ص٣٢٩.

(٧) ديوان ابن الخطيب ٢٥٦ / ١ .

ثُمَّ رَدَّ الْأُمُورَ رَدًّا جَمِيلًا لَكَ مِنْ بَعْدِ فُرْقَةٍ وَانْتِزَاحٍ

وإن من دلالات الشخصية السلبية أنه استلهمها في باب الخروج على السلطان، وارتكاب المعاصي، وتفتيت الشمل حيث الطمع وحب السلطة جعلها هذه الشخصية تتمرد، ولكن عقابها سيكون مثل عقاب مسيلمة الكذاب الذي قُتل وانهارت أحلامه؛ لأنه كذب بادعائه النبوة، وكذلك سجاج المتنبيّة، وأنهم خسروا جميعاً .

٣- استدعاء شخصيات من العصر الأموي: لم يكرر ابن الخطيب في هذا العصر من الشخصيات إلا شخصية (جرير الخطفي)، وقد استلهم هذه الشخصية لأجل أن يُثبت شاعريته أمام ممدوحه^(١) السلطان أبي الحجاج، فيقول^(٢):

وَأَحْرَزْتُ فِي شَأْوَ امْتِدَاحِكَ عَايَةً تَقَرَّرُ مُدَاحَ الْمُلُوكِ فَتُنْصَفُ
أَجْرٌ دَيْلِي عِنْدَ ذِكْرِ "جَرِيرِهَا" بَيَانًا فَلَا أَهْفُو وَلَا أَتَوَقَّفُ

يصور لنا قدرته على قول الشعر في امتداح الملوك، وأن جريراً يتوقف في المدح، أما أنا فلا أخطئ ولا أتوقف عند مدحك، والدلالة من هذه الصورة الشعرية بأن السلطان يستحق المدح، أما ابن الخطيب فهو من ينظم هذا المدح ليزيد بلاغة وسبكاً على جرير.

ونلاحظ في موضع آخر أنه عندما يذكر جريراً وشاعريته فإنه يُحاول إن يختطف الزهو الذي كان عند جرير، ومن جاء من بعده في العصر العباسي، وهما أبو تمام والمتنبي، فيقول في امتداح السلطان^(٣):

تُجَرَّرُ دَيْلَ الزَّهْوِ عِنْدَ جَرِيرِهِ "وَطَائِيَّهِ" تَطْوِي وَتُكْنِدُ "كِنْدِيَا"
وَيَهْتَزُّ عَطْفُ الْمَلِكِ عِنْدَ سَمَاعِهَا هَزَّةً كَفَيْكَ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا

ونلاحظ في هذه الصورة الشعرية يرسم لنا صورة سماعية بأن السلطان يطرب لها، وهذا الاهتزاز يشبهه بهزة الكف للسيف اليماني.

وفي موضع آخر يستلهم شخصية قد عرفت بالغناء ويستخدمها للمدح، فربط الشاعر بين هذه

(١) العاصمي، المدحة في شعر لسان الدين ابن الخطيب، ص ١٣٧.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٧٠.

(٣) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٧٧٨.

الشخصية وبين استقبال كبير الوطن المراكشي " عامر بن محمد بن علي^(٧) " يقول^(٧):

تَأَلَّقَ عَنْ بَرْقِ الدُّجْنَةِ كُلِّمَا تَبَسَّمَ فِي قِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ أَرْبِدٍ
إِذَا مَا تَعَنَّى بِالصَّهِيلِ مُرَجَّعاً سَمِعَتْ بِهِ صَوْتِ الْغَرِيضِ^(٣٧) وَمَعْبِدٍ^(٤)
وَجَدَّدَتْ نَصْرَ الْجَدِّ فِي ابْنِ ابْنِهِ الَّذِي رَعَيْتَ لَهُ حَقَّ الدَّمَامِ الْمُؤَكَّدِ

هو يرسم صورة شعرية تزيد من مدح المراكشي؛ لأنه جدد النصر وجعله في ابن ابنه الذي رعى النمام، ويرسم دلالة أخرى وهي أن المراكشي كلما ركب الخيل وازداد صهيلها، فهو يستقبل بالفرح والغناء لأنه حتماً سيأتي بالنصر المؤكد^(٩).

٤- استدعاء شخصيات العصر العباسي: نجد في هذا العصر أن ابن الخطيب يستدعي شخصيات أدبية كما فعل مع المتنبي وأبي تمام والشريف الرضي، فإنه يستلهم شخصية الشريف الرضي وهو يُجانسها مع شخصيات أخرى من عصر آخر؛ لأجل أن يزيد ويبالغ في ذكر ممدوحه فيقول^(٦):

فَلَوْ رَأَى "زُهَيْرٌ" مَا تَخَلَّفَهَا غُرّاً عَلَى مُدَدِ الْأَحْقَابِ فِي "هَرَمٍ"

(١) عامر بن محمد بن علي الهنتاني رئيس قبيلة من جبل درن، يكتى أبا ثابت. ومعروف بالصدق والأمانة، دخل غرناطة سنة (٧٥٠هـ) وتنوعت الحالة بعد وفاة السلطان أبي سالم ملك المغرب، وانحاز إليه ولده فقام بدعوته، ورتب له الألقاب بوطن مراكش. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٤، ص١٨٣.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣١٤.

(٣) الْغَرِيضُ (ت ٧١٤هـ / ٧١٤م) عبد الملك، مولى العبلات، من مولدي البربر: من أشهر المغنين في صدر الإسلام، سكن مكة، كنيته أبو يزيد أو أبو مروان. ولقب " الغريض " لجماله ونضارة وجهه. ابن حزم، أبو محمد علي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص٧٦. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٥٦.

(٤) مَعْبِدُ الْمُعَنَّي (ت ١٢٦هـ / ٧٤٣م) معبد بن وهب، أبو عباد المدني: نابغة الغناء العربي في العصر الأموي، ونشأ في المدينة، ثم رحل إلى الشام، وكان أدبياً فصيحاً. وعاش طويلاً إلى أن انقطع صوته. توفي في عسكر الوليد ابن يزيد. ينظر: الأصفهاني، لأبي فرج علي بن الحسين، الأغاني، ط٣، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٨م، ج١، ص٣٦. الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٦٤.

(٥) أما الشخصيات السلبية فلم نقف على شخصية في العصر الأموي طيلة فترة الدراسة.

(٦) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٣٣.

وَلَوْ تَنَاسَى "الرَّضِيَّ" (١) الدَّهْرُ ثُمَّ رَأَى أَيَّامَ سَلْمِكَ لَمْ يَخْفُلْ بِذِي "سَلْمٍ"
فَأَهْنَا بَغْرَةَ سَعْدٍ طَالِعِ "لِبْنِي سَعْدٍ بِعِزِّ جَدِيدٍ غَيْرِ مُنْصَرِمٍ

وفي هذه الأبيات يكوّن ابن الخطيب صورة شعرية فقد استدعى شعراء من العصور السالفة، ويذكر لو أن زهيراً رأى ممدوحه لم يتخلف على مر السنين؛ بل لزاد عن ذلك، واشتهرت مدائحه فيك وترك هرم بن سنان، ويستدعي الشريف الرضي وهو يذكر منطقة "سَلْمٍ" بأنه لو أبصر هذا الحدث العظيم بمولد ابن الأمير لظل يذكره وينسى أيامه كلها، ويبشر السلطان بأن طالعكم يا بني سعد كله خير فأبشروا بعز جديد لا يزول ولا يتبدل.

ومن الشخصيات التي استلهمها ابن الخطيب في شعره ستة خلفاء من بني العباس، ونلاحظ أنه ركز على خليفتيهما (المنصور والسفاح) ويبدو أن الشاعر كان متأثراً بهما لشجاعتهم وما عُرف عنهما من قوة وثبات وحزم وجرأة، ونجد ابن الخطيب يصور شجاعة ممدوحه السلطان بأنه أشبه بشجاعة المنصور والسفاح، فيقول (٢):

أُنْسَيْتَنَا بِحُسَامِكَ الْمَاضِي الطُّبِّي وَلِوَانِكَ، "الْمَنْصُورَ" وَ"السَّفَاحَا"

وفي موضع آخر يذكر ممدوحيه (٣):

أُنْسَى بَنِي عَبَّاسِهِمْ بِلِوَانِهِ "الْمَنْصُورِ" أَوْ بِحُسَامِهِ "السَّفَاحِ"

ويذكر ممدوحيه مرة أخرى فيقول (٤):

وَبِالسَّيْفِ "سَفَاحٌ" وَبِالْهَدْيِ "مُهْتَدٍ" وَبِالرَّعْبِ "مَنْصُورٌ" وَبِاللَّهِ "مُسْتَكْفِي"

حملت تلك الأبيات دلالة واضحة على تعاطف المضافات لدى الشخصيات المختارة (المنصور، والسفاح)، فقد تميزت تلك الشخصيات بقوة السيف وصلابة في وجه الأعداء، ولكن هذه السيوف لا تقف أمام قوة وصلابة سيف الممدوح؛ لأن الشاعر جسد صورة الممدوح وصلابة

(١) الشَّريف الرُّضِيّ (ت ٤٠٦هـ) محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي، واشتهر بجازيياته، مولده ووفاته في بغداد. ابن الأثر، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٦٠٨. الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٩٩.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٢٣.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٣٣.

(٤) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٧٥.

سيفه بصورة تعلق فوق سيوف تلك الشخصيات، وهذا يدل على عظمة وقوة ومكانة الممدوح في قلب الشاعر.

وفي موضع آخر نجد ابن الخطيب يستلهم بعض أعلام الصوفية في العصر العباسي ومنهم (الحلاج^(١)، وابن أدهم^(٢)) يقول^(٣):

مِنْ خَمْرَةِ السَّرِّ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي كَلَفَتْ بِطَاسِئِهَا يَدَ "الْحَلَّاجِ"
وَأَرَتْ لَهُ الْأَشْيَاءَ شَيْئًا وَاحِدًا فَعَدَا يُخَاطِبُ نَفْسَهُ وَيُنَاجِي
وَرَأَى "ابْنَ أَدَهْمَ" لَمَحَّةً مِنْ نُورِهَا تَلْتَاخُ بَيْنَ مَخَارِمٍ وَفَجَاجِ

ونلاحظ ابن الخطيب يجسد الصورة الشعرية بكل دلالاتها، حيث يُنادي كتابه المرسل إلى السلطان "أبي الحجاج" عليه أن يقبل يده؛ لأن النسيم الذي يهب منه معطر ويشفي لوعة قلبي الهائمة بحبه، بل إنه في خمرة وسكر بهذا الحب الكبير، وحبه زاد عن خمرة السر التي كانت عند "الحلاج" التصوف الذي رأى الأشياء بشيء واحد فأصبح يخاطب نفسه، بل حبه زاد عن حب "ابن أدهم"؛ لأن ابن أدهم نفسه قد أخذ من هذا النور الكبير^(٤)، وهذا الحب أصبح شعاره الصفاء ولباسه الصوف، وهذه الدلالات تجعل حب الممدوح فوق حب المتصوفة لله .

ويقول ابن الخطيب وهو يخاطب أهل الصفاء^(٥):

لِلَّهِ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ فَإِنَّهُمْ سَلَكُوا الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ الْمُنْهَاجِ

(١) الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث (٥٠٠ - ٣٠٩ هـ / ١١٠٠ - ٩٢٢ م) فيلسوف، يعد تارة في كibar المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين، وقد مثل وهو يدعي الألوهية فيه، فأمر المقتدر العباسي بقتله. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج ١١، ص ١٣٢ . ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٢٥٩.

(٢) إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي أبو إسحاق (٥٠٠ - ١٦١ هـ)، زاهد مشهور. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٣٥. الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٣١.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ١٩٩.

(٤) الساسي، عامرة، مفهوم التصوف وتطوره، بحث منشور في مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، مطبعة منصور، العدد ٤، مارس، الجزائر، ٢٠١٢م، ص ٧٦.

(٥) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٠١.

وهنا يقصد بإخوان الصفا المتصوفة^(٧) الذين يدعون أنهم سلكوا الطريق المؤصل إلى الله بأنه

طريق النور والهداية، فهم يحاولون أن يكسوا أنفسهم بحديث النبي ﷺ " كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك " (٧).

٥- استدعاء شخصيات من العصور الأندلسية: لم يهتم ابن الخطيب بها كثيراً على الرغم من أن البعض وصفه بأنه مؤرخ ثبت لفترة ملوك الطوائف بالأندلس؛ وذلك من خلال كتابيه أعمال الأعلام والإحاطة^(٨)، علماً بأن ابن الخطيب صاحب اطلاع واسع على التاريخ الأندلسي بعاملته، ولعل أقدم إشارة تاريخية قد استلهمها من التاريخ الأندلسي، كانت الإشارة إلى معركة "الأرك"^(٩) (٥٩١هـ)، وما تعلق بها من ذكر المهدي بن تومرت و(عبد المؤمن الكومي)^(١٠) مؤسس دولة الموحدين الذين قادوا المعركة الحاسمة. وذكر المعركة من خلال ذكر ممدوحه (عامر بن محمد بن علي الهنتاني)^(١١) حيث يقول^(١٢):

خَلَّافَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمَلِكِ الَّذِي بِسِرِّ مِنَ "الْمَهْدِيِّ" قَدْ كَانَ يَهْتَدِي

(١) اليافعي، أبو محمد عفيف الدين، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٢٥.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، رقم(٣٨٥٤)، ج٥، ص٦٩٢. ابن الخراط، عبد الحق عبد الرحمن بن عبدالله (ت٥٨١هـ)، الأحكام الشرعية الكبرى، تحقيق: أبو عبدالله حسين بن عكرمة، مكتبة الرشيد، الرياض، ٢٠٠١م، ج٤، ص٤٢٦.

(٣) المالكي، المدحة في شعر بن الخطيب، ص١٣٩.

(٤) الأرك: معركة حدثت بين المسلمين بقيادة الموحدين وبين النصارى بقيادة الأدفونش سنة (٥٩١هـ - ١١٩٤م)، انتهت بهزيمة الأدفونش وجنوده، وانتصار المسلمين انتصاراً كسر شوكة الصليبيين وتقع على مسافة أحد عشر كيلومتر من غربي مدينة (ثيوداد ريال الحديثة) و بالإسبانية(Ciudad Real): وهي نقطة الحدود بين قشتالة وأراضي المسلمين. ينظر تفاصيل المعركة: عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام، عصر المرابطين والموحدين، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٩٦-٢١٣.

(٥) عبد المؤمن الكومي (٤٨٧هـ / ٥٥٨هـ) بن علي بن مخلوف بن علي بن مروان، نسبته إلى كومية (من قبائل البربر). أمير المؤمنين مؤسس دولة الموحدين. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٧٠.

(٦) الرئيس الشهير أبي ثابت عامر بن مُحَمَّد الهنتاني كبير جبل درن والبلاد المراكشية. لعب دوراً كبيراً في الدولة المرينية حتى قتله عبد العزيز سنة(٧٧١هـ). ينظر: الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٤، ص١٨-٥٦.

(٧) ديوان ابن الخطيب ١/ ٣١٣.

وَدَوَّخَ أَكْنَافَ الْبَسِيْطَةِ بَعْدَهُ وَأَعْلَنَ بِالتَّوْحِيدِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ
فَأَبْنَأُوهُ مِنْ بَعْدِهِ أَعْمَلُوا الظُّبَى وَأَمْضُوا سُيُوفَ اللَّهِ فِي كُلِّ مُجْدٍ
فَسَلَّ إِنْ أَرَدْتَ "الأَرْكَ" إِذْ عَصَّتِ الرَّبَى بِكُلِّ عَمِيدٍ بِالرُّعَامِ مُوسَّـدٍ

وإن الإشارات التاريخية جاءت في مجال المدح، عندما يمدح عبدالحق المريني والسلطان المريني يكون الحديث عن بني مرين ومدح سلاطينهم، وكذلك الأمر مع بني زيان فإنه يشير إلى (أبي تاشفين الزياني)^(١) عند مدحه لأبي حمّو بقوله^(٢):

وَجَدَّدَتْ فِيهَا دَوْلَةَ "مُوسَوِيَّةً" سَجِيَّتْهَا عَدْلٌ وَشِيْمَتْهَا حِلْمٌ
"أَبُو تَاشْفِينٍ" حَدَّهَا وَحَسَامُهَا فَقَدْ صَحَّ مِنْهَا الْحَدُّ فِي الْمَجْدِ وَالرَّسْمِ

ونلاحظ أن ابن الخطيب استخدم الإشارات التاريخية ووظفها ضمن إطار المضمون التراثي فأبان لنا عن سعة ثقافته التاريخية، وكذلك قدرته الفنية في إثراء المعنى بواسطة الإيحاءات التي صاحبت استدعاء الإشارات التاريخية، وخاصة عندما يتعلق الأمر باستدعاء الشخصيات التاريخية " التي تستطيع أن تمنح القصيدة ٠٠٠ طاقات تعبيرية لا حدود لها"^(٣).

ثانياً: استدعاء الوقائع والأحداث التاريخية.

استلهم ابن الخطيب الواقعة التاريخية وتعامل معها واستلهم مضامينها في نصه الشعري، سواء أكان بالإشارة أم بالرمز أم عن طريق الكتابة، والذي ساعده في ذلك هو ما يمتلكه من حضور ذهني يسعفه في التنقل في سرد الأحداث بأسلوب تُصاغ فيه الوقائع في الشعر، فهو هنا يصوغ لنا صياغة فنية رائعة ليصنع لنا واقعة جديدة تحمل مضامين تلك الواقعة، فنرى شاعرنا يستلهم واقعة (جفر الهبأة)^(٤) وهو يمدح السلطان أبا الحجاج، فنراه يقول^(٥):

(١) علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، أبو الحسن (٤٧٧ - ٥٣٧ هـ) أمير المسلمين بمراكش، وثاني ملوك دولة الملتمين المرابطين. ولد بسبته ومات في مراكش. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٣٣.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٤٤.

(٣) زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص ١٦.

(٤) جَفْرِ الْهَبَاءَةِ : موضع فيه ماء وحدثت عنده الواقعة، حيثُ هَجَمَ كل من قيس والربيع ومن معهم على فزارة وأسد وغطفان فقتلوا منهم ما يزيد على أربعمئة قتيل، وقُتِل من عيس ما يزيد على عشرين قتيلًا، وكانت فزارة تسمى هذا الواقعة " البوار". ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٥١٩.

إِنْ رَاعَ خَطْبٌ أَوْ عَرَى جَدْبٌ تُرَى كَفَاهُ تَدْرًا ذَا ، وَذَاكَ تُدَارِي

لَوْ كَانَ فِي "جَفْرِ الْهَبَاءَةِ" مَائِلًا لَعَدَا عَلَى النَّقْدِ الْهَزْبِ الضَّارِي

يرسم صورة شعرية لها دلالات ومعانٍ منها أن السلطان مفوه إذا خطب، وأن كَفَّيْهِ واحدة تقاتل الأعداء والأخرى تداري وترعى الرعية، ثم يخاطب السلطان، ويتمني لو أنه حضر جفر الهبأة لهجم على الأعداء كأنه أسد ضاري .

ومن الوقائع التاريخية عند العرب قبل الإسلام هي واقعة "ذي قار"^(٢)، فقد استلهمها ابن الخطيب في شعره يقول^(٣):

أَوْ كَانَ فِي "يَوْمِ الصَّرِيمِ"^(٤) لَمَّا غَدَا حَكَمَ "ابْنَ زِنْبَاعٍ" رَهِينَ إِسَارِ

أَوْ أُمَّهُ عَمْرُوبِ بْنِ دُهَلٍ مَا طَفَّتْ مُهْجَاتُ صَبِيئِهِ عَلَى "ذِي قَارِ"

وَلَوْ أَنَّ "حَمِيرَ" أَغْفَلَتْ أَيَّامَهَا لَشَكَتَ إِلَيْهِ "عِيَاثَ ذِي الْأُدْعَارِ"

لقد استدعى مضامين تاريخية متعددة (فيوم الصريم موضع، وابن زنباع شخصية تاريخية، وذي قار واقعة، وحمير قبيلة، وذي الأذعار شخصية ظالمة) مما يدل على سعة ثقافة هذا الشاعر وارتباطه بالتراث وتاريخ العرب الذي نهل منه الشيء الكثير.

ومن أهم الأحداث التي وقعت في عصر ما قبل الإسلام حدث ولادة النبي محمد ﷺ، ونلاحظ

أن ابن الخطيب يذكرها في أكثر من موضع، فيقول^(٥):

وَفِي لَيْلَةِ الْمِيلَادِ أَكْبَرُ آيَةٍ تَخَرَّ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ لَهَا هَدَا

أَشَادَتْ بِهَا الْكُهَّانُ قَبْلَ طُلُوعِهَا وَمِنْ هَوْلِهَا إِيوَانُ كِسْرَى قَدْ انْهَدَا

فِيَا لَيْلَةً، قَدْ عَظَّمَ اللَّهُ قَدْرَهَا وَأَنْجَزَ لِلنُّورِ الْمُبِينِ بِهَا وَغَدَا

(١) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٣٦٩ .

(٢) يوم ذي قار: يوم لبني شيبان أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم . كحالة، معجم قبائل العرب، ج ١، ص ٩٦ .

(٣) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٣٧٠ .

(٤) الصَّرِيم: الأرض السوداء التي لا تنبت شيئاً موضع بعينه أو واد باليمن. الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٠٤ .

(٥) ديوان ابن الخطيب / ١ / ٣٥٧ .

وَصَيَّرَ أَوْثَانَ الصَّلَاةِ خُضَعًا إِلَيْهَا فَلَمْ يَتْرُكْ سُوَاعًا وَلَا وُدًّا
وَعَاجَلَ بِالْإِحْمَادِ نَارًا " لِفَارِسٍ " فَلَمْ تَرَ لِلنَّيِّرَانِ مِنْ بَعْدِهَا وَقْدًا

فقد استدعى ابن الخطيب هذه الحادثة في هذا النص الشعري مستلهما ميلاد النبي الكريم محمد ﷺ، وما جرى لملك كسرى من أحداث، وهذه الحادثة العظيمة تنبأ بها الكهان، وإن إيوان كسرى قد قلبت كراسيه، بل حتى الأصنام في تلك الليلة المباركة قد وقعت على الأرض، وإن نيران فارس قد أخدمت، وهذه الدلالات والإيحاءات والاستلهمات في النص توحى لنا أن ابن الخطيب قد وظفها في سبيل خدمة هذه الحادثة وصياغتها وسبكها لتخرج للمتلقي على أتم صورة، ولتبرهن حبَّ ابن الخطيب للنبي الكريم ﷺ. ونلاحظ في أكثر من موضع وهو يفتخر بمداحه التي تذكر معجزات النبي ﷺ ومولده.

ونجد في العصر الإسلامي فإنه يستدعي تلك الموقعة العظيمة هي معركة بدر الكبرى ومعركة أحد ليستلهم العبر، ويُقارنها مع ما حدث من نكبة في واقعة طريف فيقول^(١):

إِنَّ الْحُرُوبَ سِجَالٌ طَالَمَا وَهَبْتُ فِي الْيَوْمِ فُرْصَتَهَا وَاسْتُرْجَعَتْ لِعَدُوِّ
لَا يَغْرُرُ الرُّومَ مَا نَالُوا وَمَا فَعَلُوا فَإِنَّ ذَلِكَ إِمْلَاءٌ إِلَى أَمَدِ
فَلِنَقْتُوبَ مِنَ الْعَمَاءِ مُنْصَرَفًا بِمَا تَقَدَّمَ فِي "بَدْرٍ" وَفِي "أُحُدٍ"

يستدعي تلك الأحداث ويربطها بخيطٍ محكم لينسج لنا صورة شعرية تضع أمامنا قوة وصلابة وعزيمة وإيماناً قد استلهمه من الله بأن الأيام دول يوم نصر ويوم خسارة، فقد انتصر المسلمون في بدر وخسروا في أحد ويستذكر قول أبي سفيان يوم أحد حين قال "يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال"^(٢)، والدلالة من هذا الاستدعاء أخذ القيم الحسنة التي تحملها الشخصية ويوظفها بمكان لشدَّ الهمم للمؤمنين، فالجرب سجال بين الأمم.

وقد استلهم من هذا العصر واقعة مقتل حمزة ﷺ على يد وحشي، ومقتل علي ﷺ على يد ابن ملجم . يقول ابن الخطيب^(٣):

(١) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٢) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨ هـ)، مجمع الأمثال ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة، بيروت (د.ت)، ج ١، ص ٢١٤.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٩٩.

فَهَذَا "عَلِيٌّ" قَدْ قَضَى "بِأَبْنِ مُلْجَمٍ" وَأَوْقَعَ "وَحْشِيٌّ" "بِحَمْزَةِ" ذِي الْفَخْرِ

وهنا يستلهم من كلا الحادثتين صفة القتل فقد كانت الغدر، وأنهم كانوا قادة لامعين في صفوف المسلمين، والصفة الأخرى قُتِلُوا على يد كفرة مشركين، وهنا أخذ الدلالة من هذه الواقعة ليشبها بمقتل السلطان أبي الحجاج في يوم العيد غدرًا.

أما في العصر الأموي فإنه يستدعي تلك الحادثة العظيمة على قلوب المسلمين وهي مقتل الحسين عليه السلام فيقول^(١):

كَأَنِّي أَنْفَرْتُ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ^(٢) وَجَرَدْتُ سَيْفِي فِي كَرْبَلَا

وَلَمْ أَجِنِ ذَنْبًا سِوَى أَنْبِي صَدَعْتُ بِأَمْدَاجِهَا فِي الْمَلَا

ونلاحظ أن ابن الخطيب قد استلهم هذه الحادثة المؤلمة على قلوب المسلمين، حيث إنه لم يقترب ذنباً سوى أنه أعلن للملأ بأنه يحب الحسين وصار غريباً، فعلام الناس يلومونه وكأنه قد انفرد بقتل الحسين، ويستلهم الإيحاءات الموجودة في هذه الواقعة؛ ويصور نفسه بأن لا ذنب له سوى أنه أعلن مدائحه وعشقه لغرناطة؛ لأنها مدينته وهذا الحب جعل الناس يلومونه بل يخرجون عليه، ولم يبق له مال ولا جاه ولا حرمة ولا منزل ويشبه حبه لغرناطة بحب الحسين.

أما في العصر العباسي فلم نقف على وقعة، أما من خلال الإضاءات التاريخية للعصور الأندلسية، فيستلهم ابن الخطيب موقعة "الأراك" من خلال ذكر ممدوحه "الهنثاني" فيذكر مؤسس دولة الموحدين "عبد المؤمن الكومي" فيقول^(٣):

فَأَبْنَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَعْمَلُوا الظُّبَى وَأَمْضُوا سِيُوفَ اللَّهِ فِي كُلِّ مُلْحِدِ

فَسَلَّ إِنَّ أَرَدْتَ "الأْرَاكَ" إِذْ غَصَّتْ الرَّبَى بِكُلِّ عَمِيدٍ بِالرُّغَامِ مُوسَّسِدِ

(١) ديوان ابن الخطيب/ ٧٧٣.

(٢) وفي هذه الحادثة العظيمة قتل الحسين سنة (٦١هـ). ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٤٠٧-٤٤٢. وينظر: ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، ٢٠٠٥م، ج ٢، ص ٥٥٠.

(٣) ديوان ابن الخطيب ٣١٣ / ١.

وقد استلهم ابن الخطيب واقعة أخرى هي " معركة المرج" (٧ سنة ٧١٨ هـ) والتي كانت من أبرز معارك بني نصر ضد جيش قشتالة، وكانت هي الأخرى رافداً تاريخياً (٧) فيقول (٧):

لِلَّهِ "يَوْمُ الْمَرْجِ" لَا بَعْدَتْ بِهِ أَيْدِي الزَّمَانِ وَشَفَعَتْهُ بِثَائِي
صَدَمَتُهُ أَحْرَابُ الضَّلَالِ كَأَنَّمَا طُولُ الْجِبَالِ تَحُبُّ فِي أَرْسَانِ

المبحث الثالث

أولاً: استدعاء المقولات الأدبية.

ظهر استجابة لمتطلبات الحياة، وضرورة الدفاع عنها بجميع أشكال الدفاع وأساليبه، وللإفصاح عن الشعور القومي للأمة، وإن العرب عرفوا أبوابه شعراً وخطابة ورسائل وغيرها من الفنون ليُعبروا عن طبيعة حياتهم، وليكون ذلك الأدب لسان القوم بين القبائل، وعدوه مكملاً للسيف، والرمح في تأثيره، وكما قالوا " الشعر ميزان القول " (٨) وفعلاً كان الشعر ديوان العرب "لأنه كان أقرب إلى النفس، وهو بالذاكرة أعلق وعلى الألسن أسير بفضل القوافي والأوزان" (٩).

وإن القبيلة تحتفل بظهور شاعر بليغ من بين أبنائها؛ لأنهم يعدون الشعر لسان حالهم وحجتهم فظهر في عصر ما قبل الإسلام شعراء كثيرون ما زالت أسماؤهم خالدة في ذاكرة الزمن والأدب العربي الأصيل، حيث عدّ هؤلاء الشعراء الأساس الذي بنى أصوله ومناهجه، وكان الشعر العربي وثيقة تاريخية وتراثية اكتست بحلة من نسيج الجمال والخيال والمشاعر الفياضة التي لا يمكن أن ينكرها أحد، وهذه الشخصيات هي التي تمثل المضامين التاريخية (١٠) التي أفاد منها شاعرنا ابن الخطيب ، فمثلاً يعد (امرؤ القيس) من أشهر شعراء عصر ما قبل الإسلام، بل احتل

(١) معركة المرج: حدثت بين جيش الغزاة أبي سعيد عثمان بن أبي علي، وبين جند قشتالة (ومن معهم)، وكان نصراً حاسماً للمسلمين سنة (٧١٨هـ - ١٣٠٨م). ينظر: الحجي، عبدالرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢هـ - ٨٩٧هـ)، ط٢، دار القلم، بيروت، ١٩٨١م، ص١٤٢.

(٢) هذه المعركة قريبة من تاريخ ولادة ابن الخطيب (٧١٣هـ)، ولكنني فضلت أن تكون ضمن مرجعيته التاريخية.

(٣) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٧٧.

(٤) (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج١، ص٢٨).

(٥) مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٣٦م، ج١، ص١٩.

(٦) ينظر: التكريتي، المضامين التراثية، ص٤٩-٥٠.

المرتبة الأولى بين شعراء العرب، وكان على رأس الطبقة الأولى من شعراء الطبقات المشهورات^(١)، فهو أول من بكى الديار، وقيد الأوابد، وجاء برقة النسيب .

وقد اقتبس ابن الخطيب الآمال وهي موصولة بعضها ببعض فيقول^(٢):

"تَقَلَّبُ كَفَيْهَا بِخَيْطِ مُوصِلٍ" وَثِقَّةٌ قَدَّ دُونَ سَبْعَةِ أَطْبَاقٍ

ونلاحظ أنه قد اقتبس من عجز بيت للشاعر امرئ القيس القائل^(٣):

دَرِيرٌ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ تَقَلَّبُ كَفَيْهِ بِخَيْطِ مُوصِلٍ

والصورة الشعرية التي رسمها من خلال الخيط الموصل بأنه أراد كثرة الوصل، وهذا مجاز لأجل الصلة بين الأشخاص القائمة على التزاور، والإيحاءات في الاقتباس هو أن النفس تتعلق بآمال موصولة الحلقات يفضي بعضها إلى بعض.

وفي موضع آخر يقتبس من عجز بيت لشاعر جاهلي، يقول ابن الخطيب^(٤):

وَتَحْتَمِلُ الرُّكْبَانُ طَيْبَ حَدِيثِهِ "فَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ"

وهذا الاقتباس من عجز بيت لطرفة بن العبد يقول فيه^(٥):

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

نقل الشاعر الصفات الحسنة إلى ممدوحه؛ باقتباسه عجز بيت لطرفة بن العبد ليبلغه بأن الركبان تحمل طيب حديثه، وصفاته من (المجد والفخر والصنع الجميل) . أما في البيت الجاهلي فإنه تصوير لشخصية فيها طموح، وتنظر إلى الحياة نظرة خاصة، ولها آمنيات تسعى لتحقيقها؛ ولكن مع مرور الأيام يظهر لها ما ليس في الحساب.

وفي موضع آخر يقتبس عجز بيت للبيد فيقول^(٦):

(١) ديوان امرئ القيس، ط٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م، ص٩.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٧٠٤.

(٣) ديوان امرئ القيس، ص٢١.

(٤) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣١٢.

(٥) ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص١١.

كَمَا فَعَلُوا، فِي الْمَوْتِ وَالْخَطْبِ خَطْبُهُ " دُوَيْهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَتَامِلُ "

وهذا مقتبس من قول لبيد بن ربيعة من قصيدة يذم فيها الدنيا ،ويحض على الزهادة فيها(٢):

وَكُلُّ أَنْاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَتَامِلُ

وهنا ينقل لنا ابن الخطيب الصورة الشعرية التي اقتبسها من قول لبيد (دُوَيْهِيَّةٌ) من باب التصغير، إنما أريد به إذا كان الصغير منه يبلغ هذه المبلغ ويؤثر هذه الأثر، فكبيره أعظم وأبلغ، وتصفر يعني قبل اصفرار البنان أي قبل الموت، وهذا البيت أصبح من الأمثال العربية.

وفي العصر الإسلامي يقتبس عجز بيت للحطيئة فيقول ابن الخطيب (٣):

وَتَصْرِيْفُهُ الْمَشْوُومُ فَلْتَتَذَكَّرُوا " وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ "

وهذا اقتباس من قول الحطيئة (٤):

وَتَعْدُلْنِي أَبْنَاءَ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ

يصور ابن الخطيب بأن حياة الشؤم تنقضي ويأتي بعدها فرج، وهنا نراه يخاطب "ابن

كماشة" (٥) عندما تعذرت عليه أوجه السعادة ، وبعدها قد فرجت ورجع إليه سلطانه.

وفي العصر الأموي استلهم قول الشاعر المعروف الفرزدق من قصيدته التي مدح بها زين

العابدين ، فيقول ابن الخطيب، وهو يمدح السلطان أبا الحجاج (٦):

لَوْلَا التَّشَهُدُ وَالتَّرْدَادُ مِنْكَ لَهُ لَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ يَوْمًا مِنْ لِسَانِكَ لَا

(١) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥١٦ .

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة، اعتنى به حمدو بن طماس، دار المعارف، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٧٣.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٣٨ .

(٤) ديوان الحطيئة : تحقيق : عيسى بابا، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م، ص ٨٨.

(٥) ابن كماشة : أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد بن كماشة الحضرمي القائد الوزير الغرناطي، قام برسم الوزارة للسلطان المخلوع محمد الخامس (الغني بالله) عندما أقام بمدينة رنده قبل عودته إلى عرشه في غرناطة . ينظر : ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٤، ص ٥٧.

(٦) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٧٦٥ .

وهذا اقتباس من قول الفرزدق في مدح زين العابدين حيث قال(١):

مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ نَوْلًا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَأَوْهُ نَعْمٌ

فقد استدعى هذه الصورة الشعرية من قول الفرزدق ليكون لنا مقارنة بين الممدوحين، حيث وجه الشبه أنه قد اتصف بالعطاء والجود، وأنهم لم يقولوا لا إلا في التشهد، وهو قول أشهد أن لا إله إلا الله .

ونلاحظ أنه قد استدعى ثلاث شخصيات من عصرين ليذكرهما، وليمدح من خلالهما ممدوحه لما اشتهروا به من إرث كبير ينهل منه طلاب العلم والمعرفة، ونجد أنه أخذ شخصية جرير من العصر الأموي، والمتنبي وأبي تمام من العصر العباسي، وهذا دليل واضح على ثقافة الشاعر ودرايته بكل العصرين، وما يحملان من زهو في شخصياته الأدبية، وتراثه الحي المتواصل والمتجدد دائماً.

يقول ابن الخطيب في مدح السلطان (٢):

تُصَيِّرُ حُرَّ الشَّعْرِ عَبْدًا وَإِنْ يَكُنْ يَحِلُّ مِنَ الْإِبْدَاعِ عَائِيَةُ الْفُصَيَّا

تَجَرَّرَ ذَيْلَ الزَّهْوِ عِنْدَ " جَرِيرِهِ " " وَطَائِيِهِ " تَطْوِي وَتُكْنِدُ " كِنْدِيًّا "

فقد استلهم ابن الخطيب سيرة هؤلاء الشعراء وما لهم من ثقل في رصيد الشعر، فإن ابن الخطيب يصور لنا بأن السلطان يحل له حر الشعر ويصبح له عبداً، وكله ينطوي تحت راية السلطان؛ لأن سماع قصائدهم يزيدك فخراً بل يحرك عواطفك كما يتحرك بيدك السيف اليماني. وربما في هذا الموضع يريد ابن الخطيب أن يوصل للسلطان رسالة مضمونها بأنك أيها السلطان أشبهه بخلفاء بني أمية، وبني عباس في زهوهم وقوة دولتهم عندما كان يمدحهم هؤلاء الشعراء .

(١) ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعو، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٥١٢.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٧٧٨/٢.

وفي موضع آخر اقتبس ابن الخطيب بيت كامل^٧ من أبي تمام وهو يهجو "أبا الحسن النباهي"^٨ فيقول ابن الخطيب^٩:

إذ قال شاعر "طَيَّ" في قصيدته وهو المُقَلَّدُ في علمٍ وفي أدبٍ
" وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ دَاهِيَةٍ إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْعَرَبِيُّ ذُو الذَّنْبِ "

فقد اقتبس البيت من قصيدة لأبي تمام مشهورة في مدح المعتصم بالله مطلعها^{١٠}:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْعَرَبِيُّ ذُو الذَّنْبِ

فإن ابن الخطيب يصور النباهي بصورة ساخرة، إذ خوفوا الناس منه، ولكنه في الحقيقة لا شيء، كما خوف المنجمون الناس عندما ظهر المذنب أيام فتح عمورية، ولكن هذا المذنب لم يؤثر شيئاً في نتيجة المعركة.

الصورة المقتبسة من بيت أبي تمام هي الكوكب المذنب فإن أبا تمام صور الكوكب لا يضر، ولا ينفع؛ لأن السيف هو أصدق شيء، وهو الذي يحقق الانتصار. أما ابن الخطيب فقد شبه مهجوه بأنه كوكب نحس، وأنه يأتي بالحرب، والخراب؛ ولكن بعد حين علم ورأى الحقيقة بأنها كما قال أبو تمام .

وفي موضع آخر يستلهم ابن الخطيب، ويقتبس صدر بيت للمتنبي، فيقول إن مما خاطبت به شيخ الدولة^{١١}:

(١) وينظر: في ديوان ابن الخطيب مثل هذا الاقتباس، ج ١، ص ٤٢١.

(٢) النباهي (٧١٣-٧٩٢هـ) علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي المالقي النباهي، أبو الحسن، المعروف بابن الحسن: قابض، من الأدباء المؤرخين. ولد بمالقه، ورحل إلى غرناطة، ثم ولي خطة القضاء بها، وكان صديقاً للسان الدين ابن الخطيب ثم انقلبا عدوين، فنال منه ابن الخطيب ولقبه بالجعسوس (القصير) ازدراء له. الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ٣٦٠.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١٦٧/١.

(٤) ديوان أبو تمام، ط ٢، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ج ١، ص ٣٢-٤٩.

(٥) ديوان ابن الخطيب ٢/٥٥٣.

لَا أَعْدَمَ اللَّهُ دَارَ الْمُلْكِ مِنْكَ سَنًا
وَأَنْشَدْتِكَ اللَّيَالِي وَهِيَ صَادِقَةٌ
يُجَلِّي بِهِ الْحَالِكَانَ الظُّلْمَ وَالظُّلْمَ
" الْمَجْدُ عُوفِي إِذْ عُوفِيَتْ وَالْكَرْمُ "

وهذا اقتباس من قول للمتنبى القائل(١):

وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الْأَلْمُ الْمَجْدُ عُوفِي إِذْ عُوفِيَتْ وَالْكَرْمُ

والصورة الشعرية في كلا البيتين تُوحى إلى أن المجد والكرم يتعافى إذا تعافى الممدوح .

وفي موضع آخر يقتبس من قول المتنبي صدر البيت فيقول ابن الخطيب(٢):

" هَنِيئاً لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ " وَفِي اللَّهِ مَا تُبْدِيهِ أَوْ مَا تُعِيدُهُ

وهذا اقتباس من قول المتنبي من قصيدة يمدح بها سيف الدولة فيقول(٣):

هَنِيئاً لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَى وَضَحَى وَعَيْدًا

الاستدعاء الذي استلهمه ابن الخطيب من بيت المتنبي هي صفة المدح للسلطان، والصفة الأخرى هي الوقت وهو يوم العيد، والمدح عند كليهما هو بمثابة دعاء للأمير والسلطان بأن يُعيده الله عليهم بالمعافاة والفرح .

واقْتَبَسَ عَجْزَ بَيْتٍ وَهُوَ يَخَاطَبُ وَزِيرَ الدَّوْلَةِ النَّاجِمَةَ "مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْمَلَقَبُ بِالسُّبَيْعِ"(٤) قَالَ(٥):

أَيَا سَبْعِ الْمِيْدَانِ غَيْرَ مُدَافِعٍ إِذَا بَرَقَتْ تَحْتَ الْعَجَاجِ الْمَنَاصِلُ
وَمَنْ شَأْنُهُ ، وَاللَّهُ يَرْفَعُ شَأْنَهُ " عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ "

(١) ديوان المتنبي، مع فهارسه ومعانيه، فهرسه وشرحه: عبود أحمد الخزرجي، المكتبة العالمية للنشر، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٣٧٢.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٧٠.

(٣) ديوان المتنبي / ١٨٩.

(٤) هو محمد بن موسى بن إبراهيم الملقب بالسُّبَيْعِ، من خواص الأمير عبد الحلِيم، ووزيره وكان يشاركه في الأدب . ينظر : ابن خلدون، أبي زكريا يحيى بن أبي بكر، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق : الفريد بل، الجزائر، ١٩١٠م، ج ٢، ص ٩٢ - ٩٥ .

(٥) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥١٦.

وهذا اقتباس من قول لأبي العلاء المعري^(١):

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ

صور ابن الخطيب ممدوحه سبع ميدان، بأنه صاحب قوة في الدفاع عن الدولة إذا حتم الأمر، فهو يدعو الله بأن يرفع من شأنه؛ لأنه صاحب عفاف وإقدام، وله قوة في اتخاذ القرار، أما أبو العلاء فإنه ينظر إلى المجد بأنه يحتاج إلى عمل للوصول إليه، وعليه أن يكون مخلصاً في عمله، ولديه القرارات الحازمة، وأن يكون جريئاً لا يخشى لومة لائم .

ومن الدلالات في كلا النصين أن ممدوح ابن الخطيب هو السبيع. أما أبو العلاء فهو نفسه فالمشابه بينهما صفة المدح، علماً بأن كل شخص عليه أن يتصف بصفات ليحصل على المجد والسؤدد وقد حددها كلا الشعارين وهي العفاف والشجاعة والجرأة.

ثانياً: استدعاء الكتب الأدبية .

لم تقتصر اقتباسات ابن الخطيب على الأبيات الشعرية التي استلهمها من الشعراء واستدعاها، ولكن نجده أخذ منحى آخر وهو استلهم لعناوين كتب، لأنه عرف محتواها ثم ضمنها في أبياته ليعطيها تضميناً آخر من المضامين التراثية .

فلاحظ أنه يضمن كتاب الصحاح للجوهري في أكثر من موضع فيقول ابن الخطيب^(٢):

أَنَا جَوْهَرِيُّ اللَّفْظِ لَا عَجَبٌ إِذَا جَمَعِي مُنْظَمَهَا بِهِذَا التَّاجِ

وهذا الاستدعاء واضح لكتاب (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية) ومؤلفه الجوهري ، حيث رسم لنا صورة شعرية في مدح السلطان بأن قوافيه باقية مدى الأزمان كما أن كتاب (الصحاح للجوهري) باق؛ لأنه نظمه ورتبه، وكذلك قصائدي مرتبة بمدحكم فهذا سنبقى مدى الأيام تتردد .

ومرة أخرى يذكر كتاب (الصحاح للجوهري) مع كتاب آخر هو (المحلى) فيقول^(٣):

أَرَى جِيْدَهُ نَصَّ (الْمُحَلَّى) وَقَرَّرْتُ تَنَائِيَهُ مَا ضَمَّتْ (صِحَاحُ الْجَوَاهِرِ)

(١) ديوان أبي العلاء المعري، سقط الزند، ط٢، تحقيق : أحمد شمس الدين، دار المكتبة العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص١٢٣.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٠٢.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ٤٢٦.

استدعى كتاب المحلى ليصف به جيد الحبيبة بأنه مرصع بالآلى الجميلة، أما ثناياها فإنها من أحسن أنواع الجواهر، فقد استخدم ابن الخطيب التورية هنا؛ لأنه جاء باسم كتاب المحلى للزينة أما الصحاح للجوهري فلجمال الأسنان، والغاية أن يزيد من جمال ممدوحه .

وموضع آخر يستدعي فيه ابن الخطيب كتاب الصحاح مع كتاب العين فيقول^(١):

أَتَتْ (بِصِحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ) دُمُوعِي فَعَارَضْتُ مِنْ دَمْعِي (بِمُخْتَصَرِ الْعَيْنِ)

يصف الشاعر دموعه بأنها صحاح الجوهري أي أنها حسنة كالجواهر؛ لكنها عندما تنزل قد جوبهت بمختصر العين أي قل الدمع منها، وهنا تورية فيها معنى بعيد، وصف دموعه بأنها بدأت على شكل تصميم معجم كتاب الصحاح الذي جاء مرتباً من الحرف الأخير، أما المعترضة لهذه الدموع فإنها جاءت على شكل كتاب مختصر العين الذي بدأ بالأحرف من الألف فصاعداً.

وكتاب آخر يستدعيه ابن الخطيب كتاب (الاستنكار) لابن عبد البر مع كتاب (العين) فيقول^(٢):

وَمُوعٍ بِالْكَتَبِ يَبْتَاعُهَا بِأَرْحَاصِ السَّوْمِ وَأَغْلَاهُ

فِي نِصْفِ (الِاسْتِنْكَارِ) أَعْطَيْتُهُ مُخْتَصَرَ (الْعَيْنِ) فَأَرْضَاهُ

جمع ابن الخطيب بين كتاب العين والاستنكار، فهنا يزيد من قيمة كتاب الاستنكار على حساب كتاب العين، وأن نصف كتاب الاستنكار عنده يعدل كتاب العين كله .

وفي موضع آخر نلاحظ أن ابن الخطيب يقول " ولما استدعى صدر الدولة المرينية الفقيه الخطيب (أبو عبدالله ابن مرزوق)^(٣) منظوم أهل العصر في كتاب (الشفاء لأبي الفضل عياض)^(٤).

(١) ديوان ابن الخطيب ١ / ٥٨٥ .

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٧٤٦ .

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي الخطيب المشهور بالجد وبالخطيب (أبو عبدالله شمس الدين) (٧١٠ هـ / ٧٨١ هـ) توفي بالقاهرة، ومن تأليفه: شرح كتاب الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى، لم يكمله، إيضاح السالك في ألفية ابن مالك في النحو. كحالة، معجم المؤلفين العرب، ج ٩، ص ١٦-١٧ .

(٤) عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ولد بسبته سنة (٤٧٦ هـ) وتوفي بمراكش سنة (٥٤٤ هـ) . ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط ١، تحقيق :

وقد عني بشرحه كان مما قلتُه فيه " (١)، أي في فضل كتاب الشفاء (٢):

شِفَاءُ عِيَاضٍ لِلصُّدُورِ شِفَاءٌ فَلَيْسَ بِفَضْلِ قَدْ حَوَاهُ خَفَاءُ
هَدِيَةٌ بَرٌّ لَمْ يَكُنْ لِحَزِيلِهَا سِوَى الْأَجْرِ وَالذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَقَاءُ

فقد مدح هذا الكتاب لما له من أهمية في الحياة، ومدح صاحبه؛ لأنه ترك لنا أثرا محمودا لا يناله أي شخص آخر، وهذا المدح بمثابة تشجيع لابن مرزوق في إعداد منظومته في شرح هذا الكتاب.

ثالثاً: عرائس الشعر.

فاستدعاء عرائس الشعر هو استدعاء لرمزية المرأة وليس لشخصية حقيقية، أو استدعاء من باب الكناية يخفي اسم حبيبته خوفاً عليها من التصريح باسمها، وبهذا يقول ابن رشيق القيرواني " وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم وتحلو من أفواههم، فهم كثيراً ما يأتون بها زورا نحو: ليلي وهدن وسلمى ودعد ولبنى وعفراء وأروى وريا وفاطمة ومية وعائشة والرباب وجمل وزينب ونعم وأشباههن" (٣) وهذا يؤكد بأنهم قد جاءوا بهذه الأسماء تزييناً وتنميقاً لأشعارهم .

ومن ذلك قول ابن الخطيب (٤):

دَعَّ عَنكَ هُنْدًا وَالذِّيَارَ وَمَا بِهَا وَدَعَ الْغَرَامَ يَكُونُ بَعْضَ عُفَاتِهَا
وَأَنْهَضَ بِمَدْحَتِكَ الَّتِي حَلَيْتَهَا بِنَّا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَهَاتِهَا

وهنا يؤكد ابن الخطيب بأن عليية أن يترك مدح هند والغزل، وعليه الآن أن يمدح السلطان؛ لأنه أهل لهذا المدح .

إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م، ج ٣، ص ٤٨٣. وينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٨، ص ٤٥٠.

(١) ديوان ابن الخطيب ١ / ٩٩.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٩٩. ونلاحظ مثل هذا التضمين لأسماء كتب ديوان ابن الخطيب في مواضع منها: كتاب كليلية ودمنة لابن المقفع، ج ٢، ص ٥٠٨. وسقط الزند للمعري، ج ١، ص ٢٨٦، وصحيح مسلم، ج ٢، ص ٥٥٤.

(٣) القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج ٢، ص ١٢١-١٢٢.

(٤) ديوان ابن الخطيب ١ / ١٧٠.

وفي موضع آخر يستدعي أسماء مشرقية منها (سلمى)^(١)، والغاية منها مدح النبي محمد ﷺ فيقول^(٢):

سَلِّ مَا (سَلَّمَى) بِنَارِ الْهَجْرِ تَكْوِينِي وَحُبُّهَا فِي الْحَشَى مِنْ قَبْلِ تَكْوِينِي
وَفِي مَنَاهَا تَمَنَّىتُ الْمَنَى فَعَدَا قَلْبِي كَنَيْبًا بِلَوَاهُ يُنَاجِينِي
وَفِي قَبَابٍ (قُبَا) قَامَتْ لَنَا بِقَبَا طَرَا زُهَا مُذْهَبٌ فِي حُسْنِ تَزْيِينِ

وصف ابن الخطيب بعد ذلك كيف أنها مقصورة في (قُبا) " وهو نسيب أراد به الشوق لزيارة قبر المصطفى ﷺ، ولكنه جعل من سلمى رمزاً بدوياً بعيد الجمال والمنال لغاية هي أيضاً بعيدة في الجمال والمنال"^(٣).

(١) وينظر مثل هذا التضمين في ديوان ابن الخطيب ٧٣٠/٢.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٦١٠/٢.

(٣) (العقيلي، فوزية عبدالله محمد، الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي، (أطروحة دكتوراه) جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٠م، ص ٥٦٧.

الفصل الثالث:

المضامين الاجتماعية

أولاً: استدعاء العادات والتقاليد الاجتماعية

ثانياً: استدعاء المعتقدات الأسطورية

ثالثاً: استدعاء الأمثال

الفصل الثالث

المبحث الأول

استدعاء العادات والتقاليد الاجتماعية:

استلهم ابن الخطيب هذه العادات والتقاليد الاجتماعية ووظفها في شعره، ونبدأ بما هو خير في تناول القيم والعادات الاجتماعية الإيجابية التي أيدها الإسلام، ولقيت ترحيباً من الدين الإسلامي متمثلة بالأقوال، والأفعال التي تقوم على أصول وقواعد الشريعة، وفضائل الآداب المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة، والشريعة الإسلامية من خلال القرآن وسنة الرسول ﷺ، ولهذا فهي الأخلاق الحسنة^(١).

ومن العادات الإيجابية (الكرم)، فالكرم فضيلة امتاز بها العربي وتغنى بها بل وفاخر بها وتمسك بها، يقول المتنبي^(٢):

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

فوجد ابن الخطيب ونظرته إلى الكرم من خلال وصفه بمدوحه أبا الحجاج بالجود والعطاء؛ لأنه جرى على سنن الفاروق عمر^(٣) وإنهم من القوم الذين نصروا الدين في بدايته، وقدموا أنفسهم فداء للإسلام ونصروا صاحب الرسالة فيقول^(٤):

وَجُودُكَ حَيَّ الْمُلْكَ وَالذِّينَ وَالذُّنْيَا وَجُودُكَ أَحْيَا الْمَجْدَ وَالسَّيْرَةَ الْعُلْيَا

وَفَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالشُّكِّ إِذْ جَرَى عَلَى سَنَنِ الْفَارُوقِ فِي هَدْيِهِ جَرِيَا

هُوَ السُّحْبُ جُوداً وَالْكَوَاعِبُ هِمَّةً وَبَدْرُ الدُّجَى وَجْهًا وَشَمْسُ الضُّحَى رَأْيَا

مَنْ الْقَوْمِ جَاءُوا بِالنَّفُوسِ كَأَنَّمَا يُسْقَوْنَ فِي وَرْدِ الرَّدَى الشَّهْدَ وَالْأَرْيَا^(٥)

(١) الخراز، خالد بن جمعة بن عثمان، موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ٢٠٠٩م، ص ٢٢ .

(٢) ديوان المتنبي مع فهارسه ومعانيه، فهرسه وشرحه: عبود أحمد الخزرجي، المكتبة العالمية للنشر، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٥٠.

(٣) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٧٧٥.

(٤) (الأرزي): هو ما يجمعه النحل من العسل في أجوافها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (أرى)

فالممدوح كريم معطاء كالسحب فضلاً عن علو همته، وجمال وجهه، واتصافه بالشجاعة المتمثلة بالدفاع عن البلاد، وبذل النفس في سبيل نشر الدين، وجاءت تضحياتهم حباً لا قصراً، ورغبةً، وكرماً؛ لأن الشاعر صورهم يساقون إلى الموت بنفوس راضية وبإخلاص تام، إذ شبه الشاعر الممدوح مرة بالسحب وتارة بالكوكب وأخرى بجمال الوجه وشمس الضحى، وهذا النوع من التشبيه يسمى (تشبيه الجمع)^(١). ومن جانب آخر كرر الشاعر لفظة جود ثلاث مرات تأكيداً على كرم الممدوح، فضلاً عن تكرار لفظة أحياناً مرتين .

فالكرم مظهر من مظاهر القيم الخلقية، فقد جاء ترويضاً للنفوس، وحمل البذل والعطاء في أحلك الظروف، وقد كان الأندلسيون يجلّون هذه الفضيلة، ولم تكن عندهم خصلة تفوق خصلة الكرم والعطاء. وقد حاول الشاعر أن ينشر فضائل "عياض"^(٢) وكرمه وعطاءه للفقراء ومساعدة المحتاجين، فيقول^(٣):

شِفَاءٌ عِيَاضٍ لِلنَّفُوسِ شِفَاءً	فليس لفضلٍ قد حواه خَفَاءٌ
هَدِيَّةٌ بَرٌّ لَمْ يَكُنْ لِحَزِيلِهَا	سوى الأجرِ والذِّكرِ الجَمِيلِ كِفَاءً
وَجَاءَ بِهِ بَحْرًا يَقُولُ بِفَضْلِهِ	على البَحْرِ طَعْمٌ طَيِّبٌ وَصَفَاءٌ

حَرَصْتُ عَلَى الإِطْنَابِ فِي نَشْرِ فَضْلِهِ	وَتَمَجِيدِهِ لَوْ سَاعَدْتَنِي فَاءً

صور لنا الشاعر صورة جميلة أراد بها إبراز القيم والفضائل، وفيها شبه شفاء أبي عياض للنفوس شفاءً؛ لأنه هدية برٌّ، ولم ينتظر منهم مقابل ذلك سوى الأجر الجميل والذكر الحسن، إذ أعطاهم عطاء زائراً، وشبه الشاعر كرم السلطان وجوده بالبحر، وقد حرص على بيان هذه الفضائل التي تدعو إلى نشر الصفات الحميدة، وإن القيم والأخلاق التي فطر عليها الإنسان ورثها من آبائه وأجداده هي التي تدفعه إلى أي نشاط إنساني يعمله.

(١) التشبيه الجمع : هو ما تعدد المشبه به دون المشبه ، وسمي بالجمع لاجتماع مشبهات به عديدة لمشبه واحد : العمر مثل الضيف أو كالطيف ليس له إقامة . حَبْنَكَّةُ ، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ) ، البلاغة العربية، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ١٩٧.

(٢) القاضي عياض (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموماً قيل: سمه يهودي، من تصانيفه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى. الزركلي، الأعلام، ج ٥ ، ص ٩٩.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ٩٩ .

ونلاحظ أن الشاعر قد صرع في معرض تأكيده على سمة الكرم (شفاء، خفاء)؛ لأن التصريح يعد عنصراً من عناصر الإيقاع الداخلي، فضلاً عن ذلك فإن له في مطالع القصائد حلاوة وموقفاً في النفس^(١).

وموضع آخر يصف ابن الخطيب شيخه ابن الجيّاب^(٢) يقول^(٣):

قسماً بمُهديك الذي أنواره كالشمسِ إلا أنّها لا تُغربُ
لنَعشتِ مني مُهجةً مَطْلولةً وأنلتني فوقَ الذي أنا أطلبُ
إيه، أبا حسنٍ بأيّ عبارةٍ أثني على عليك عَزَّ المطلبُ
طَوَّقتني منها قِلادةً مَفخرٍ في مثلها باغي المكارمِ يرعُبُ
وإليّ كما كالبحرِ قيسَ بمذنبٍ والشمسِ نازعها، الضياء، الكوكبُ

يحاول الشاعر التركيز على قيمة الكرم وذلك من خلال صور تشبيهية، واستخدم أساليب مختلفة في رسم هذه الصورة بأسلوب جميل بدأها بالقسم ليؤكد تلك القيمة ويرسخها للممدوح، ثم ينتقل إلى التشبيه مع الاستثناء، إذ يشبّهه بالشمس إلا أنه دائم الشروق على عكس الشمس، ثم يذكر في البيت الثالث اسم ممدوحه أو كنيته (أبا حسن)، منتقلاً بعد ذلك إلى دلالات الكرم من خلال التشبيه بالشمس في حين أن ابن جياب أكثر عطاء من الشمس فإن نوره لا ينقطع، وهذا دليل قوي على كرم الأمير، وكذلك دليل على دعوة الناس إلى الكرم، والسخاء للوصول إلى أعلى المراتب والنبل والكرم؛ لأن حقيقة الإنسان الباطنة تحمل أوصافاً ومعاني حسنة يستطيع الفرد الاعتماد عليها وتخلق به بعيداً عن القيم البذيئة.

(١) القرطاجني، أبو الحسن حازم (ت ٦٨٤هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: الحبيب ابن الخواجة، دار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م، ص ٢٨٣.

(٢) ابن الجيّاب (٦٧٣ - ٧٤٩ هـ) علي بن محمد بن علي بن سليمان، أبو الحسن ابن الجيّاب، ولد بقرنباطة، وهو شاعر أندلسي قرناطي أنصاري، من شيوخ لسان الدين بن الخطيب، ومن معاونيه في ديوان الإنشاء، وتوفي ضمن ضحايا الوباء الكبير. ينظر: الزركلي، الإعلام، ج ٥، ص ٦. وكحالة، معجم المؤلفين، ج ٧، ص ٢٠١.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ١١٠.

ومن المواضع التي ذكرها ابن الخطيب في وصف ممدوحه، قوله بحق الوزير أبي بكر ابن ذي الوزارتين ابن عبدالله بن الحكيم " (١) يصف كرمه قائلاً (٢):

أَنورُ سَناءٍ لَاحٍ في مَشْرِقِ العَرَبِ وَفَرعُ اعتِلاءِ لَاحٍ في دَوْحَةِ العَرَبِ
وَوَارِثُ أَعلامِ العُلَى نَشِبَ النَّدَى وَمُوقِدِ نارِ البِشْرِ في ظَلَمِ الكَرَبِ
نَطَقَتِ فحُزَّتِ الحُكْمَ فَصَلاً خَطابُهُ يُقَلِّبُ مِنْ وَشْيِ البِلاغَةِ في عَصَبِ
وَمَنْ كَابِي " بَكرٍ " عَميداً مُؤمَلاً خُلاصَةَ شَعبِ العِلمِ ناهِيكَ مِنْ شَعبِ
كَفيلٍ بَنيلِ الجُودِ قَبْلَ سِوَالِهِ وَصُولِ إلى الغَاياتِ في المَرَكِبِ الصَّعبِ
وَأيُّ أنسِ كَابِي في سَحَابِ كَفِّهِ إِذا كَلِحَتِ شَهَباءُ عَن نَاجِرِ الجَدْبِ

فقد كان الوزير يتحلى بصفة الكرم، وقد مدحه تلميذه لسان الدين بأن أنواره وضيائه انتشرت، وهو غصن عالٍ لاح في دوحة العرب والوارث العلا، وهو موقد النار في كل الأوقات والشدائد " وعن أنس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فسأله فأعطاه غنماً بين جبلين فأتى الرجل قومه فقال: أي قوم أسلموا؛ فوالله إن محمداً يعطي عطاء رجل ما يخاف فاقة " (٣).

فهو يشبه ممدوحه بأنوار سناء، وإذا كان لهذه الصورة بعض الجمال فهو في هذا الجو الروحاني الذي خلقه على أبياته خالطاً بين الناحية المعنوية والمادية، وعبر عن ذلك بصدق إحساسه، فقد استعمل الألفاظ الدالة على المدح واستعمل ألفاظ الكرم والجود، إذ إن الكرم هو جزء من أجزاء المدح ويشبه الممدوح بالموقد نوراً للبشر في الظلم والكرب.

وربما يتبادر إلى الذهن أن الشاعر يستجدي ويتكسب من مدحه للسلطان (أبي الحجاج) نتيجة كثرة مدح الشاعر له ؟ فإنه لم يكن هذا التكسب وارداً في تلك الفترة على الأقل، وإن

(١) ابن الحكيم (٦٦٠ - ٧٠٨ هـ) محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللخمي الرندي، أبو عبد الله، المعروف بابن الحكيم: وزير أندلسي، ولد برندة. وانتقل من رندة إلى غرناطة. ولما ولي أبو عبد الله محمد (المعروف بالملخوع) قلده الوزارة والكتابة، ثم لقبه بذي الوزارتين، واستمر إلى أن توفي بغرناطة قتيلاً. الزركلي، الأعلام، ج٦، ص١٩٢.

(٢) ديوان ابن الخطيب / ١ / ١١٦.

(٣) أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى (ت٣٠٧هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤، رقم الحديث (٣٣٠٢)، ج٦، ص٥٦.

شاعرنا " لم يكن فقيراً معدماً حتى يستجدي بشعره " (١) وهو ينفي ذلك بقوله (٢):

وما الشَّعْرُ إلا ما أفوهُ بسَحْرِهِ وما خَلَّصَتْ إِبْرِيْزَهُ شُعْلَةُ اللَّبِّ
ولستُ كمن يَعْتَدُّ بالشَّعْرِ مَكْسَباً هَبَلْتُ رَضِيْعَ المَجْدِ إنْ كانَ مِنْ كَسْبِ

ومن العادات الاجتماعية الإيجابية التي ذكرها ابن الخطيب الشجاعة المحمودة المتمثلة بالإقدام بعقل في مخاطرة يرجى منها خير أو دفع شر، فالإقدام بغير عقل يعني جنونا أو شبيها به، والشجاعة هي نسب متفاوتة تختلف باختلاف الناس، وما من شجاع إلا لديه نسبة من الجبن الفطري (٣).

ومن صور الشجاعة ما يصف به السلطان (أبا الحجاج) المتمثلة بنصرة الدين، ويصف جيشه بأنه يملأ الفضاء كثرة وضجيجاً وقلوب الأعداء ترتجف خوفاً ورهبة وذعراً، يغادر أرض الكفر، وقد تركها مخربة، قفراء وعلى أديمها أجساد القتلى، وأرجاءها ممتلئة بكاء ونحيباً، ويهنته بفتح (كركيول) (٤) من ثغور العدو في إحدى ربيعي عام أربعين وسبعمائة قانلاً (٥):

بُشْرَى يَقُومُ لَهَا الزَّمَانُ حَطِيْباً وتَأْرَجُ الآفَاقُ مِنْهَا طِيْباً
أظْهَرْتَ دِيْنََ اللهِ فِي ثُغْرِ العَدَى وقَهَرْتَ تِمْتَالاً بِهِ وَصَلِيْباً
وَدَعَرْتَ بِالجَيْشِ اللُّهَامِ بِلَادَهَا مِلءَ الفَضَا، مَلَأَ القُلُوبَ وَجِيْباً

.....
عَادَرْتَهُمْ صَرَعَى عَلَى عَفْرِ الثَّرَى وَمَلَأَتْ أَرْضَهُمْ بُكَاً وَنَحِيْباً

تتجلى قيم الشجاعة في هذه الأبيات بوضوح من خلال الإنجازات التي توصل إليها الممدوح، وتمتزج هذه القيمة مع قيم خلقية أخرى تعزز الدلالة وتحقق الشجاعة، ومن تلك القيم التقى والورع والامتثال لأوامر الله ﷻ مما جعل الممدوح ينتصر على أعدائه، لا بالجيش وقوة السلاح

(١) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣١.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٦٥.

(٣) قادر، عزيز، حرب الأفكار، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٦٧.

(٤) كركبول : أو كركيول من أقاليم قرطبة يبعد عن برجة في الشمال الغربي بعشرة كلم . ينظر : حاشية ديوان

ابن الخطيب، ١ / ١٠٣.

(٥) ديوان ابن الخطيب ١ / ١٠٣.

وحدها، بل بالدعاء والتضرع إلى الله، وهذا ليس غريباً على رجل ينتمي نسباً إلى الصحابة الكرام، الذين نصرهم الله في مواطن كثيرة لا بالعدد والقوة وحدها، ولكن بالإيمان بالله والصبر على الشدائد، والثبات عند اللقاء والوفاء بالعهود وهذا كله يوصل الإنسان إلى التحلي بالقيم الخلقية ومن ضمنها الشجاعة .

ويجدد ابن الخطيب صورة من صور الشجاعة التي رسمها بقوله^(١):

بَلَعَتْ مَلُوكَ الرُّومِ عَنْكَ مَهَابَةً فَعَدَّتْ تَمَجُّجَ الرِّيقِ فِي لَهَوَاتِهَا
لَا عَرَوْا أَنَّ الرُّومَ خَامَرَ قَلْبُهَا فَالْأَسَدُ تُخْشَى وَهِيَ فِي أَجْمَاتِهَا
لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ شِمَانِلًا عُرِّ بِدَتْ وَالْحُسْنُ بَعْضُ صِفَاتِهَا

فقد جسّد الشاعر قوة الممدوح من خلال خوف الأعداء منه، إذ إنه صور لنا جيوش الروم قد ذعروا ؛ لأن الروم تخشى شجاعته وخامر قلبها، مشبهاً الممدوح بالأسد التي يخشاها الكل وإن كانت في منازلها ساكنة، وكذلك العدو يخاف من ممدوحه قبل أن يراه، ثم ينتقل لصورة أخرى وهي أن ممدوحه قد أظهر دين رسول الله وأحق الحق؛ ولأن بقاء ذكر اسم الله من حسناتها ، وإن الجيوش الإسلامية المُغذاة بالإيمان بالله وبرسوله فلما يدب إليها هذا الداء .

ومن العادات الاجتماعية الإيجابية التي وقفنا عليها في شعر ابن الخطيب هي (الوفاء) يعدُّ الوفاء من القيم الخلقية التي حث عليها الإسلام وحافظ عليها، ويقول القدماء " من عُرف بالوفاء حافظ عليه أهل مودته، وتاقت أنفس الكرام إلى نصرته " ^(٢) فلا عجب أن يتغنى الشعراء بالوفاء " لأن فيه خلود للذكر لا يُدانِيه خلود " ^(٣).

أما شاعرنا ابن الخطيب فقد استلهم قيم الوفاء وأدركها ووظفها في شعره، فيقول في قصيدة نبوية يذكر فيها عهده للرسول ﷺ قائلاً^(٤):

مَالِي ، وَتَذَكَارَ الصَّبَابَةَ وَالصَّبَا وَمَوَاتِقًا عِنْدَ الْهَوَى وَغُهُودًا؟

وَتَذَكَّرْتُ عَهْدًا بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى لَا يَسْتَحِيلُ وَمَوْقِفًا مَشْهُودًا

(١) ديوان ابن الخطيب ١ / ١٦٩ .

(٢) ابن منقذ، الأمير أسامة (ت٥٨٤هـ)، لباب الآداب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار السلفية لنشر، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٥٠.

(٣) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله النميري (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ج٤، ص١٢.

(٤) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٥١ .

وَرَقَّتْ مَعَارِيحُ الْعُلَا (لِتَحُوزَ فِي) سَمَطِ الْجَلَالِ نِظَامَهَا الْمَعْهُودَا

يَا مُصْطَفَى الرَّحْمَانِ ، وَالنُّورُ الَّذِي أَخْفَى الضَّلَالَ، وَأَظْهَرَ التَّوْحِيدَا

إن الوفاء صفة من صفات المؤمنين الصادقين الذين يصدقون بما يعدون به، وهي من الفضائل الخلقية، وأعد الله تعالى الأجر العظيم للموفين بالعهود والمواثيق .

فالشاعر هنا يجدد دعوته وعهده للنبي ﷺ والوفاء به، وهو موثق مشهود وبعد تأكيده الوفاء للرسول ﷺ، شبهه بالنور؛ لأنه أخفى الضلال، وأظهر التوحيد ومحاربة قوى الظلام . والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس .

وفي موضع آخر يقول ابن الخطيب عن الوفاء^(١):

مقام الندى، والبأس، والعدل والتقى ومُسْتَوْدَعُ الْعِلْيَاءِ وَالشَّرَفِ الْعَدِّ

إِمَامٌ هُدَى مِنْ "آلِ سَعْدٍ" نِجَارُهُ وَنَصْرُ الْهُدَى مِيرَاثُهُ "لِبَنِي سَعْدٍ"

مِنْ النَّفَرِ الْوَضَّاحِ وَالسَّادَةِ الْأَلَى يُعِيْثُونَ فِي الْجُلَى ، وَيُوفُونَ بِالْعَهْدِ

يصور لنا ابن الخطيب الوفاء هذه الصفة الحميدة في السلطان، ومن جانب آخر يبين مميزات من يتصف بها، فضلاً عن أنها ترفع من شأن الشخص إلى المصاف العليا، ويبقى على مصداقية واحترام الناس له، وبذلك عمد الشاعر إلى التكرار اللفظي، فكرر لفظة (هدى) لتأكيد التقوى والقيم النبيلة في (آل سعد)، وإن الدين أمانة في أعناقنا، فإن بينوه للناس ودعوا إليه كانوا بذلك أوفياء لله ولدينه .

ومن العادات الاجتماعية الأخرى استدعاء يوم العيد بعد إكمال صوم شهر رمضان، يقول ابن الخطيب^(٢):

وَأَزْمَعَ عَنْكَ الشَّهْرُ لَا عَنْ مَلَالَةٍ فَقَدْ كَمَلْتَ بِالْبِرِّ مِنْهُ الْمَارِبُ

(١) ديوان ابن الخطيب ١/ ٢٩٦ - ٢٩٩.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١/ ١٢٢.

وَوَافَاكَ عِيدُ الْفِطْرِ يَطْوِي لَكَ الْمَدَى وَحُطَّتْ لَهُ، فِي مُنْتَدَاكَ، الرَّكَائِبُ

فقد استلهم ابن الخطيب هذه العادة الاجتماعية يوم العيد، وصور لنا بأن السلطان قد أكمل الشهر بالبر والإصلاح بصيام رمضان وإكثار أفعال الخير فيه، ثم جاء العيد وأقبل الناس إليه؛ لأنه يحبهم ويسعد لرؤيتهم، وبالمقابل الناس تحب أن تراه يوم العيد ليكتمل الفرح .

ومن العادات الاجتماعية التي ضمنها ابن الخطيب (عيد النيروز)^(١) وإن تخصيص هذا اليوم بالعيد ليس من السنة النبوية؛ لأن أعياد الإسلام هما عيد الفطر والأضحى^(٢)، ولكن ابن الخطيب يؤكد الاحتفال بهذا اليوم وهو يُهنئ السلطان^(٣):

وَيَهْنِيكَ "نَيْرُوزٌ" سَعِيدٌ قَدْ انْقَضَى أَتَتْكَ عَلَى آثَارِهِ مِنْهُ أَعْدَادُ

أَتَاكَ عَلَى عِلْمٍ بِجُودِكَ فِي الْوَرَى فَأَمَّلَ مِنْ جَدْوَاكَ مَا هُوَ يَعْتَادُ

فقد صور ابن الخطيب العيد بأنه هو الذي يُهنئ السلطان، والناس جاءت إليك لأنها تعلم بجودك، وهم معتادون على هذه المناسبة .

وموضع آخر يستلهم عيد النيروز ليضمنه في شعره يقول^(٤):

أَتَاكَ بِهَا النَّوْرُوزُ مُعْتَرِفًا بِمَا لِمُلْكِكَ فِيهِ مِنْ نَوَالٍ وَمِنْ عُرْفٍ

وفي هذا الموضع يستلهم ابن الخطيب لئيبين دلالة أخرى بهذا العيد، فيُصور العيد بأنه هو الذي يعترف به أمير، ويقرّ بكرمه وجوده ورائحته الطيبة التي تفوح عطرًا لكل الناس .

(١) عيد النيروز: من أعياد النصارى الشهيرة، ويكون في أول توت أي رأس السنة القبطية. وحاكى مسلمو مصر الماليك إخوانهم الأقباط في الاحتفال، فيعملون في ذلك اليوم كثيراً من الحلوى والزلابيا، أما المرأة ففي داخل البيت تصنع الحلوى، وأما خارجه فجرت العادة أن يجتمع العامة بالطرقات ويلعبوا، ويشربوا الخمر جهارا واختلاط النساء بالرجال علناً، والوالي لا ينظر بقضية من ضاع ماله بذلك اليوم. ينظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري في عصر السلاطين الماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٢١- ٢٢٢.

(٢) الأنصاري، زكريا، (ت ٩٢٦هـ)، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٢٧٩.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٧٤.

(٤) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٧٦.

أما العادات والتقاليد السلبية التي حاربها الإسلام ونهى عنها ، والتي ذكرها ابن الخطيب في شعره منها الحرز، والقдах والطالع، والتمائم، ومعتقد اليمين واليسار، ومعتقد النار عند الهنود وغيرها .

واستدعى ابن الخطيب معتقد (الحرز)^(١)، وهو يُهنئ السلطان يقول^(٢):

فَلْيُهِنِ أُنْدَلُسًا قُدُومَكَ إِنَّهُ حِرْزٌ لَهَا مِنْ طَاغِيَاتِ عَتَاتِهَا
تُنْسِي فِعَالَ أَيْبِكَ فِي آبَائِهِمْ وَالشُّبْلُ نِدُّ الْأُسْدِ فِي فَعَلَاتِهَا
فَاللَّهُ يُخْدِمُكَ الْكَوَاكِبَ عِزَّةً لَكَ سَعْدُهَا، وَالْيَمْنُ مِنْ تَبِعَاتِهَا

يصور لنا الشاعر في هذا النص الشعري، وهو يُهنئ السلطان (أبا عبدالله)^(٣)، ويصف قُدمه حافظ للأندلس من الظالمين ، وهذا الوصول محروز من كل روح باصرة من عين، أو لسان يعبر عن زين أو شين^(٤) ، وقدمه إلى الأندلس هو فرح وخير، فالدلالات التي صورها الشاعر بأن ممدوحه محفوظ، وقد خدمته الكواكب لأنه من أصحاب الحظ الذي توارثه من أجداده، فهذا الشبل ابن ذاك الأسد، كانت أفعاله بالخير كثيرة، وهو صاحب حظ كبير .

ويجدد ابن الخطيب تضمينه للحرز فيقول^(٥):

فَحُسْنُ عَزَائِي حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَفُرَّةٌ عَيْنِي لَمْ تُجَلِّ بِمِرَاتِي

(١) من العادات والتقاليد (التمام ، الحرز) التي كانت شائعة في المجتمع العربي، وذلك من خلا إيمانهم بهذه المعتقدات التي يظنون فيها بأنها تقيهم شر الحسد، ولذلك علقوا هذه التمام والحروز والتعاويذ على الأشياء الثمينة لديهم، سواء تعلق على صدور أبنائهم أو البيت أو على المجنون لشفائه. ينظر : الأحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م ، ص ١١٣١.

(٢) ديوان ابن الخطيب / ١ / ١٧٢ .

(٣) أبو عبدالله هو ابن أبي الوليد إسماعيل بن الرئيس أبي سعيد فرج بن الأحمر المتغلب على ملك الأندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش ، وقد بادر السلطان أبو عبدالله إلى الوفاة على السلطان أبي الحسن لمحاربة الطاغية المستولي على جبل الفتح منذ سنة ٧٠٩هـ، فقدم عليه بدار ملكه بفاس سنة ٧٣٢هـ ، فأكرم أبو الحسن وفادته وعقد لابنه أبي مالك، فزحف مع بني الأحمر إلى الجبل وأحاطوا به وألحوا عليه إلى أن فتحوه سنة (٧٣٣هـ) . ينظر : الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ٣ ، ص ١٢١ .

(٤) الفلقشندي، أحمد بن علي(ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق : يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م ، ج ١١ ، ص ٢٨٥.

(٥) ديوان ابن الخطيب / ١ / ١٧٨ .

شُهُودُكَ أَمَّنْ مِنْ عِدَاةِ خَوَاطِرِي وَقُرْبُكَ "حِرْزٌ" مِنْ تَوَقُّعِ آفَاتِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَصَلَ فَهَبْهَا إِشَارَةً فَيَا حُسْنَ شَارَاتِي بِهَا مِنْ إِشَارَاتِ

فصور الحرز بأنه تقرب إلى الله، لأنه محمي من كل عين وحسد ، فهنا دلالة التصوف الديني واضحة من خلال (وقربك حرز) أي التقرب إلى الله، فإذا لم يتحقق هذا الوصل الحقيقي، فإنه يطلب الإشارة من الذات الإلهية لأجل أن تتحقق الآمال التي يطمع بالوصول إليها.

ويستدعي ابن الخطيب الحرز وهو يخاطب السلطان في العيد يقول(١):

وَلَا حَتَّ لَنَا مِنْ بَشْرِهِ وَنَوَالِهِ سَحَابٌ تَهْمِي وَشُمُوسٌ طَوَالِعُ
فَلَمْ نَرِ مِنْ قَبْلِ اسْتِئْلَامِ يَمِينِهِ بِحَارِ نَوَالٍ قِيلَ هُنَّ أَصَابِعُ
أَلَا هَكَذَا فَلْيُحْرِزِ الْمَجْدَ رَبُّهُ وَتُبْنِي الْمَعَالِي أَوْ تُرَبِّي الصَّنَائِعُ

يرى الشاعر في هذا النص الشعري أن السلطان جاء بشري للناس، فهو صاحب الخير الكثير بل هو سحاب يحمل المجد، ويكرر وصف السلطان بأنه شمس طلعت للأندلس، فمنذ استلامه الإمارة أقبل الخير كله بحاراً، وهذا الخير العظيم يحرسه الحرز . فالصورة تدل هنا على أن المجد الذي صنعه السلطان والمعالي كلها باقية؛ لأنها محروسة بالحرز من كل عين وحاسد .

ومن العادات الاجتماعية الأخرى " القِدَاح " : وهو السهم قبل أن يراش ويركب نصله وكان العرب يقتسمون به في الجاهلية (٢)، وكانت طريقة الاقتسام به هو أن توضع سهام داخل قرية ويسحب المتسابق أحد السهام فيعرف حظه (٣)، ومن يظفر بالقده المعلى يكون هو صاحب الحظ السعيد (٤) يقول ابن الخطيب(٥):

قَدْ غَزَتْنِي الْخُطُوبُ غَزَوَ الْأَعَادِي وَبَرَّتْنِي الْهُمُومُ بَرِّي قِدَاحِ
سَبَقَ الْحُكْمُ وَاسْتَقَلَّ وَهَلْ يُمَحَى قَضَاءٌ قَدْ خُطِّفِي الْأَنْوَاحِ!؟

(١) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٤٨ .

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قدح)، ج ٢، ص ٥٥٤ .

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٨٢ .

(٤) القده المعلى : هو سابع قداح الميسر، فمن ظفر بهذا القدها يكون هو الفائز الأول، وهو صاحب الحظ السعيد . مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧١٧ .

(٥) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٥٤ .

لَا لِدُنْيَا جَنَحَتْ أَلْعُ فِيهَا لِأَلِدِينِ خَلَصَتْ، لِأَلِصَلَاحِ

قَاطِعاً فِي العُرُورِ بُرْهَةً عُمَرِي خَسِرَتْ صَفَقَتِي، وَخَابَتْ قِدَاحِي

صور ابن الخطيب بأن قداحه جاء إليه بالشؤم، حيث داهمه الشيب وغزاه كما تغزوه الأعداي، وجاءت إليه الهموم فأقعدته، لأن قداحه سيء، وفي البيت الثاني يصور بأن هذا الحكم قاسٍ وقد سبق أوانه، ويبرر موقفه بأنه لم يتمتع بالدنيا من جهة، والأخرى لم يلتزم بدينه التزاماً خالصاً، فالصورة التي مثلتها الأبيات الثلاثة جعلته يستنتج في البيت الرابع بأن قداحه قد خسر العمر كله.

ويستدعي ابن الخطيب القداح وهو يرثي أبا الحسن المريني^(١):

يَرْضَى الرَضَى بِهَا إِذَا مَا أَنشَدَتْ يَوْمًا، وَيَعْرِفُ، فَضَلَّهَا، "مَهْيَارُهُ"^(٢)

قَدَحَتْ زِنَادُ الشَّوْقِ نَارَ شُجُونِهِ وَإِذَا قَدَحْتَ الزُّنْدَ طَارَ سَرَارُهُ

عَاقَ الأَعَادِي عَن رَثَانِكَ بُرْهَةً فَعَدَا العَبِيَّ وَشَانِكَ إِسْرَارُهُ

استلهم ابن الخطيب لهذا النص الشعري باستدعائه لشخصيات تاريخية منها الشريف الرضي ومهيار، ليرسم لنا صورة شعرية بأنهم لو سمعوا هذه المرثية لرضوا بها ولعرفوا قدرها، والسبب في ذلك لأنك يا أبا الحسن قد فزت بحياتك بحب كبير في قلبي، أما اليوم أصبح الحزن عميقاً في صدري لافتقارك، ولهذا كان التعبير من القلب. وهذه المرثية جاءت عن شعور صادق، ولأنك صاحب حظ وحصلت عليها، مما جعل الأعداي يحسدونك عليها، والدلالة أن القداح قد حصل عليه المرثي لأنها مرثية يتمناها أي شخص .

ومن المعتقدات الأخرى "النثار" الذي كان قيمة اجتماعية في العصر الجاهلي، بل أصبح عادة عند العرب بسبب الظروف التي فرضتها طبيعة الحياة على الإنسان العربي فلم " يجد مناصاً من أن يلتزم بما تفرضه القبيلة وتتطلبه ظروفها " ^(٣) بكل الأحوال القاسية سواء كانت هذه الحالة سلباً

(١) ديوان ابن الخطيب ١ / ٤٤٤ .

(٢) مهيار بن مرزويه، أبو الحسن أو أبو الحسين الديلمي (ت ٤٢٨هـ) شاعر كبير، وفي أسلوبه قوة. جمع مهيار بين فصاحة العرب شاعر زمانه. فارسي الأصل، من أهل بغداد، ولد في الديلم، في جنوب جيلان، وأنه استخدم في بغداد للترجمة عن الفارسية . وكان مجوسياً، وأسلم سنة (٣٩٤ هـ) وتشيع، وغلا في تشيعه . ينظر : الزركلي ، الأعلام، ج٧ ، ص٣١٧ .

(٣) رشيد، جليل، القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي، مجلة آداب الرفادين، عدد ٧، لسنة ١٩٧٦، ص٥٢٢ .

أم حرباً، وبسبب طبيعة الصحراء القاسية وكثرة حروبها جعلت من الثأر ضرورة اجتماعية لا يمكن تجاهلها وأصبح الأخذ بالثأر دليلاً على الشجاعة^(٧)، والتهاون دليلاً على الجبن، فالعربي يُعدّ الثأر واجباً مقدساً مفروضاً عليه، وتصديقاً بهذا الواجب عليه أن يوصي أبناءه من بعده وأحفاده بضرورة الأخذ بالثأر.

ولم ينس ابن الخطيب نصيبه من هذا الواجب الذي أجمع عليه شعراء العرب، فيقول عقب الكائنة العظمى بـ "طريف"^(٨):

لَا يَغْرُرُ الرُّومَ مَا نَالُوا وَمَا فَعَلُوا فَإِنَّ نَلَّكَ إِمْلَاءً إِلَى أَمَدٍ
فَلْقُتُوبٍ مِنَ الْعَمَاءِ مُنْصَرَفٍ بِمَا تَقَدَّمَ فِي "بَدْرِ" وَفِي "أُحُدٍ"
وَإِنَّ دُونَ طِلَابِ الثَّأْرِ أُسْدٌ وَعَى مِنْ قَوْمِكَ الْغُرُّ أَوْ أَبَانِكَ النَّجْدِ

لقد استدعي معركتنا بدر وأحد، والحرب سجال، يوم لك ويوم عليك. وهو يتوعد بأخذ الثأر؛ لأن في قومه رجالاً لن تنسى ولو بعد حين .

وقد أنشد ابن الخطيب في عيد النيروز لعام أربعين وسبعمئة، وذلك عقب الواقعة بالأمير أبي مالك^(٩) يقول^(١٠):

لَعَمْرِي لَنْ هَاجَتْ عَزَائِمَكَ الْعِدَى كَمَا بَحَثَتْ عَنْ حَتْفِهَا رَبَّةَ الظَّلْفِ^(١١)
وَعَرَّتْهُمْ الْحَرْبَ السَّجَالَ وَقَلَمًا يَدُلُّ غُرُورُ الْقَوْمِ إِلَّا عَلَى الْحَتْفِ
فَقَدْ أَنْ أَخَذَ الدَّيْنِ مِنْهُمْ بِثَأْرِهِ وَمَا كَانَ جَفْنُ الدَّهْرِ فِي مِثْلِهَا يُعْفِ

(١) البياتي، المنابع الثقافية الأولى للشاعر الجاهلي، ص ١٧٩.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٧٨.

(٣) أبو مالك: هو ابن السلطان أبو الحسن، فشخصه أبوه إلى أن يتوغل في البلاد النصرانية، فأمكن له ذلك وحصل على السبي والغنائم، ولكن النصارى جمعوا له، فأشار عليه أتباعه بالخروج من أراضيهم ولم يخرج؛ لأنه كان قرماً ثباتاً، وغير بصير بالحرب لصغر سنه فباغتتهم عساكر النصارى فقتلوه، وكان ذلك سنة (٧٤٠هـ). ينظر: الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ٣، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٤) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٧٦.

(٥) الظلف: الظفر المشقوق للبقرة، والشاة والظبي ونحوها، ويشير إلى المثل السائر (كالباحث عن حنقه بظلفه). ينظر: العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين (ت ١٠٣١هـ)، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج ١، ص ١٩٤.

يستلهم ابن الخطيب من الواقعة التي حلت بأبي مالك عقب واقعة طريف، فيصور بالبيت الأول هذه الفعلة التي ارتكبتها النصارى كالذي يبحث عن موته بيده، ثم يستدرك ويقول إن الحرب سجل يوم بيوم، وغرورهم يجلب لهم الموت؛ لأن هذه الواقعة العظيمة ستأخذ بالثأر، ولا يُعفي عن خطيئة استجابة لديننا.

ومن العادات والتقاليد الاجتماعية الشائعة في المجتمع العربي (التمام) وعلى ما يبدو فإن ذلك يعود إلى اعتقادهم بهذا الأمر، لذا استلهم الشعراء دلالتها لخدمة أغراضهم الشعرية، ومن هذه المعتقدات الجاهلية الاجتماعية الباقية إلى يومنا هذا التمام وهي عبارة عن تعويذات تعلق على الصدور للوقاية من الحسد، أو توضع على المجنون لشفائه (١).

يقول ابن الخطيب وهو يصف حمالة سيف لأحد أولاد السلطان(٢):

إِنَّا بَنِي نَصْرٍ إِذَا مَا أَطْلَعَتْ يَوْمًا سَمَاءٌ سُعُودِنَا مَوْلُودًا
كَانَتْ حَمَائِلُنَا لَهُ وَسُرُوجُنَا بَيْنَ الْمُلُوكِ، تَمَانِمًا وَمُهُودًا

وابن الخطيب في هذين البيتين يصف شجاعة بني نصر، بأنهم إذا ولد لديهم مولود جديد، يُلبسونه حمالة السيف؛ بدل التمام، وأما سرج الخيل فهي مهد له.

ومن المعتقدات الشائعة قبل الإسلام والتي انتشرت في معظم الأرض العربية ظاهرة (زجر الطير والعيافة) حيث كانت العرب تزجر على السانح وتترك به ، وتكره البارح وتتشاعم منه، والسانح ما أراك مياسره فأمكن صائده، والبارح ما أدرك ميامنه فلم يكن الصائد إلا أن يَنْحَرِفَ لَهُ(٣)، والعرب تمسكوا بهذه المعتقدات وكانوا يأمنون بها إيماناً عميقاً حتى ظهر الإسلام، وأثار قلوبهم، وكانت هذه الظاهرة مرتبطة بالخير والشر، والنصر والهزيمة، وابن الخطيب قد ضمن هذه الظاهرة في أشعاره ووظفها يقول(٤):

تَسْتَوِدُّعُ الْأَنْسَابَ غُرَّةَ يَعْرِبِ وَتُشِيدُ فُخْرًا لَا يُطَالُ أَثِيلُهُ

(١) الأحمَد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص ١١٣ .

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٣٠

(٣) الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ج ١، ص ٢٩٢.

(٤) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٤٧٨ .

وَدَهَبَتْ تَعْتَامُ الْبُيُوتَ مَيْمًا مَا يَمَّتْ أَدَاوُهُ وَقِيُولُهُ

فَحَدَاكَ تَوْفِيقُ الْإِلَهِ لِمَنْصِبٍ مَثْوَاكَ مَثْوَاهُ، وَعَيْلِكَ غَيْلُهُ

استلهم الشاعر هذا المعتقد ووظفه بصفة المدح، فالصورة الشعرية تبين أن النسب المتصل بيعرب هو نسبٌ أصيلٌ إلى أن يصل لقبيلة الخزرج التي أنت منها أيها الأمير، وهذا النسب مُيَمَّنٌ، والتيمين فيكم قديم يا آل خزرج منذ ملوك القِيُولَة في اليمن، والله حفظكم ورفع شأنكم، وزاد منزلك منزلة بهذا النسب .

وفي موضع آخر يستلهم الشاعر معتقد النار عند الهنود وهذا المعتقد لم يكن موجوداً في الأندلس، وابن الخطيب قد وظفه في شعره، يقول (١):

لِلَّهِ "يَوْمُ الْمَرْجِ" لَا بَعْدَتْ بِهِ أَيْدِي الزَّمَانِ وَشَفَعَتْهُ بِثَانِي

فَكَأَنَّهُمْ، و"المشرفية" فَوْقَهُمْ نَارُ الْقَبُولِ أَتَتْ عَلَى قُرْبَانِ (٢)،

لِلَّهِ نَاراً أَهْلَكَتْ عُبَادَهَا "هِنْدِيَّةً" تَغْدُو بِغَيْرِ دُخَانِ

نَارٌ وَلَكِنْ فِي مُتُونِ غِرَارِهَا مَاءٌ يُوجِّجُ غُلَّةَ الظَّمَانِ

يصور الشاعر هذا المعتقد الهندي، ويوظفه في معركة (يوم المرج) التي دارت بين المسلمين والنصارى، وانتصر المسلمون في هذه المعركة، وقد شبه الشاعر النصارى بأنهم عباد نار، وقدموا أنفسهم قرابين لهذه النار، وهذا استلهام وقدرة عند الشاعر على معرفة تقاليد البلدان الأخرى ليوظفها في شعره، ويستخدمها في مدح السلطان، ومدح الجيش الإسلامي ورفع قدره .

(١) ديوان ابن الخطيب ٥٧٧/٢.

(٢) وهذه إشارة إلى قربان الهنود الذي يحرقونه بالنار. ينظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٥، ص ٦٦.

المبحث الثاني

استدعاء المعتقدات الأسطورية:

الأسطورة وفي اللغة تعني الأباطيل^(٧) وورد ذكر الأساطير في القرآن الكريم قول تعالى: ﴿

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴿٧﴾ وجاء في تفسير هذه الآية،

قالوا : الذي أنزل ما سطره الأولون من قبلنا من الأباطيل أي الأكاذيب^(٨)، ويكاد يتفق المعنى اللغوي والاصطلاحي، فالأسطورة هي مضمون تراثي، وهي تمثل الدين، والتاريخ، والفلسفة جميعاً عند القدماء، وهي ليست فكرة مبتذلة أو خاطئة، بل إنها فكرة بدوية صبغت بصبغة الإطناب والمغالاة^(٩)، وإن استلهم الشاعر لهذه الأساطير " بقدر ما هو بناء رمزي لوعي الشاعر وموقفه من العالم والأشياء هو صورة عن نظام إبداعي جديد. يركز على حس عميق بالتاريخ ورؤى توحد بين الأزمنة، والأمكنة، والحضارات"^(١٠)، والأساطير كانت مرتبطة بالاعتقاد، ولكن عند شاعرنا، لم يكن لها صلة بالاعتقاد الديني؛ لأنه مسلم موحد لا يؤمن بهذه الأساطير، وإنما جاء استلهامه لها، للإفادة من مضامينها ودلالاتها في القوة والعلو، والخوارق التي تخدم غرضه الشعري، ومن جهة أخرى فهي تفتح أمام الشاعر آفاقاً دلالية واسعة في حيز المبالغة في الوصف الذي يسعى الشاعر له دائماً، فهو يستلهم الأساطير في معرض حديثه عن حادثة معينة أو في تهنئة أو مدح أو غزل، أو رثاء، أو هجاء، وغير ذلك.

ومن الأساطير التي استلهمها شعراء الأندلس أساطير الكواكب والنجوم بشكل كبير في

شعرهم، وإن استدعاء هذه النجوم على نحو خاص يجعلنا نعود إلى البعد الأسطوري الذي يشير

إلى هذه النجوم، وهو يتجلى في الذاكرة الجمعية لدى الشعراء، وخاصة التي كانت تدور حول

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سطر)، ج٤، ص٣٦٣. الرازي، مختار الصحاح : مادة (سطر)، ص١٢٥.

(٨) سورة النحل / ٢٤، وينظر الآيات : الأنعام :٢٥، الأنفال : ٣١ ، المؤمنون : ٨٣، الفرقان : ٥، النمل : ٦٨، الأحقاف : ١٧، القلم : ١٥، المطففين : ١٣ .

(٩) ابن النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت٣٣٨ هـ)، إعراب القرآن، ط٣، تحقيق : زهير غازي زاهد، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٨٨م ، ج٢، ص٢٠٨.

(١٠) خان، الأساطير والخرافات عند العرب، ص٢٠.

(١١) حداد، علي، أثر التراث في الشعر العربي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م، ص٤١.

الشمس والقمر، والتي كان يعتقد بأنهما "إلهان قائمان بذاتهما، في حين كان يتم تشخيص بقية الآلهة عن طريق ارتباطها بالنجوم والكواكب السيارة" (١) فنجد ابن الخطيب قد استلهم هذه الكواكب ووظفها في شعره، إلا أنه لم يُكثر من هذه الأساطير فنجد أنه يستدعي (برج الجدي) (٢) وهو يُجيب أحد الطلبة، يقول (٣):

فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَلَا تَهْفُ فِي كُتُبِ مَدَى الدَّهْرِ وَلَا دَرَجِ
وَلَا تُطْعِ بَرْدَكَ فِي مِثْلِهَا إِلَّا لَعْبِدِ لَكَ أَوْ عُلْجِ
لَا زِلْتَ وَالشَّارِبُ مِنْ حَسَّةٍ وَالرَّيْقُ مِنْ حَامِضِ نَارُنْجِ
يَنْزِيرُ وَالْجَدْيُ إِذَا عَدَّ لَا حَظَّكَ مِنْ شَهْرٍ وَمِنْ بُرْجِ

وابن الخطيب يستدعي برج الجدي ليوظفه في هذا النص وهو يخاطب أحد الطلبة عندما جاء منه كتاب، فيذكره بأنَّ شاربَه من حسٍّ، وأن ريقه من حامضٍ، ثم يستدعي البرج ليذكره مرة أخرى بأنه في بداية الطريق كما هو الحال في برج الجدي بداية الشتاء، وعليه أن يصبر حتى يعتدل ليصبح صلبا، ويستقيم الحظ، ويعتدل البرج.

وفي موضع آخر يستلهم أسطورة كوكب عطارد فيقول (٤):

وَأَمَّا أَعِدَّتْ فَأَعْجَازُ نَخْلِ تَفَطَّرَ عَنْ طَلْعِ يَمْنٍ نَضِيدِ
تَوَلَّى "عَطَارِدُ" إِتْقَانَهَا وَقَابَلَهَا مِنْكَ سَعْدُ السُّعُودِ
وَعُجْمُ مَهَا، مَا عَرَفْنَ الْكَلَامَ، عَدَارَى بُنْيَاتٍ أُمَّ وَوُدِ

يستلهم الشاعر كوكب عطارد فيوظفه في مدح بناء للسلطان، فيصف البناء بأنه مُتقن الهندسة، ومحكم البناء، كما أن كوكب عطارد ينفذ الأمور ويتقن الكتابة (٥)، وبالمقابل أنت أيها السلطان يشرق نورك ويزداد بهجة كما هو الحال في (سعد السُّعُود) (٦) الذي أشرقت أنوار كواكبه.

(١) كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل، ترجمة: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٤٣٠.

(٢) ابن سيده، المخصص، ج ٢، ص ٤١٠.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢١٢.

(٤) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٦٥.

(٥) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٣٢.

(٦) سعد السعود " وهما كوكبان: أحدهما أنور من الآخر، سمي بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع، وما يعيش به الحيوان من النبات. القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج ٢، ص ٢٥٥.

ويستدعي ابن الخطيب أسطورة برج الأسد^(٧)، ويستخدمها في مدح "أبو عنان"^(٨) فيقول^(٩):

"أَبُو عِنَانٍ خَيْرُ مُسْتَخْلَفٍ أَصْلَحَ مِنْ أَمْرِ الْوَرَى مَا فَسَدَ
لَا يُنْكِرُ الْفَضْلَ لِمَلَاكِهِ إِلَّا أَمْرًا وَعَطَى عَلَيْهِ الْحَسَدَ
وَحَقٌّ مَنْ جَمَعَ فِي الْخَلْقِ بَيْنَ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَبَيْنَ الْجَسَدِ
لَأَنْتَ يَا مَوْلَايَ شَمْسُ الْعَلَا حَقًّا، وَهَذَا الْبُرْجُ "بُرْجُ الْأَسَدِ"

لقد أقسم الشاعر بالنفس والروح والجسد، وذلك في صفة وعلو شأن الممدوح، حيث جعله بمنزلة شمس العلا وهي شمس الظهرية، ثم انتقل إلى صورة أخرى يحمل من خلالها أسطورة برج الأسد ليؤكد بها قوة وعظمة الممدوح، وذلك لما تحمله هذه الأسطورة من طول النهار وعلو الشمس فيها وقوة حرارتها .

وقال يهنئ السلطان "أبا حمو" ويستدعي أسطورة النحسان^(١٠)، فيقول^(١١):

الشَّمْسُ أَنْتَ قَدْ أَنْفَرَدْتَ وَهَلْ يُرَى بَيْنَ الْوَرَى فِي مَطْلَعِ شَمْسَانٍ
جَبَرْتَ بِجَبْرِكَ كُلَّ نَفْسٍ حُرَّةٍ وَشَدَا بِشُكْرِ اللَّهِ كُلَّ لِسَانٍ
وَبَدَتْ سَعُودُكَ مُسْتَقِيمًا سَيْرَهَا وَعَلَتْ فَفَرَّ أَمَامَهَا النَّحْسَانُ

ويصف ابن الخطيب ممدوحه بأنه شمس تشرق للناس ، وقد أنفرد بهذه الصفة ؛لأنه لا يوجد في الكون شمسان، ويذكر ممدوحه بأنه يجبر كسر كل نفس حرة، وأنت أيها الأمير حظك مستقيم في سيره وعلو شأنه ، وهذه المكانة العالية التي ذكرها في وصفه ممدوحه هو كـ(الشمس، وسعوده مستقيم) ففر أمامها النحسان المتمثلان بـ (زحل والمريخ) .

(١) برج الأسد : يطول النهار فيه ويكون (من ٢٤ يوليو إلى ٢٣ أغسطس) ، وقيل هو الذي يخرج بعد الطوفان ليحرق العالم . ينظر : النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١٥ ، ص ٢٠ .

(٢) أبو عنان المريني (٧٢٩ - ٧٥٩ هـ) فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، أبو عدنان، المتوكل على الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولد بفاس الجديدة (المدينة البيضاء) وولاه أبوه إمارة " تلمسان " ثم ثار على أبيه، وبويع في حياته ، سنة ٧٤٩ هـ ولما مات أبوه سنة (٧٥٢ هـ) دخل تلمسان فعاد إلى فاس . ومرض أياما فدخل عليه وزيره الحسن بن عمر الفودودي فقتله خنقا. الزركلي، الأعلام، ج ٥ ، ص ١٢٧ .

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٣٧ .

(٤) النحسان : هما زحل والمريخ. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، كتاب خاص الخاص، شرحه وعلق

عليه: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م ، ص ٧٩.

(٥) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٠٧ .

والدلالة من هذه الصورة الشعرية هو رفع شأن الممدوح بأنه كالشمس، وسعوده مستقيم وهذا ما جعل كوكب زحل والمريخ ينكسران من صفتها المتمثلة بالنحسان^(١).

وفي موضع آخر يستلهم (برج الحمل) في مدح السلطان فيقول^(٢):

فَقَرَّ رَاجِفَهَا لَمَّا اخْتَلَّتْ بِهَا وَرُضَّتْ بِالْعَدْلِ مِنْهَا الْمَيْلَ فَاغْتَدَلَا
وَاهْتَزَّتِ الْأَرْضُ فِي رِيْعَانِهَا وَرَبَّتْ كَأَنَّ مُلْكَكَ شَمْسٌ حَلَّتِ الْحَمَلَا

يصف الشاعر أبا الحجاج بأنه أينما يحل فالخير معه، فهو صاحب عدل، بل هو يقيم كل مائلة تعوج، ثم يستدرك بالبيت الثاني بأن الأرض تهتز وتخضر جمالاً، لأن ملكك حلت الشمس برج الحمل^(٣).

والدلالة هنا أن الممدوح إذا حل بأرض كثر الخير فيها كما هو الحال في أسطورة برج الحمل الذي يجلب الخير معه .

وقال يهجو الوزير إبراهيم بن أبي الفتح الأصلع العوي، وابن عمه محمد بن إبراهيم العقرب الردي^(٤) فيقول^(٥):

فِي طَالِعِ النَّحْسِ حُزْتُ رُتِبَتَّهَا وَكُلَّ شَيْءٍ فِي قَبْضَةِ الْقَدْرِ
أَيُّ اخْتِبَارٍ لَمْ يَأُلْ نَصِبَتُّهُ فِي جَسَدِ اللَّحُوسِ أَوْ نَظَرِ
بَاتَ لَهُ الْمُشْتَرِي عَلَى عَيْنِ وَأَحْرَقَتْ فِيهِ قُرْصَةُ الْقَمَرِ

يستلهم ابن الخطيب هذه الكواكب واستخدم دلالاتها في الهجاء، فيصف المهجو بأنه طالع نحس يجلب الشر حيثما حل، وهذا الشر هو قدرنا، ولو كان باختيارنا لما اخترناه؛ لأنه يغير طالع الخير إلى شر، بل حتى قرص القمر احترق وذبح نوره.

والدلالة بأن المهجو طالع شر كما هو الحال في أسطورة النحسان : زحل والمريخ، بل إنه غير أسطورة المشتري الذي به السعد الأعظم^(٦) إلى شؤم ونحاسة، وأن نحاسته أحرقت القمر المنير في السماء .

(١) الثعالبي، كتاب خاص الخاص، ص ٧٩.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٧٦٥ .

(٣) برج الحمل: هو الذي يعتدل نهاره وتزهو الأشجار وتورق، وتذوب الثلوج وتنبع العيون وتسيل الأودية .
النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٤) المقرئ، نفح الطيب، ج ٥ ، ص ١٣٨ .

(٥) ديوان ابن الخطيب ١ / ٤٢٨ .

(٦) المقرئ، نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٨ .

ومن الأساطير التي استلهمها شاعرنا أساطير الطيور ومنها أسطورة (طائر العنقاء)^(١) وقد ضمّن ابن الخطيب هذه الأسطورة، وهو يمدح الشيخ "ابن الجياب" ويصف الصداقة، فيقول^(٢):

إِنَّ الصَّدَاقَةَ لَفِظَةٌ مَذْلُولُهَا فِي الدَّهْرِ كَالْعَنْقَاءِ بَلْ هُوَ أَعْرَبُ

حاول ابن الخطيب أن يجد دلالة لأسطورة العنقاء تتفق مع الغرض الشعري الذي هو بصدده، فقد استخدمه هذه الأسطورة ووظفها في ذكره للصحبة الصالحة، ثم يذكر خلاصة الصداقة بأنها كالعنقاء الذي ذهب بعيداً، وأصبح غريباً يصعب الحصول عليه. والدلالة من هذه الأسطورة بأن الصداقة الحقيقية أمرٌ صعب الحصول عليه، لأنها اختفت معالمها وأصولها كحال طائر العنقاء الذي تغرب وذهب بعيداً.

وستدعى ابن الخطيب (طائر الغراب) إذ كان الشعراء "يتشائمون به ويتطيرون منه"^(٣)، بل

"سمي غراب البين؛ لأنه بان عن نوح عليه السلام حين أرسله لينظر الماء فذهب ولم يرجع وأصبح فاسقاً"^(٤)، فيقول ابن الخطيب مادحاً السلطان أبا الحجاج مستلهما هذه الأسطورة^(٥):

شُهِبَ كَالشَّهْبِ إِذَا قُدِّفَتْ دُهُمٌ كَاللَّيْلِ إِذَا عَسَقَا

صَفَرَ كَالشَّمْسِ إِذَا جَنَحَتْ حُمْرٌ قَدْ أَلْبَسَتِ الشَّفَقَا

إِمَّا صَهَلَتْ فِي أَرْضِ عَدِيٍّ فَعَرَابُ الْبَيْنِ بِهِمْ نَعَقَا

استلهم ابن الخطيب هذه الصورة الشعرية في وصف السلطان بأنه كالشهب تقذف بالليل، ومرة أخرى يصفه كأنه الشمس قد ألبست الشفق، أما في البيت الثالث فإنه يصف السلطان إذا دهم أرض العدو فقد نَعَقَ غراب البين بدارهم لما رأى من قوة سيفه البتار، وكثرة القتلى .

(١) العنقاء: طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم، وأغرب: أي صار غريباً، وإنما وصف هذا الطائر

بالمغرب لبعده عن الناس، ولم يؤنثوا صفته لأن العنقاء اسم يقع على الذكر والأنثى كالدابة والحية. الميداني،

مجمع الأمثال، ج ١ ، ص ٢٠١ .

(٢) ديوان ابن الخطيب ١/١١١ .

(٣) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م ، ج ٢، ص ٣١٥ .

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٢ ، ص ٩١ .

(٥) ديوان ابن الخطيب ٢/٦٨٩ .

ومن الأساطير التي استلهمها ابن الخطيب أسطورة (الهديل) أو الحمام، وقيل أن (الهديل) فرخ كان على عهد النبي نوح عليه السلام فصاده جراح من الطير فليس من حمامة إلا وتبكي عليه إلى يوم القيامة^(١)، كما قيل الهديل هو ذكر الحمام وقيل هو صوت الحمام^(٢) وهو البكاء على هذا الطير. ووظف ابن الخطيب أسطورة الهديل وهو يرثي السلطان (أبا الحجاج) قال^(٣):

مَوْلَايَ كَمْ هَذَا الرَّقَادُ؟ إِلَى مَتَى بَيْنَ الصَّفَائِحِ وَالتُّرَابِ تَنَامُ؟
أَعِدِ التَّحِيَّةَ وَاحْتَسِبِهَا قُرْبَةً إِنْ كَانَ يُمَكِّنُكَ العِدَاةَ كَلَامُ
تَبْكِي عَلَيْكَ مَصَانِعَ شَيَّدَتْهَا بِيضٌ كَمَا تَبْكِي الهَدِيلَ حَمَامُ
تَبْكِي عَلَيْكَ مَسَاجِدَ عَمَّرَتْهَا فَالنَّاسُ فِيهَا سَجَدٌ وَقِيَامُ

يستدعي ابن الخطيب هذه الأسطورة مستلهماً منها دلالة الحزن، فضلا عن طول الحزن دون جدوى، فهذا الحمام قد أفنى الدهر ينوح على الهديل، ولم يرجع شيئاً، فالمصانع التي شيدها والمساجد التي بناها، وفيها الناس سجداً وقياماً تبكي ككاء هديل الحمام على السلطان، وهذا دليل على شدة الحزن وبقائه إلى يوم القيامة .

مما تقدم نخلص إلى القول إن الأساطير حظيت باهتمام ابن الخطيب ، وشكلت أحد مضامينه الاجتماعية؛ لأن ظهورها بدأ مع بداية التفكير الإنساني البدائي الذي تقبل الظواهر المحيطة به ببساطة من دون تأويل، ونسج حولها الأساطير التي اختلط فيها الواقع بالخيال، وتنوعت الأساطير في شعر ابن الخطيب، وعبرت عن فلسفته في الحياة والموت، كما عبرت عن مدى معرفته الواسعة في هذا الجانب، ومدى تأثره بالتراث ومضامينه المختلفة.

(١) الديميري، أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى ، (ت ٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، تصحيح: حسن الهادي حسين، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، ١٨٥٥م، ج٣، ص٤٥١. ويرى أبو هلال العسكري، أن قصة الهديل أكنوبية من أكاذيب العرب، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م ، ج١ ، ص٢٥.

(٢) النميري، حسن محمود موسى، دنيا الحيوان في التراث العربي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٨م. ، ج٢، ص ١٠٤٢ - ١٠٤٣ .

(٣) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٥٧.

المبحث الثالث

الأمثال

"هي وشي الكلام، جوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها ولا عم عمومها، حتى قيل: أسير من مثل" (١) وعلى هذا الأساس فقد نالت الأمثال مساحات واسعة في شعر لسان الدين بن الخطيب، ولاسيما الأمثال التي في طياتها قصص عبرت عن واقع العرب، فأخذ يوظفها ويستلهم دلالاتها بما يتناسب مع الغرض الشعري، فقد جاء استلهام الأمثال وتضمينها بطريقتين: التضمين النصي للمثل، والتضمين الإشاري له.

أولاً : التضمين النصي للأمثال : هو أن المثل يقال كما هو دون تغيير في حركاته الإعرابية، وكثيراً ما نجد شعراء الأندلس يزينون أشعارهم بالأمثال ويضمنونها تضميناً نصياً محاولين إعادة المتلقي إلى أجواء المثل، مستلهمين من ذلك المثل بكل ما يحمله من مضامين ودلالات وإيحاءات وقيم ترفد أفكارهم الشعرية بدلالات واسعة، ومن تلك الأمثال التي ضمنها ابن الخطيب تضميناً نصياً " سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَقَشَّعُ " (٢) ليستسقيه من الأمثال العربية، ويضمنه في شعره، وهو يذكر لوعة فراق الأحبة، وذلك في قوله (٣):

نَوَوَا سَفْرًا عَنِّي الْغَدَاةَ وَأَزْمَعُوا فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَهُمْ كَيْفَ أَصْنَعُ
وَيَا لَأَيْمِي أَكْثَرْتَ فِي اللَّوْمِ فَاتْتَبِدُ فَهَذِي رُقَى فِي عِلَّتِي لَيْسَ تَنْفَعُ
لِغَيْرِ جُفُونِي قُلْ إِذَا كُنْتَ قَابِلًا " سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَقَشَّعُ "

قيل في مضرب هذا المثل " خاصم رجلٌ خالد بن صفوان إلى بلال، ففضى الرجلُ عليه . فقام خالدٌ وهو يقولُ : سحابةٌ صيف عن قليل تقشعُ . فقال بلال : أما إنها لا تنقشع حتى يصيبك

(١) عبد ربه، أبو عمر أحمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧١م ، ج ٢، ص ١٨٥.

(٢) (الأبشيبي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ج ١، ص ٦٩. وينظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٣٤٤.

(٣) ديوان ابن الخطيب ٦٦٥/٢.

منها شُؤبُوبُ برد ، وأمر به إلى الحبس . فقال خالد: عَلَامَ تحبسني فو الله ما جنيت جناية، فقال بلال: يُخبرك عن ذلك بابٌ مصمت، وأقياد ثقيل ، وقيم يقال له حفص"٧)

أما ابن الخطيب فقد وظف هذا المثل للخلاص من التأسف والحزن؛ بسبب رحيل الأحبة، وماذا يصنع بعدهم. وفي البيت الثاني يخاطب الذين يلومونه على هذا الحزن الكبير بأنه لا يمكن أن ينتهي إلا بشرط، وهو ما تأمله في عجز البيت الثالث القائل " سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَفَشَّعُ". والدلالة في هذا المثل أن الحزن لدى شاعرنا كبير، ولا يمكن أن ترتاح جفونه من الحزن إلا إذا قلت لي يا من تلومونني بأن هذا الحزن سينقضي عن قريب.

وفي موضع آخر يستسقي ابن الخطيب المثل القائل " قَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ"٨) فيقول:٩)

فاضربْ بجيشك ما وراءِ تُغُورِهِمْ فَمَنْ الملائكِ دُونَهُ جيشانِ
لَمْ تَلَقَ مُجْتَمِعاً لُكْفِرَ بعدها " قَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ"
بُشْرَاكَ، إِنَّ اللَّهَ أَكْمَلَ عِيدَنَا بالعفوِ مِنْكَ وَمَنْهُ بِالْغُفْرَانِ

وقيل في هذا المثل (حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ) إن أول من قاله صخر بن عمرو السُّلَمِي أَخُو الخنساء أُهُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ١٠). "فلما مرض زمانا حتى ملته امرأته وكان يكرمها فمر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات خلق وإدراك فقال لها : يباع الكفل ؟ فقالت : نعم عما قليل وكان ذلك يسمعه صخر فقال : أما والله لئن قدرت لأقدمك قبلي ثم قال لها : ناوليني السيف أنظر إليه هل تقله يدي فناولته فإذا هو لا يقله فقال"١١):

أُهُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ

فقد استدعى ابن الخطيب هذا المثل لِيُوظِفَهُ في مدح السلطان وجيشه؛ لأنه لبس الإيمان ولا يوجد بين ثنياه من هو بين العير والنزوان، أي لا يستطيع القيام، بل كلهم على استعداد في غزو الأعداء، أما البيت الثالث فيأتي بالبشرى بأنها قد اكتملت عندما جاء العفو منك والغفران من الله . والدلالة في استدعاء هذا المثل هو أن جيش السلطان لا يوجد فيه من يتخاذل أو يتردد أو لا يستطيع القيام، بل كلهم أقوياء أشداء بالإيمان وتقاتل معهم الملائكة.

١) (الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين، نثر الدر، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ م، ج ٥، ص ٩٩. وينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج ١٧، ص ١٧.

٢) (ابن منظور، لسان العرب، مادة (نزا).

٣) (ديوان ابن الخطيب ٥٧٨/٢.

٤) (ابن منظور، لسان العرب، مادة (نزا).

٥) (الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٩٦.

ونلاحظ ميل ابن الخطيب إلى تضمين المثل في عجز البيت أكثر من صدره ، وربما يعود ذلك لما فيه من إيجاز للفكرة، وبلورة وختاماً للمعنى أو إجمالاً له، فضلا عما يحمله من تناغم موسيقي دلالي مناسب لإنهاء الكلام أو البيت الشعري وختامه به . فقد استدعى ابن الخطيب المثل " اسْتَنَوَقَ الْجَمَلُ " (٧) لِيُوظِفَهُ فِي عِجْزِ الْبَيْتِ أَيْضاً، مُسْتَعِلاً دَلَالَتَهُ الْمَوْسِيقِيَّةَ، فَضِلاً عَنِ انْسِجَامِهِ مَعَ وَزْنِ وَقَافِيَةِ الْقَصِيدَةِ ، وَهُوَ يَمْدَحُ " مُحَمَّدَ بْنَ قَيْسِ الثَّغْرِيِّ " (٨) فَيَقُولُ (٩):

قَدْ كَانَ ذَلِكَ وَرَنَاتُ الصَّهِيلِ ضُحَى تَهَزُّ عَطْفِي كَأَنِّي شَارِبٌ ثَمَلٌ
وَالآنَ قَدْ صَوَّحَ الْمَرْعَى وَقَوَّضَتِ الْإِخِيمَاتُ وَالرَّكْبُ بَعْدَ اللَّبْثِ مُحْتَمَلٌ
قَالَتْ أَلَسْتَ شَهَابَ الدِّينِ تُضْرِمُهَا؟ حَاشَا الْعُلَا أَنْ يُقَالَ " اسْتَنَوَقَ الْجَمَلُ "

ويضرب هذا المثل للمخلط الذي يكون في حديث ثم ينتقل إلى غيره ويخلطه به، ولمن يظن به غناء وجلدا ثم يكون على خلاف ذلك(١٠)، فقد استدعى ابن الخطيب هذا المثل ووظفه في شعره، فبعد أن وصف الخيل وهي تجري إلى العدو ضحى ولها أصوات، وهو ينظر إليها ويتعاطف معها ، بل أنه يهتز كأنه في سُكْرِ ، ثم يأتي بالبيت الثالث ويكون السؤال هل أنت ممن يضرم الحروب ويعرف فنونها، ليكون الجواب في عجز البيت بأن حاشا العلاء أن يقال "استنوق الجملة" أي اختلط عليه الأمر أن يقحم نفسه بشيء ليس له به دراية .

والدلالة في هذا المثل أن شاعرنا قد نفى عن نفسه صفة التخليط في الأمور، بل هو حكيم ولا يزرع بنفسه في شيء لا يعرفه.

ثانياً : التضمين الإشاري للأمثال: ويكون من خلال الإشارة إليه والتلاعب بألفاظه، فهنا ابن الخطيب يخوض هذه التجربة بتضمينه للأمثال العربية في مدح " القيسي " فإنه قد استدعى المثل " لا ناقتي في هذا ولا جملي " فيقول واصفاً إياه: (١١)

لَمَّا رَأَتْ رَايَةَ " الْقَيْسِيِّ " زَاحِفَةً إِلَى رِيْعَتِي وَقَالَتْ لِي وَمَا الْعَمَلُ؟
قُلْتُ الْوَعَى لَيْسَ مِنْ رَأْيِي وَلَا عَمَلِي " لِأَنَّا قَدْ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلٌ "

(١) الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (ت ١٧٨هـ)، أمثال العرب، ط٢، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٣م ، ص ١٨٤ .

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن قيس الثغري كاتب تلمسان أمير المسلم أبي حمو موسى بن يوسف . ينظر : المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ٧ ، ص ١٢١ .

(٣) ديوان ابن الخطيب ٥١٧/ ٢ .

(٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، المستقصى في أمثال العرب، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٥) ديوان ابن الخطيب ٥١٧/٢ .

صور ابن الخطيب في صدر البيت الأول راية القيسي، وهي زاحفة إليه متمثلة بالقوة والجمع الكبير. فَيُبَاغَتْ بِسؤال: ما العمل؟ فما كان جوابه إلا أن استدعى المثل القائل "لا ناقة لي في هذا ولا جمل" ويشير الشاعر إلى المثل المشهور الذي قاله الحارث بن عباد حين قَتَلَ جَسَاسَ كُليْباً، وأعتزل الفريقين في الحرب وقال "لَا نَاقَةٌ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلٌ" (٧) فيستلهم الشاعر منه دلالة الاعتزال عن الدراية بفنون القتال، ولا علم لديه، وليس له فيها ناقة ولا جمل.

والمثل يضرب عند التبرؤ من الظلم والإساءة (٨)، فعندما أشار الشاعر في عجز البيت الثاني إلى المثل محوراً أفاظه كي يتلاءم مع وزن البيت نغماً موسيقياً ودلالياً، وأفادت المعنى العام لجو القصيدة .

ويشير ابن الخطيب في ميلاد عام (أربعة وستين وسبع مئة) مستلهما المثل (الحديث ذو شجون) (٩)، يقول (٩):

مَا عَلَى الْقَلْبِ بَعْدَكُمْ مِنْ جُنَاحٍ أَنْ يُرَى طَائِراً بغيرِ جَنَاحٍ
وَعَلَى الشَّوْقِ أَنْ يَشُبَّ إِذَا هَبَّ بَ بِأَنْفَاسِكُمْ نَسِيمُ الصَّبَاحِ
جِيرَةَ الْحَيِّ وَ"الْحَدِيثُ شُجُونٌ" وَاللَّيَالِي تَلِينُ بَعْدَ الْجِمَاحِ

يضرب هذا المثل في الحديث يُتَذَكَّرُ بِهِ غيره، وقيل: أول من قال هذا المثل ضبّة بن أد ابن طابخة بن إلياس بن مضر، وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد وللآخر سعيد، فنقرت إبل لضبة تحت الليل فَوَجَّهَ ابنيه في طلبها فتفرقا فوجدَها سعد فردّها ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث ابن كعب، وكان على الغلام بُرْدَانٍ فسأله الحارث إياهما، فأبى عليه فقتله وأخذ بُرْدِيَهُ . فمكت ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكت، ثم إنه حجّ فوافى عُكَّازَ فُلَقي بها الحارث بن كعب ورأى عليه بُرْدِيَ ابنه سعيد فعرّفهما فقال له: هل أنت مُخْبِرِي ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: بلى لقيتُ غلاماً وهما عليه فسألته إياهما فأبى علي فقتلته وأخذتُ بُرْدِيَهُ هذين، فقال ضبة: بسيفك هذا؟ قال

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٢٠. وينظر: العسكري، جمهرة الأمثال، ج ٢، ص ٣٩١. والزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٢) الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٣) البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٦٧.

(٤) ديوان ابن الخطيب ٢٥١/١.

نعم . فقال : فأعطينيه أنظر إليه فإنني أظنه صارما فأعطاه الحارث سيفه فلما أخذَه من يده هَزَّهُ وقال : الحديثُ ذو شجون ثم ضربه به حتى قتله (١).

استلهم ابن الخطيب المثل، وضمنه في صدر البيت الثالث بعدما تعرض لهزات عنيفة في حياته ، فقد لزوجته في هذه الفترة الحرجة من جهة، والأخرى ما تقادم من زمانه، وتذكره على ما مضى في وقت الشباب، والشعور بالتقصير في جنب الله (٢). فنجد بأنه يصف نفسه بأنه طائر بلا جناح، وبه شوق عظيم للذين فقدهم، فهو يشتم عطرهم كل صباح، ثم يُضمن المثل بأن (الحديث ذو شجون) لما فرط في الأيام الماضية في وقت الشباب، ولما أصابه من ألم الفراق .

ومن الأمثال التي ضمنها ابن الخطيب تضميناً إشارياً " مَنْ يَزْرَعِ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عِنْبًا " (٣) فيقول برسالة إلى أهله في مدينة "سلا" (٤):

يَا لَهُمْ مِنْ سَادَةِ جَرَّعِي بَيْنَهُمْ مِنْ مَضُضِ الْبَيْنِ جُرْعُ
زَرَعُوا فِيَّ جَمِيلًا فَجَنُوا " يَحْصُدُ الْإِنْسَانُ إِلَّا مَا زَرَعُ "
سَلَّمَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ " سَلَا " مَا صَبَاحَ لَاحٍ أَوْ بَرَقَ لَمَعُ

ويشير ابن الخطيب إلى سادته الذين فارقه في سلا فيوظف المثل "من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا" فيذكرهم بأنهم جرعه حرقه الفراق ، وفي البيت الثاني يبرهن سبب الألم؛ لأنهم زرعوا فيه كل جميل، وأن يحصد الإنسان إلا ما يزرع، أي لا يحصد العنب بزرعه الشوك، والمعنى في ذلك من أساء إلى إنسان فليتوقَّع مثله ، ولكن هم زرعوا جميلا ولن ينسى هذا الجميل، والبيت الثالث يرسل سلامه إلى "سلا" تلك المدينة التي أنجبتة سلام يبقى ما صباح لاح أو برق لَمَعُ .

وإن الشاعر أخذ الدلالة المعنوية للمثل، واستخدامه الإيقاع الموسيقي المتمثل بالرجز الذي احتوى المثل، والإيقاع الموسيقي المتحقق من أثر تكرار حرف العين وجناس الكلمات الحاصل في نهاية كل بيت .

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١٩٧ . والعسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص٣٧٧ .

(٢) ديوان ابن الخطيب ٢٠/١ .

(٣) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٣١٧ .

(٤) ديوان ابن الخطيب ٦٦٢ / ٢ .

وفي موضع آخر يشير ابن الخطيب للمثل القائل " بَلَّغَ السَّيْلُ الزُّبَى " (١) ليوظفه في حث المسلمين على الجهاد فيقول(٢):

أِخْوَانَنَا لَا تَسْؤُوا الْفَضْلَ وَالْعَطْفَا
وَأْدُبَلَّغَ الْمَاءُ الزُّبَى فَتَدَارَكُوا
فَقَدْ كَادَ نُورُ اللَّهِ بِالْكَفْرِ أَنْ يُطْفَأَ
فَقَدْ بَسَطَ الدَّيْنُ الْخَنِيْفُ لَكُمْ كَفَا

فقد استلهم ابن الخطيب المثل (بلغ السيل الزبي) ليوظفه في شعره؛ لأجل محاربة الكفار الذي تعدو الحد، ومعنى زبية هي حفرة تُحفر للأسد إذا أرادوا صيده، وأصلها الرابية لا يعلوها الماء، فإذا بلغها السيل كان جارفاً مُجْحَفاً . وهذا المثل ويضرب لمن جاوز الحد (٣).
ونجد أن ابن الخطيب قد حور ألفاظ المثل بعد أن كان (بلغ السيل) أصبح (بلغ الماء).
وخلاصة القول فقد جاء المثل النصي أقل من الإشاري علماً بأن عبارة محكمة تقال كما هي ولا يجوز تغييرها ، ولكن ابن الخطيب أعاد صياغتها لكي تتلاءم مع نصوصه الشعرية مستلهما منها دلالة المثل، ولعل إكثاره من المثل الإشاري يعود إلى ما يمنحه هذا المثل من حرية الصياغة في التعامل مع الأمثال وإعادة صياغتها بما يتوافق مع نصه الشعري.
نلاحظ أن الاقتباس النصي أقل من الاقتباس الإشاري ، ولعل إكثاره من المثل الإشاري يعود إلى ما يمنحه هذا المثل من حرية التعبير وعادة صياغتها بما يتوافق مع نصه الشعري.

(١) الخراشي، سليمان بن صالح، المنتقى من أمثال العرب وقصصهم، دار القلم ، الرياض، ٢٠٠٧م ، ص ٢٩ .

(٢) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٧٧ .

(٣) الخراشي، المنتقى من أمثال العرب وقصصهم ، ص ٢٩ .

الفصل الرابع:

المبحث الأول:

أساليب التصوير الفني

المبحث الثاني:

الموسيقى الشعرية

الفصل الرابع

الرؤية الفنية

المبحث الأول

أساليب التصوير الفني :

يُعدّ الجاحظ أول من تطرق إلى هذا الموضوع مشيراً بقوله "فإنما الشعر صناعة وضرب من النَّسج و(١)جنس من التَّصوير"(٢)، فالصورة البيانية توجز التعبير في كلمات قليلة غزيرة الدلالة عميقة الإيحاء(٣) بل هي " عنصر أساس من عناصر الشعر إلى جانب اللغة والإيقاع والعاطفة، فعملية الإبداع الشعري لا تظهر إلا من خلال الصياغة والتصوير"(٤).

ومن الصور الشعرية التي وقفنا عليها في شعر لسان الدين بن الخطيب وشملت صوراً متعددة منها .

أولاً: الصورة التشبيهية : التشبيه في اللغة هو المماثلة، "والجمع أشباه وأشبه الشيء الشيء ماثله

وفي المثل من أشبه أباه فما ظلم وأشبه الرجل أمه"(٥). وفي الاصطلاح فقد ذكر ابن رشق القيرواني بقوله "التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه كقولهم : فلان كالبحر إنما يريدون كالبحر

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، الحيوان، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٩٤٠م، ج٣، ص١٣٢-١٣٣.

(٢) ابن طباطبا، محمد أحمد العلوي (ت٣٢٢هـ)، عيار الشعر، تحقيق : عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ص٢٨. وينظر: الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣م، ص٢٥٠.

(٣) العقبلي، الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي، ص٥٨٢.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شبه)، ج١٣، ص٥٠٣.

سماحة وعلماً، ولا يقصدون ملوحته^(١) وللتشبيه أربعة أركان : (المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه ، وأداة التشبيه)^(٢).

ومن التشبيهات التي رصدناها في شعر لسان الدين بن الخطيب قوله^(٣):

وَأُنْجِبُهُ لِلدِّينِ يَحْمِي ذِمَارَهُ كَمَا أُنْجِبَتْ لِنَيْثِ العَرِينِ أَسْوَدُهُ
فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ نَاصِرٌ دِينِهِ وَلَا عِبَاءَ يَثِي عَزْمَهُ وَيُؤْوِدُهُ

شبه الشاعر الممدوح بالليث، وأداة التشبيه هي (الكاف)، ووجه الشبه بينهما صفة الشجاعة، فإن المشبه من المبصرات، والمشبه به أيضاً.

وأنشد ابن الخطيب عقب وقعة طريف قائلاً^(٤):

وَقَفَّتْ وَالرَّوْعُ قَدْ مَاجَتْ جَوَانِبُهُ بَحِيثٌ لَا وَالِدٌ يَلْوِي عَلَى وَادٍ
وَصَلَّتْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ مُنْصَلِتَا كَالصَّقْرِ فِي السَّرْبِ أَوْ كَاللَّيْثِ فِي النَّقْدِ^(٥)
فَأَصْبَحَ دِينَ اللَّهِ لَا تَخْفَى مَعَالِمُهُ وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ مَرْفُوعاً عَلَى عَمَدٍ

ونلاحظ عند بدء ابن الخطيب بيته، (بروقفت) وإن هذا دلالة على الشجاعة، ومواجهة الأعداء بكل قوة، فلا يخاف ولا يخور أمامهم أو ينتزعزع، وذلك لإيمانه بالله تعالى الذي نصره على الكفار، أينما كانوا وفي أي زمان، والشاعر شبه السلطان بالصقر والأداة الكاف، ومرة أخرى شبهه بالليث، فأراد من تشبيهه بالصقر؛ لسرعته وقوته في اصطيد فريسته بدهاء، وأما تشبيهه بالليث لقوته وإقدامه ومخافة الناس له، وقد كرر لفظة أصبح وأراد منها التأكيد على أن دين الله لا يخفى ولا يمحي .

يصف ابن الخطيب أبا الحجاج ودهمه الردى قائلاً^(٦):

أَوْ مَا تَرَى الْمَلِكِ ابْنَ "نَصْرٍ" يُوسُفًا أَسَدًا ، وَأَنْصَارُ النَّبِيِّ نِجَارُهُ
مَلِكٌ إِذَا دَهَمَ الرَّدَى تَرَكَ الْعِدَى جَزْرًا تُجَرَّرُ بِالْفَلَا أَكْسَارُهُ

(١) القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج ١، ص ٢٨٦.

(٢) القزويني، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، ط٤، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٢٠٧ .

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٦٩ .

(٤) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٧٧ .

(٥) النَّقْدُ وهو ضربٌ من الغنمِ قصار الأرجل قباح وأجودُ الصوف صوف النَّقْدِ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرر).

(٦) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٧١ .

شبه ابن الخطيب أبا الحجاج بالأسد وهذا التشبيه هو تشبيه المؤكد المفصل^(١) ووجه الشبه هو الشجاعة في قراع الخطوب، وهو ملك إذا دهم العدو ترك العدا جزراً خالية أكساره، وأداة التشبيه محذوفة؛ والألفاظ جاءت منسجمة من خلال انسجامها الصوتي الذي يكون نتيجة لتلاؤم أجراس الحروف في اللفظة الواحدة وتلاؤم اللفظة مع أخواتها في السياق .
وفي موضع آخر يقول ابن الخطيب^(٢):

لَعْمَرُكَ مَا أَعَارَ عَلَى عَدُوٍّ كَجَيْشِ النَّصْرِ بُورِكَ مِنْ مُغِيرٍ
وَلَا شَرَحَتْ مُدَوَّنَةَ الْمَعَالِي سِوَى فُتَيَّا "أَبِي الْحَسَنِ الصَّغِيرِ"^(٣)

فالشاعر يمدح أبا الحسن الصغير ويعدد صفاته والتي من أهمها الإيمان بالله تعالى والشجاعة والصبر والإقدام، فقد شبه ابن الخطيب جيش القائد بجيش النصر الذي دائماً يأتي بالانتصارات، وأداة التشبيه (الكاف) وجانس بين لفظتين (مغير، الصغير) وأراد الشاعر إضفاء نغمة معينة من خلال الجناس، فالجناس يضيف إيقاعاً معيناً يرفد الدلالة والإيقاع .
وخطب قائد البحر أبا العباس^(٤) قائلاً^(٥):

يَا فَارِسَ الْأَجْوَادِ بَيْنَ سَفِينَةٍ عَزَوِيَّةٍ تُشْجِي الْعَدُوَّ وَمُنْبِرَا

شبه ابن الخطيب أبا العباس فارس الأجواد تأكيداً على الشجاعة التي يتمتع بها مستخدماً (ياء النداء) لتقريب المنادى فضلاً عن الألفاظ ذات موسيقية إيقاعية وقعقة وجرس عالٍ، وجاءت لفظة العدو للتأكيد على انهزامهم وعدم مقدرتهم مجازاة القائد الأندلسي في المعارك.
وقال يمدح أبا مالك^(٦) عند انفصاله من الأندلس ويصفه بالشجاع^(٧):

أَبَا مَالِكٍ أَنْتَ نَجَلُ الْمُلُوكِ غِيُوثُ النَّدَى وَلِيُوثُ النَّزَالِ

(١) التشبيه المؤكد: هو التشبيه الذي لم تذكر فيه أداة من أدوات التشبيه . أما التشبيه المفصل : فهو التشبيه الذي ذُكرَ فيه وجه الشبه . حبنكة، البلاغة العربية أسسها وعلوّمها وفنونها، ج٢، ص١٧٣.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١/ ٤٠٤ .

(٣) أبو الحسن الصغير بن علي بن محمد بن عبد الحق، وكان قائداً شجاعاً، المعروف بالصغير، قاض معمر في المغرب، توفي عام (٧١٩هـ) . ينظر: الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٣، ص ١٧٨ .
الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٣٣٤ .

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) ديوان ابن الخطيب ١/ ٤١٣ .

(٦) عبد الواحد بن زكريا ابن أحمد اللحياني وكان أبوه سلطان أفريقية، ولد في تونس، وتوفي ببلاد الجريد في سنة (٧٥٠هـ)، وصفه ابن الخطيب بالفاضل، وكانت بينه وبين ابن الخطيب صفة . ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٤٠٩ .

(٧) ديوان ابن الخطيب ١/ ٤٨٩ .

شبه الشاعر أبا مالك بالملوك الذين هم كرام شجعان، غيوث الندى وليوث النزال، وهو مشبه به، ووجه الشبه هو الشجاعة، والشاعر عمد أيضاً إلى استعمال الجنس الناقص في قوله (غيوث، ليوث)، فالأول الذي يُنجد من يطلب المساعدة، والثاني هو الأسد. وفي موضع آخر يشبهه بمدوحه بأنه بدر مُضيء في سماء العُلَى، وهو بحر متموج زاخر بالعطاء، يقول(١):

لَكَ اللهُ مِنْ بَدْرِ عَلَى أَفْقِ الْعُلَى يَلُوحُ ، وَبَحْرٌ بِالنَّوَالِ يَمُوجُ

وهو يجمع بين مائية الصورة ونائرتها من خلال مدوحه أبي الحسن بن الجيّاب، فهو بحر الندى يغترف من بحره كلّ طالب للمعروف، وفي الوقت نفسه هو نار نيرة يستهدي بها كل من أراد الهدى، ويقول فيه مرة أخرى(٢):

فَإِنْ شِئْتَ فِي بَحْرِ النَّدَى مِنْهُ فَاعْتَرِفْ وَإِنْ شِئْتَ فِي نَارِ الْهُدَى مِنْهُ فَاقْبَسِ

وفي موضع آخر يستلهم ابن الخطيب وهو يرثي شيخه ابن الجياب: (٣)

مَا لِلْيَرَاعِ خَوَاضِعُ الْأَعْنَاقِ طَرَقَ النَّعْيُ فَهَنَّ فِي إِطْرَاقِ
وَكَأَنَّهَا صَبَغَ الشُّحُوبُ وَجُوهَهَا وَالسُّقْمُ مِنْ جَزَعٍ وَمِنْ إِشْفَاقِ

فالشاعر يبين حالته الحزينة من خلال تساؤله، ما للأقلام حزينة، ورؤوسها خاضعة حزناً، فعندما نشر خبر وفاة ابن الجيّاب أطرقت الأقلام رؤوسها حزناً وألماً على فقده.

ثانياً: التورية: وأصل التورية في اللغة: إرادة الشيء وإظهار غيره إبهاماً(٤)، وهذا التعريف لا يختلف عن معناه الحقيقي الذي هو "أن يذكّر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل الحقيقة والمجاز، أحدهما ظاهر قريب يتبادر إلى الذهن وهو غير مراد، والآخر بعيد فيه نوع خفاء وهو المعنى المراد؛ لكن يُورَى عنه بالمعنى القريب، لِيَسْبِقَ الذهن إليه وَيَتَوَهَّمَهُ قَبْلَ التأمُلِ، وبعد التأمل يتنبّه المتلقّي فيُدْرِكُ المعنى الآخر المراد"(٥) كقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي

(١) ديوان ابن الخطيب ٢٠٦/١.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٧٣٦/٢.

(٣) ديوان ابن الخطيب ٧٠٨ /٢.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة(ورى).

(٥) حبنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج٢، ص٣٧٣.

يَتَوَقَّعُكُمْ بِأَيْلٍ وَيَعْلَمُ مَا جَرَّحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴿٧﴾ أراد بقوله جرحتم معناه البعيد، هو ارتكاب الذنوب.

وللتورية جمال بتمكين المتكلم في إخفاء المعاني التي يخشى التصريح بها مع التزام الصدق، وإدراك المعنى البعيد بعد طول تأمل، وإطالة النظر له وقع في النفوس وأثره الحسن مما يحقق إمتاع السامع، والتأثر فيه حينما يكشف بالتأمل بأن ما فهمه هو مجرد معنى قريب، وأن وراءه معنى بعيد به جمال، فضلا عن الإعانة على المزاح والدعابة (٧).

وكان جل شعراء الأندلس يجمعون بين الشعر والعلوم الأخرى، حيث نجدهم يضمنون أشعارهم إشارات وحقائق علمية في شتى فروع العلم والمعرفة، والمجتمع الأندلسي كان على درجة عالية من الثقافة والعلم، لذا لم يكن غريباً أن نجد الكثير من علماء الأندلس في شتى فروع العلم والمعرفة لهم دراية، ولا شك أن هؤلاء العلماء كان لهم الدور الأكبر في نشر العلوم بين أهل الأندلس، وبالتالي تكونت الروح الثقافية والعلمية الأندلسية التي سادت أهل الأندلس جميعاً (٨).
ومن أكثر العلوم التي لجأ شعراء الأندلس إلى التورية بها علم النحو، ومنهم لسان الدين بن الخطيب حيث يقول (٩):

لَقَدْ كُنْتُ مُوَصَّوْلًا فَأَبْدَلُ وَصْلَكُمْ بِهَجْرٍ وَمَا مِثْلِي عَلَى الْهَجْرِ يَصْبِرُ
فَمَا بِالْكُمِّ غَيْرْتُمْ حَالَ عِبْدِكُمْ وَعَهْدِي بِالْمَوْصُولِ لَا يَتَغَيَّرُ

فالشاعر استلهم بعض قواعد النحو مورياً بها مثل الاسم الموصول، والبدل والحال، فالمعنى الذي يتبادر إلى الذهن الاسم الموصول، ولكن المعنى البعيد المراد هو الحبيب.
ولم تقتصر التورية على علوم العربية، فهناك أسماء المؤلفات - أيضاً - قد برع بها ابن الخطيب، ومن ذلك قوله (٩):

وَلَمَّا رَأَتْ عَزْمِي حَثِيئًا عَلَى السُّرَى وَقَدِ رَابَهَا صَبْرِي عَلَى مَوْقِفِ الْبَيْنِ
أَتَتْ بِصَاحِجِ الْجَوْهَرِيِّ دُمُوعَهَا فَعَارَضَتْ مِنْ دَمْعِي بِمُخْتَصِرِ الْعَيْنِ

فالبيتان هما في معرض الغزل حيث البكاء والحزن على فراق المحبوبة، وبكائها أيضاً، والتورية هنا جاءت في صحاح الجوهري، فالمعنى القريب تتلألاً كالجواهر، والمعنى البعيد

(١) سورة الأنعام/ ٦٠.

(٢) الفيافي، عابر، التورية في الشعر الأندلسي، منتديات نور الاستقامة، noor-alestiqamah.com ، تاريخ الدخول ، ٢٩ / ١٠ / ٢٠١٥ .

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص ٣٠٣.

(٥) ديوان ابن الخطيب ١ / ٥٨٥.

المقصود هو مختار الصحاح للجوهري، وفي ذات البيت تورية أخرى في كلمة (مختصر العين)، والمعنى القريب (دموعه)، ويقصد كتاب مختصر العين لمحمد الزبيدي الإشبيلي (ت ٣٧٩هـ). وقوله أيضاً^(١):

كَنَّبْتُ بِدَمْعِ عَيْنِي صَفْحَ خُدِّي وَقَدَّمَنَعَ الْكَرَى هَجْرُ الْخَلِيلِ
وَرَبَّ الْحَاضِرِينَ، فَقُلْتُ: هَذَا كِتَابُ "الْعَيْنِ" يُنْسَبُ لِلْخَلِيلِ

فلاحظ أن ابن الخطيب يوري هنا بمعجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو أول معجم عربي، ونلاحظ في ظاهرهما الغزل، فالمعنى القريب الذي يتبادر لذهن المتلقي لكلمة (الخليل) هو الحبيب و(العين) هي عين الشاعر التي يفيض منها الدمع بسبب فراق المحبوب لها. وأما المعنى البعيد المقصود فهو معجم العين للخليل بن أحمد. وقوله أيضاً^(٢):

لَكَ اللَّهُ مِنْ خَلِّ حَبَانِي بَرْقَعَةٍ حَبَبْتِي مِنْ آيَاتِهِ بِالنَّوَادِرِ
رِسَالَةً رَمَزَ فِي الْجَمَالِ نَهَائِي ذَخِيرَةً نَظَّمَ أَتَحَفَّتْ بِالْجَوَاهِرِ

بدأ ابن الخطيب متعجباً من خلال أسلوب التعجب (لك الله)، والتعجب هنا ليس تحسراً؛ وإنما إعجاب وتقدير من الشاعر لهذا الصديق الوفي، فقد وصفه بالخل الذي أعطاه كتاباً تميز بكثرة الأخبار والنوادر والعقلانية، وهو كتاب له أهمية عظيمة؛ لأنه احتوى وانتظم بين صفحاته الجواهر واللالئ، والتورية في هذين البيتين في كلمة (ذخيرة)، والمعنى القريب الشيء الزاخر الممتلئ، والمعنى البعيد كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ).

وفي علم الحديث قال ابن الخطيب مورياً^(٣):

مَضْجَعِي فِيكَ عَنْ قَتَادَةَ يَرُوي وَرَوَى عَنْ أَبِي الزَّنَادِ فُوَادِي
وَكَذَا النَّوْمِ شَاعِرٌ فِيكَ أَمْسَى مِنْ دُمُوعِي يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادٍ

فالتورية في كلمة (قتادة)، والمعنى القريب الذي يتبادر إلى ذهن المتلقي هو الشوك، والقرينة (مَضْجَعُهُ) الذي أَقْضَاهُ ولم يستطع النوم، أما المعنى البعيد هو (أبو قتادة)^(٤) عالم الحديث المشهور، ونلاحظ في الشطر الثاني كلمة (الزناد) حيث المعنى القريب النار واللهيب،

(١) ديوان ابن الخطيب ٢/ ٤٨٦ .

(٢) وابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص ٣٠٤. المقري، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص ٥٣٦.

(٣) المقري، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص ٤٦٣ .

والقرينة كلمة (فواده) فيتبادر للذهن أن فواده قد احترق من لهيب ونيران الأشواق، ولكن المعنى البعيد المقصود فهو عالم الحديث (أبو الزناد)^(١).
ومن التورية بعلم الحساب قول ابن الخطيب^(٢):

يَا نَاصِبًا عَلمَ الحِسابِ حَبَالَهُ لِقَنَاصِ ظَنِّي سَاحِرِ الأَبَابِ
إِنْ كُنْتَ تَرزُقُ بِالحِسابِ وَصَالَهُ فَاللهِ يَرزُقُنَا بِغَيرِ حِسابِ

فهو ينادي علم صياد ذكي ينصب حباله للصيد بدقة ونظام، وعلى قوانين الحساب والأعداد ليقنص ظبيا ساحر الأبواب، وهو كناية عن المحبوبة بروعة جمالها الذي يأخذ بالألباب، والصيد هنا هو العاشق الذي يريد الإيقاع بالمحبوبة في شرك الهوى، ثم يتوجه إليه الشاعر قائلاً إن كنت تستطيع وصال المحبوبة والتواصل معها بحساباتك، فالله يرزقنا بغير حساب، وكلمة (حساب) هنا فيها تورية حيث المعنى القريب علم الحساب وقوانينه ونواتجه، والمعنى البعيد المراد أفضل الله ونعمه الوفيرة التي لا يحصيها عدُّ ولا حساب .

ثالثاً: الجناس: الجناسُ في اللُّغة: المشاكلة، والاتحاد في الجنس^(٣).

أما الجناسُ في الاصطلاح فهو " أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى"^(٤). وهو نوعان:

١- جناس تام (المماثل) : وهو ما اتفق فيه اللفظان المتشابهان، وأن يكونا من نوع واحد كاسمين أو فعلين أو في أمور أربعة هي : نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها^(٥).

(١) أبو قتادة (١٨ ق هـ - ٥٤ هـ) الحارث أو النعمان أو عمرو ابن ربيعي الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو قتادة: صحابي من الأبطال الولاة اشتهر بكنيته. العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق : علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢، ج١، ص٥٨٢. الزركلي ، الأعلام، ج٢، ص١٥٤.

(٢) عبد الله بن عبيد الله أبو الزناد (٦٥ - ١٣١ هـ) عبد الله بن نكوان القرشي المدني، محدث وكان فقيه أهل المدينة. الزركلي ، الأعلام، ج٤، ص٨٦.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٣٠٣ .

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (حرك)، ج٢، ص٣٥.

(٥) ابن الأثير، أبي الفتح ضياء الدين نصرالله (ت٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥، ج٢، ص٣٢١. حبنكة، البلاغة العربية أسسها

وغلومها وفنونها، ج٢، ص٤٨٥ .

(٦) الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج١، ص٤٦٠.

مثال: قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (١)

فكلمتا (الساعة - ساعة) قد اتفقتا في الأمور الأربعة التي ذكرناها ، فالساعة الأولى يُقصد بها يوم القيامة، أما الساعة الثانية فالمقصود بها المدة الزمنية. ونحو صليت المغرب في بلاد المغرب.

نجد أن كلمتي (المغرب) ، متفقتان في الأمور الأربعة وقد اختلفتا في المعنى، فالمغرب الأولى يقصد بها (صلاة المغرب) . أما الثانية ، فالمقصود بها (بلاد المغرب).

٢- الجنس غير التامّ أو (ناقص) : هو الذي اختلفت فيه أحد الأمور الأربعة ، (نوع الحروف ، وشكلها، وعددها ، وترتيبها) مثال قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ (٢). فكلمتا (تقهر ، تنهر) تجد أنهما قد اختلفا في نوع الحرف (ق ، ن) .

يقول ابن الخطيب (٣):

بِتْنَا نُكَابِدُ هَمَّ الْقَحْطِ لِنَيْتِنَا وَأَنْجَدَ السُّهْدُ وَالْكَرْبُ الْبِرَاغِيئَا
وَكَانَ يُحْمَلُ مَا كُنَّا نَكَابِدُهُ مِنْ الْمَشَقَّةِ لَوْ أَنَّ الْبَرَى غِيئَا

الجناس هنا في البيتين تام؛ وذلك لأن لفظتي (البراغيث) اتفقتا في اللفظ إلا أنهما اختلفتا في المعنى فـ (براغيث) الأولى جاءت بمعنى الحشرة التي تقرص، أما الثانية فوردت من مقطعين بمعنى (البرى يعني التراب) (٤)، وغيثا يعني الغيث) ، وعندما نتناول السياق العام للبيت سيزول الإيهام لأن ابن الخطيب أراد من خلال وصفه للرحلة وهو في طريقه إلى (سلا) بأنها رحلة شاقة لكثرة البراغيث التي تقرص، وهو يتمنى لو أن السماء أمطرت وأصابت الأرض لذهبت البراغيث وتخلص من قرصها.

وابن الخطيب غالبا ما يأتي بالجناس مرتين في بيتين، مما يدل على اهتمامه بهذا الفن وإغناء التجربة الشعرية بهذا الفن البلاغي، يقول (٥):

(١) سورة الروم / ٥٥ .

(٢) سورة الضحى / ٩ - ١٠ .

(٣) ديوان ابن الخطيب ١/ ١٩١ .

(٤) (البرى : التراب، ابن منظور، لسان العرب، مادة (برى).

(٥) ديوان ابن الخطيب ١/ ١٤٧ .

مَالِي أَعْدَبُ نَفْسِي فِي مَطَامِعِهَا وَالنَّفْسُ تُزْرِي بِتَهْذِيبِي وَتَهْذِي بِي
وَإِذَا اسْتَعْنَتْ عَلَيَّ دَهْرٌ بِتَجْرِبَةٍ تَأْبَى الْمَقَادِيرُ تَجْرِبِي وَتَجْرِي بِي

لقد حصل الجناس الأول بين لفظتي (تهذيبي)، أما الجناس الثاني فقد حصل بين لفظتي (تجريبي)، واللفظتان تجانستا باللفظ إلا أنهما اختلفتا في المعنى؛ لأن (تهذيبي) الأولى تكونت من مقطع واحد فجاءت بمعنى الإسراع في الكلام، أما الثانية فتكونت من مقطعين وهما (تهذي) أي بمعنى خبل في العقل، و(بي) يقصد نفسه، أما (تجريبي) الأولى والخاصة بالجناس الثاني جاءت بمعنى الاختبار أو الفحص ، وأما الثانية فجاءت بمعنى متحركة أي غير مستقرة .
ونلاحظ هنا براعة الشاعر في هذا الجناس إذ أوجد تناغماً في وزن البيت، وساعدت الألفاظ التي أوردها على خلق جو الحوار بين المتلقي وذاته في إيراد المعنى الصحيح من خلال البيتين، مما أدى إلى تقوية هذا التناغم ، وإحداث نوعٍ من التتابع والتسلسل المقبول في ذهن القارئ .
احتل الجناس الناقص مكانة بارزة في شعر ابن الخطيب إذ يورد المفردة ، وما يقابلها، ومن ذلك قوله^(١) :

بِفْتِيَةِ صِدْقِي إِنْ دَجَائِلُ حَادِثٍ فَهُمْ سُرُجٌ آفَافُهُنَّ سُرُوجٌ

إن الجناس الناقص كان بين الألفاظ (سرج) و(سروج)، وقد وقع بسبب الاختلاف في نوع الحروف، وأراد ابن الخطيب باللفظة الأولى (سرج التي جمعها سراج: المصباح)، وأما الثانية فأرادبها(سروج التي هي جمع سرج: يقصد بها مقتعد الفارس) .فقد أضاف هذا الجناس إيقاعاً موسيقياً يتوافق مع الوزن والمعنى العام للقصيدة، إذ وصف الفتية الذين هم أهل السلطان عند تفقدهم أحوال الثغور في الليل بأنهم مصابيح فوق سروج الخيل.
وفي موضع آخر قال ابن الخطيب^(٢):

هَمَمْتُ لِأَنْ أَقْبَلَهَا بِشَيْبِي فَأَبَدْتُ عِنْدَ دَا سِمَةَ الْقُنُوطِ
وَقَالَتْ لِي: رَأَيْتُكَ فِي حَيَاتِي جَعَلْتَ بِمَبْسَمِي قُطْنَ الْحَنُوطِ

يبو الجناس الناقص من خلال لفظتي (القنوط) و(الحنوط) وقد وقع بسبب اختلاف في نوع الحرف، فقد أراد ابن الخطيب باللفظة الأولى القنوط معنى اليأس، أما اللفظة الثانية الحنوط، هو كل ما يطيب به الميت .

وفي موضع آخر يقول^(٣):

(١) ديوان ابن الخطيب ٣٣٤/١ .

(٢) ديوان ابن الخطيب ٤٦٤/٢ .

(٣) ديوان ابن الخطيب ١٨٥/١ .

وَكُنَّا عِظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا وَكُنَّا نَقُوتُ فَهِيَ نَحْنُ قُوتُ

وفي هذا البيت ذكر ابن الخطيب نوعين من الجناس: الأول الجناس التام الذي جاء في صدر البيت ، في لفظة (عظام) حيث يقصد بالأولى (عظام يعني فقهاء وأعلام)، أما الثانية فيقصد بها (عظام بالية خرة) . أما الجناس الثاني فهو الناقص الذي جاء في عجز البيت بلفظتي (نقوت - قوت) فمعنى (نقوت) نقي العظم الذي في داخله^(١)، أما (قوت) فمعناه الطعام . وإن ما أراد قوله كنا رجال أشداء أقوياء أعلام، واليوم أصبحنا عظاماً بالية دلالة على العجز، أما عجز البيت فإنه يشير كنا نقوت دلالة على القوة والعظمة، واليوم أصبحنا طعاماً لغيرنا.

رابعاً: التّضاد : وتسمى الطباق والتضاد أيضاً، وهي "الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة"^(٢)، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد، اسمين كقوله تعالى ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُفُودٌ ﴾^(٣)، أو فعلين كقوله تعالى ﴿ تُوْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُدَلُّ مَن تَشَاءُ ﴾^(٤).

التضاد "قسم من أقسام التناسب بين المعاني، فهو ينفق مع جمهور البلاغيين فيما اصطلحوا عليه من استعمال الطباق في الجمع بين الشيء وضده؛ لأن الصلة قائمة بين هذا الاستعمال والمعنى اللغوي للطباق . فما إن يذكر الشيء حتى يكون ضده وارداً في الفكر لاستدعائه؛ ولهذا وجدنا النقاد والبلاغيين يجعلون التضاد قسماً من أقسام التناسب بين المعاني"^(٥) .

وشرط الضدين أن يكونا من نفس الجنس مثلاً (البياض، والسواد) لقد تشابها بصفة اللونية، وإن كان النوعان المتعادلان لا يختلفان إلا في صفة واحدة موجودة في أحدهما معدومة في الآخر كان التضاد بينهما تاماً كاللونين المتكاملين؛ فإنه كلما كان أحدهما إلى أخيه أقرب كان التضاد بينهما أعظم^(٦) .

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقا).

(٢) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣١٧.

(٣) سورة الكهف / ١٨ .

(٤) سورة آل عمران / ٢٦ .

(٥) رزق، عبد المنعم السيد الشحات، المسائل البلاغية بين ميثم البحراني وابن سنان الخفاجي، (رسالة ماجستير)، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، المنصورة، ٢٠٠٠م، ف٣، ص ٦.

(٦) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٢٨٥.

لقد شاع التضاد في الشعر الأندلسي من أجل الدلالة الشعرية التعبيرية التي يريدها الشاعر من ناحية، ولإظهار جمالية الصورة الفنية في التعبير عن المكنون الداخلي للنفس الإنسانية من ناحية أخرى (١).

فقد ضمن ابن الخطيب هذا النوع من البديع (التضاد) في شعره ليكسوه حلة وسبكاً يقول (٢):

بَدْرُ الْهُدَى يَا بِي الضَّلَالِ ضِيَاؤُهُ أَبَدًا فَيَجْلُو الظُّلْمَةَ الْحِنْدِيَسَا

فالممدوح هنا تكسوه المهابة الدينية، وشبهه ببدر الهدى، ولا يمكن أن يقبل ضياؤه الضلال والكفر، فيصف الشاعر في هذا البيت أينما حل وانهل ضياء الممدوح تنكشف الظلمات عن الناس. فالتضاد هنا بين (الضياء والظلام).

وفي موضع آخر يستدعي ابن الخطيب التضاد في شعره، يقول (٣):

لِلَّهِ "يُوسُفُ" مِنْ إِمَامٍ هِدَايَةٍ جَلَّى بِنُورٍ يَقِينِهِ الْأَخْلَاكََا

يصف ابن الخطيب ممدوحه بنور الخلافة؛ لأنه يقود الناس إلى الهداية والخير والصلاح، وهذا تعبير لطيف أي أنه يحكم بالعدل، وبهذا النور يجلي عن الناس الظلمة. فالتضاد هنا بين (النور والظلام).

ويقول ابن الخطيب في موضع آخر (٤):

أَنْتَ مِصْبَاحُهَا ، وَنُورُ دُجَاهَا دَافَعَ اللَّهُ عَنْكَ مِنْ مِصْبَاحِ

استدعى الشاعر في هذا البيت التضاد بأسلوب خفي بين الليل الذي كان مخيماً على الخلافة من خلال الإشارة إليه بالضمير (الهاء) في (مصباحها)، ثم أقام التضاد بأسلوب ظاهر بين النور والدجى؛ لأجل أن يمنح الممدوح صلاح رأي وتدبير حكم (٥).

فقد جدد التضاد مرة أخرى، وهو يرى في ممدوحه غاية البطولة وإغاثة الملهوف وحماية

الأهل والجار، وفي الوقت نفسه هم كرام ولا تخمد نارهم فيقول (٦):

حَامِينَ يَوْمَهُمُ الدَّمَارَ ، وَنَارَهُمْ بِاللَّيْلِ، تَهْدِي فِي الظَّلَامِ السَّارِي

(١) الكوسا، عبير فايز حمادة، اللون في الشعر الأندلسي، (رسالة ماجستير) كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

جامعة البعث، سورية، ٢٠٠٧م، ص ٣١٤.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٧٢٤.

(٣) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٤٧٠.

(٤) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٥٦.

(٥) الكوسا، اللون في الشعر الأندلسي، ص ٣٢٥.

(٦) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٧٠.

يراهم في النهار فرساناً أقوياء أشداء، يحمون الأهل والأموال، أما إذا جاء الليل فيوقدون النار للطراق حتى يهتدي الساري من الناس إليهم، ويصف هذه النار بأنها تصبح شواظاً في وقت المعركة تحرق الخصم .

ويستدعي ابن الخطيب التضاد في وصف جيش ممدوحه بأنه يقابل بين البوارق والشهب فيعطي صفة البورق للسيوف، وصفة الشهب للرماح، ويضمّر السواد الكامن في جنبات جيش العدو من أجل أن يظهر النصر المؤزر فيقول^(١):

وَجَيْشًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ لِلْخَيْلِ تَحْتَهُ إِذَا صَهَلَتْ مُفْتَنَّةً بَرَجِعِ الْحَانِ
فَيَوْمِضُ مِنْ بَيْضِ الظُّبَا بِبَوَارِقِ وَيَقْدِفُ مِنْ سُمْرِ الرَّمَاكِ بِشُهْبَانِ

ففي هذا الموضع تكمن جمالية التضاد في خمسة مواضع في هذين البيتين فالسواد، وهو تعبير عن كثرة الجيش وتماسكه، وبيض الظبا هي السيوف، والبوارق لونها أحمر، والرماح سمراء، والشهبان لونها أبيض، مستدركاً عنصر آخر هو الصوت، ليكمل الحلقة الفنية المعبرة عن وجدان وإحساس الشاعر في إعطاء جمالية تامة للصورة، فنجدته قد ضمنها بأنها سعود نصر، وأسند الفرحة للخيول التي تتفنن بالألحان، والصهيل الذي يبشر بالفرح^(٢).

في موضع آخر يقول ابن الخطيب^(٣):

دِيَارُ الْإِلَى كَانُوا ، إِذَا أَفَقَّ دَجَا ، كَوَاكِبَ يَجْلُو نُورُهَا لَيْلَ أَشْجَانِي

إنهم بما يحملون من كرم أخلاقٍ وكرم يدٍ وحسن جميل يضيئون الليالي المظلمة، فلا يوجد أفق ليل إلا وكانت وجوههم أنواراً تسطع بالظلماء، فتبدها ليسطع نور الخير والبركة على العالمين، وإن ارتحالهم جعل كل شيء مظلم، وهذا يدل على عظم المصاب الذي يشعر به الشاعر بعد فراق الأحبة.

ويجدد ابن الخطيب التضاد فيصف حصانه بأنه أشهب إذا لاح في غسق الدجى، فكأنما

هو ضياء أبيض في غرة أدهم، فينشد^(٤):

أَوْ أَشْهَبِ إِنْ لَاحَ فِي غَسَقِ الدَّجَى فَيَكْنَمَا هُوَ غُرَّةً فِي أَدْهَمِ

نلاحظ في هذا البيت البياض من التضاد والتناظر، فالأشهب في صدر البيت تقابله في عجزه الغرة، وكذلك غسق الدجى في صدر البيت يناظره في عجزه الأدهم، وهذا يساعد على

(١) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٩١ .

(٢) الكوسا، اللون في الشعر الأندلسي، ص ٣٢٨ .

(٣) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٢٣ .

(٤) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٥٣٨ .

ظهور جمالية المعنى في النص ، وهذه الصفات فيها تضاد بنفس الوقت (أشهب يتضاد مع غسق الدجى) و (الغر يتضاد مع الأدهم).

وفي موضع آخر يقول ابن الخطيب في ذكر ممدوحه(١):

لَأَنْتَ صَبَاحُ ظِلَامِ الْخُطُوبِ وَكَفَّكَ مِفْتَاحُ بَابِ السَّعُودِ

ففي هذا الموضع يذكر التضاد مباشرة، ولكن هذا التضاد يهدف إلى معنى بعيد، لأنه يصف الممدوح بأنه صباح يشرق للناس، فهو يحو ظلام الخطوب الحالك السواد على الناس، ويصف كفه بأنها مفتاح باب السَّعُود الذي يسعد كل من يصله هذا الكرم فهو كرم لا حدود له . فالصباح دلالة على عفو الممدوح وسعة صدره.

وفي موضع آخر جاء وصف ابن الخطيب للضياء بأنه متعدد؛ لأنه وصف جماعة الفرسان، وهم يخوضون غمار الحرب، التي يعبس وجهها بوجوه الفرسان، لشدة ما فيها من هول الموت، يقول(٢):

تُضِيءُ أَوْجُهَهَا وَالْحَرْبُ كَالْحَيَّةِ قَدْ شَابَ مَفْرِقَهَا بِالنَّقْعِ وَآكَتْهَا

يصف ابن الخطيب الفرسان بأن وجوههم تضيء بالفرح وتستبشر بالنصر المؤكد، والحرب كالحية، أما فرسان الأعداء فهم في خوف ووجل، ثم يصور المعركة وعلاها الغبار كأنه الشيب الذي يغطي رؤوس الكواهل، " فقيمة التضاد تكمن في التشبيه المعنوي الذي يثبت بطولة الفرسان وشدة بأسهم في المعركة، وإيمانهم بالنصر الأكيد"(٣).

المبحث الثاني:

الموسيقى الشعرية .

أولاً: الموسيقى الخارجية (الإيقاع الخارجي)

١- الأوزان : أهتم الشاعر العربي بالوزن ومجانسته مع الإيقاع الداخلي للقصيدة كونه وحدة موسيقية فعالة في إبراز اللفظة وتجانسها الصوتي، ولكون الوزن " الروح التي تكهرب المادة الأدبية وتصيرها شعراً، فلا شعر من دونه مهما حشد الشاعر من صور وعواطف، لا بل إن الصور والعواطف لا تصبح شعرية بالمعنى الحق إلا إذا لمستها أصابع الموسيقى ونبض في عروقه الوزن"(٤).

(١) ديوان ابن الخطيب ١/ ٢٦٣.

(٢) ديوان ابن الخطيب ٢/ ٧٦٦.

(٣) الكوسا، اللون في الشعر الأندلسي ، ص٣٢٥.

(٤) الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، ط٣، دار النهضة، مصر، ١٩٦٧م ، ص ١٩٣ .

نظم ابن الخطيب في البحور الشعرية، وكان ينظم على الطويل والكامل ويعود وينظم على البسيط، وعند دراستنا الأوزان التي نظم بها ابن الخطيب نجد أن البحر الطويل احتل المرتبة الأولى وبعد الإحصائية تبين أنه ذكر في ديوانه (٢١٦) مرة، وعلى هذا الكلام يتبين أن ابن الخطيب قد اقتفى أثر من كان قبله في الأوزان العروضية القديمة في نظم قصائده؛ لأن الشاعر العربي القديم كان يضع البحر الطويل في مقدمة البحور التي ينظم عليها، ثم تأتي البحور الباقية^(١)، ولعل السبب لما يمتاز به هذا البحر "في الأغراض الجدية الجليلة الشأن، وهو لكثرة مقاطعه يتناسب وجلال مواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة، تلك التي عني بها الجاهليون عناية كبيرة"^(٢)، وفي الوقت نفسه يحتاج من المتلقي النظر والتأمل والتفكير في معناه، وقد رصدنا ذلك بقول ابن الخطيب، عن رسالة كتبها عن السلطان (الغني بالله) إلى الضريح النبوي الكريم^(٣):

دَعَاكَ بِأَقْصَى الْمَغْرِبَيْنِ غَرِيبُ وَأَنْتَ، عَلَيَّ بَعْدَ الْمَزَارِ قَرِيبُ
مُدَلٌّ بِأَسْبَابِ الرَّجَاءِ وَطَرْفُهُ غَضِيضٌ عَلَيَّ حُكْمِ الْحَيَاءِ مُرِيبُ
يُكَلِّفُ قُرْصَ الْبَدْرِ حَمْلَ تَحِيَّةٍ إِذَا مَا هَوَى، وَالشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ
لَتَرْجِعَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ غُدُوَّةً وَقَدْ ذَاعَ مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ طِيبُ

أما البحر الكامل فيأتي بالمرتبة الثانية، وجاء ذكره (١٦٤) مرة في ديوانه، وقد تجلى ذلك عند ابن الخطيب وهو يُهنئ قائد الأسطول (أبا القاسم^(٤) بن بَنَج) يقول^(٥):

ارْفَعْ قِيسِي الْمُنْشَاتِ بِسَعْدِهِ وَاسْتَنْجِرِ النَّصْرَ الْعَزِيزَ لَوْعَدِهِ
وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ تَلُحُّ إِلَيْكَ بِوَجْهِهِ سِمَةٌ الشَّجَاعَةِ مِنْ أَبِيهِ وَجَدِهِ
لِلَّهِ مِنْ سَيْفٍ لِنَصْرِكَ صَارِمٍ يَنْسَابُ مَاءُ الْحُسْنِ فَوْقَ فِرْنَدِهِ
صَدَرْتُ إِلَيْكَ بِشَارَتِي وَتَفَاؤُلِي بِالْأَمْرِ قَبْلَ بُرُوزِهِ مِنْ غَمْدِهِ
يَسْتَبْشِرُ الْأَسْطُولُ مِنْهُ بِقَائِدٍ كَالْبَدْرِ تَحْتَ شِرَاعِهِ أَوْ بِنْدِهِ

أما البحر البسيط فقد احتل المرتبة الثالثة في شعره حيث ذكر (٧٥) مرة، لما يمتاز به "باتساع أفقه وامتداد رقعته وجمال إيقاعه"^(٦).

(١) ينظر: ديوب، بنية القصيدة الشعرية عند لسان بن الخطيب، ص ٢٠٨.

(٢) أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ط٢، منشورات مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ١٨٩.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١/ ١٥٧.

(٤) أبو القاسم بن أبي بكر بن بَنَج قائد أسطول جبل الفتح أيام أبي عنان، ويظهر أنه أصبح بعد هذا قائدا أعلى. ينظر: ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج٢، ص ١٣٢.

(٥) ديوان ابن الخطيب ١/ ٣٥٩.

(٦) الحنفي، جلال، العروض - تهنئيه وإعادة تدوينه، ط٣، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١م، ص ٢٠٥.

يقول ابن الخطيب^(١):

زَارَتْ وَنَجْمُ الدُّجَى يَشْكُو مِنَ الأَرْقِ وَالزَّهْرُ سَابِحَةٌ فِي لُجَّةِ الأُفُقِ
وَاللَّيْلُ مِنْ رَوْعَةِ الإِصْبَاحِ فِي دَهْشٍ قَدْ شَابَ مَفْرُقُهُ مِنْ شِدَّةِ الفَرْقِ
وَأَوْشَكَتْ أَنْ تَضِلَّ القَصْدَ زَائِرَةً لَوْلَا أَتْتَنِي فِي بَاقٍ مِنَ الرَّمَقِ
قَالَتْ تَنَاسَيْتِ عَهْدَ الحُبِّ قُلْتُ لَهَا لَا، وَالأَذَى خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ!

والبحور التي نظم بها ابن الخطيب ورصدناها في ديوانه (الكامل والبسيط والخفيف والسريع والوافر والمتقارب والرمل والمنسرح والمجتث والرجز والمديد والمتدارك والعميد) وهذا التنوع أظهر قدراته في تطوير الإيقاعات الموسيقية التي تلاؤم حالاته النفسية، وهذا دليل على أن ابن الخطيب اتجه بأسلوبه إلى مشابه أو قريب لطريقة وأسلوب القدامى في استعماله للبحور الشعرية "لأن القدماء كانوا يميلون إلى الأوزان الكثيرة المقاطع ويؤثرونها على المجزوءات"^(٢).

٢ - القوافي: هي " عدة أصوات تتكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة، وهي بمنزلة الفواصل الموسيقية يتوقى السامع مع تردها ويستمتع مثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة وبعده معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن "^(٣)، وإن التزام الشاعر بالقافية الواحدة متعة موسيقية تطرب لها الأذان، وانقطاع القافية بين بيت وبيت شذوذ يحيد بالسامع عن طريقه الذي اطرد عليه^(٤). وهذا دليل على إدراك الشاعر لأهمية القافية في تأكيد المعنى، فضلا عن ضبط الإيقاع الموسيقي للنص الشعري.

فالنقاد القدماء وضعوا الشروط الأساسية لورود القافية، ويمكن القول إن الحالة النفسية للشاعر تؤثر تأثيرا كبيرا في القافية، وهو يتخيرها بحسب شعوره ووجدانه الداخلي وانفعالاته، كما يختار قافية معينة لغرض معين، فما يصلح في غرض الحماسة لا يصلح لأغراض النسب والغزل، والقافية ليس مجرد قوالب شعرية يضع فيها الشاعر ما شاء من الحروف والأصوات مما ينعكس سلبا على المدى الموسيقي للقصيدة .

(١) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٦٩٠.

(٢) أنيس، موسيقى الشعر، ص ١٩٢.

(٣) أنيس، موسيقى الشعر، ص ٢٤٦.

(٤) ديوب، بنية القصيدة الشعرية عند لسان الدين بن الخطيب، ص ٢٢١.

فقد تبين لنا أن قافية الراء احتلت المرتبة الأولى فقد ذكرها (١١١) في ديوانه من بين قصيدة ومقطوعة وإن حرف "الراء حرف مجهور مكرر يكون أصلاً لا بدلاً ولا زائداً"^(١) يقول ابن الخطيب وهو يذكر ما كتبه على قبر السلطان أمير المؤمنين "أبي الحجاج" يقول^(٢):

يُحْيِيكَ بِالرَّيْحَانِ، وَالرُّوحِ مِنْ قَبْرِ رِضَا اللَّهِ عَمَّنْ حَلَّ فِيكَ مَدَى الدَّهْرِ
إِلَى أَنْ يَقُومَ النَّاسُ تَعْنُو وَجُوهَهُمْ إِلَى بَاعِثِ الأَمْوَاتِ فِي مَوْقِفِ الحَشْرِ
وَأَسْتِ بِقَبْرِ إِنَّمَا أَنْتَ رَوْضَةٌ مُنْعَمَةٌ الرَّيْحَانِ عَاطِرَةٌ النَّشْرِ

وجاء حرف الدال في شعر ابن الخطيب، فذكره (٩٦) مرة، فقد جاء ابن الخطيب بهذه القافية بعد الكائنة العظمى "طريف" يقول^(٣):

قَلْبِي وَسَمْعِي فِي شَغْلِ عَنِ الفَنَدِ فَأَقْصِرِ اللُّومَ عَنِّي اليَوْمَ أَوْ فَرِدِ
قَدْ كُنْتُ أَصْغِي لِمَا تُوجِي إِلَيَّ بِهِ لَوْ كَانَ قَلْبِي قَبْلَ اليَوْمِ طُوعَ يَدِي
وَكَمْ كَتَمْتُ وَأَسْرَرْتُ الهَوَى زَمَانًا طَيِّ الْجَوَانِحِ حَتَّى خَاطَنِي جَلْدِي
وَشِيمَةَ النَّفْسِ إِنْ أَخْفَتْ سَرِيرَتَهَا بَدَتْ شَوَاهِدَهَا يَوْمًا عَلَى الجَسَدِ

وقد استعمل ابن الخطيب قافية الباء فقد ذكرها (٨٠) مرة ، وقيل في فيها " لم نجد ما هو أصلح منه لتمثيل الأشياء والأحداث التي تنطوي معانيها على الاتساع والضخامة والارتفاع"^(٤)، فهو غني بالرنين لمزايه التي يتمتع بها في أنه شديد الانفجار^(٥) يجد الشاعر فيه متنفساً للموقف النفسي العنيف في الحال التي يرغب إيصال صوته، فنجد ابن الخطيب يذكر هذه القافية وهو في مجلس وعظ ، فيقول^(٦):

صَحْتُ بِالرَّبْعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَمْضِي الغَرِيبُ
وَبِجَنبِ الدَّارِ قَبْرٌ خَصِيبٌ مِنْهُ يَسْتَسْقِي المَكَانَ الجَدِيبُ
عَابَ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ التِمَاحِي قُلْتُ: هَذَا القَبْرُ فِيهِ الحَبِيبُ

(١) ابن جني، أبي الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥، ج١، ص١٩١.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٩٨.

(٣) ديوان ابن الخطيب ١ / ٢٧٤.

(٤) عباس، حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها - دراسة - منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م، ج١، ص١٠٠.

(٥) الانفجارية: وهي الحروف التي عند النطق بها "يضيق معها مجرى النفس". إستيتية، سمير شريف، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار الأوتل، عمان، ٢٠٠٢م، ص٢٣.

(٦) ديوان ابن الخطيب ١ / ١٥٤.

وهناك قوافٍ أخرى قد استخدمها ابن الخطيب (اللام والنون والقاف والحاء والعين والجيم والفاء وغيرها، وليس من الضروري إيراد أمثلة عليها.

ثانياً: الموسيقى الداخلية (الإيقاع الداخلي)

أخذ الإيقاع الداخلي مكانة مميزة في القصيدة العربية، مما جعل النقاد يهتمون بهذا الإيقاع من خلال تأثيره في الوزن والنغمات الموسيقية للمفردة المستخدمة، فالإيقاع الداخلي "موسيقى خفية تنبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما فيها من تلاؤم في الحروف والحركات، وكأن للشاعر أدنا داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع كل شكله، وكل حرف وحركة بوضوح تام"^(١). ويكون ذلك من خلا تكرار الألفاظ أو الحروف في القصيد.

أما التصريع يعني " تصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها"^(٢)، وقد ظهر نوع آخر من القوافي وهو (القافية المزدوجة)^(٣) وفي هذه القافية " يعتمد الشاعر على تصريع أبيات القصيدة جميعها، وأميز ما يكون ذلك في الأراجيز"^(٤)، ومن القوافي المزدوجة التي رصدناها خلال تناولنا قوافي ابن الخطيب قوله^(٥):

جَاءَتْكَ تَعْرِفُ بِالشَّمِيمِ سُرَاهَا كَرُمْتَ عَنَاصِرُهَا وَطَابَ ثَرَاهَا
لَمَّا بَعَثْتُ بِهَا تَوَرَّدَ خَدُّهَا وَأَحْمَرَّ مِنْ حَجَلٍ لَدَيْكَ عَرَاهَا
فَأَفْرَأَ عَلَيْهَا عُودَةَ لِحَمَالِهَا وَاجْعَلْ لِقَاءَكَ بِالْقُبُولِ قِرَاهَا

القافية في هذه الأبيات تمثل(القافية المزدوجة)؛ لأن ابن الخطيب جعل المقطع الصوتي مزدوجاً في البيت الواحد بين نهاية صدره ونهاية عجزه، والمقطع هو(ها) أي الهاء والألف في الشطرين، وجاء التصريع في بداية القصيدة إلى نهايتها على الرغم من أن ابن الخطيب كان في الأغلب يتبع منهج الشعراء القدماء في التصريع؛ لأن الشعراء كانوا يصرعون مطالع قصائدهم لتقوية القافية ويسمى (بيت مصرع)، وقد ورد التصريع في مطالع قصائد ابن الخطيب كما ورد

(١) ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م، ص ٩٧.

(٢) جعفر، قدامة (ت ٣٣٧هـ)، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٥١.

(٣) القافية المزدوجة : هي القافية التي يكون المقطع الصوتي مزدوجاً في كل بيت من شطره وعجزه. علي، عبد الرضا، العروض والقافية، دراسة وتطبيق بشعر الشطرين، والشعر الحر، مديرية الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٩م، ص ١٥٤-١٥٥.

(٤) خلوصي، صفاء، فن التقطيع الشعري والقافية، ط ٦، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م، ص ٢٨٨.

(٥) ديوان ابن الخطيب ١ / ٤١٣.

بداخل القصيدة نفسها، فنرى ابن الخطيب قد استخدم شعراً فيه تصريح وأصوات مكررة، يقول(١):

تَرْفَعُ عَنْ سُلْطَانِ لِحْظِكَ حَاجِبُهُ وَمِنْ مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ، يُعْجَبُ عَاجِبُهُ
وَمَا هُوَ إِلَّا قَائِمٌ فَوْقَ رَأْسِهِ يُوفَى لَهُ مِنْ مَنَصِبِ الْمُلْكِ وَاجِبُهُ

فمن الناحية الفنية عمد الشاعر إلى التصريح، فقد صرح بين (حاجبه ، عاجبه) مما أحدث شيئاً من التساوي في الميزان الموسيقي، وأسهم في إيضاح تلك الشدة في الحرف (الجيم) الذي امتاز بالشدة والجر، وإن كل لفظة تحمل في طبيعة صياغتها نغماً موسيقياً ناتجاً عن جرس أصواتها ويميزها عن غيرها، فالجرس يعد خاصية ذاتية محسوسة في البناء اللفظي، من خلال تباين أجراس حروفها التي بنيت عليها اللفظة .

وفي هذا الموضع عمدنا إلى تحليل بعض أشعار ابن الخطيب على وفق الصور الفنية، فيقول(٢):

جِهَادٌ هَوَى لَكِنْ بَغَيْرِ ثَوَابِي وَشَكْوَى جَوَى لَكِنْ بَغَيْرِ جَوَابِي

.....
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا مَرَابِعُ الْأَفْيِ وَعَهْدِ صَحَابِي
وَيَا آسَةَ الْعَهْدِ، أَنْعَمِي فَلَطَّالَمَا سَكَبْتُ عَلَى مَثَوَاكِ مَاءَ شَبَابِي

.....
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْوَفَاءَ سَجِيَّتِي إِذَا شَحَطْتُ دَارِي وَشَطَّرِ كَابِي

.....
وَأُضْحِي وَمِحْرَابُ الدُّجَى مُتَهَجِّدِي وَأَمْسِي وَمَاءُ الرَّافِدِينَ شَرَابِي
وَتَضْحَكُ مِنْ بَغْدَادَ بِيضُ قِبَابِهَا إِذَا مَا تَرَاءَتْ بِالسَّوَادِ قِبَابِي

.....
يَقُولُونَ لِي حَتَّامٌ تَنْدُبُ فَايْتًا فَقُلْتُ وَحُسْنُ الْعَهْدِ لَيْسَ بِعَابِ؟

يبين هذا النص الشعري معاناة الشاعر، والأشجان التي يحملها، ويصور لنا صورة نابغة من أعماقه، ثم تساءل ألم تعلموا أن الوفاء سجيتي ؟ وهو يتعهد أنه باق على عهده حتى وإن ذهب داره وشط ركابه، ويشبه مدينته ببغداد ومائها بماء الرافدين في المذاق، وهذا دليل على سمو النفس وحسن الخلق .

(١) ديوان ابن الخطيب / ١ / ١٥٢ .

(٢) ديوان ابن الخطيب / ١ / ١٥٥-١٥٦ .

أما الألفاظ فقد جاءتْ لشدِّ المُتلقّي، وتبين لنا حجم المأساة، وهذا ناتج من أن الشاعر قد ركب موسيقاه في الألفاظ وارتباطها ببعض، واتساقها بحيث تشكل مجموعها الإيقاع العام، فالجو الموسيقي الذي تحدّثه الألفاظ عند النطق بها، من أهم المنبهات المثيرة، كما أن لها إحياءً نفسياً .

فضلاً عن ذلك فقد توجه إلى التصريع، والجناس، والتكرار بنوعيه اللفظي والصوتي، والطباق، ووازن أيضاً بين الألفاظ، فما جاء به في حديثه عن هذه الأنواع من البديع يشهد بأنه أولع بموسيقى التركيب، وعدها مقياساً له، وصرح بين (ثواب، جواب) على استواء اللفظتين ذات الموقع الأخير من كل شطر في الوزن والقافية إذ عزز أهمية مطالع القصيدة، ف جاء المصراع الأول مستقلاً بنفسه فلا يحتاج إلى ما يليه، وكذلك جانس بينهما، وجانس بين (المعاهد، العهد) (هوى، جوى) وكرر في قوله (العهد) أكثر من مرتين وذلك تأكيد على أنه باق على عهده ووفائه، وكرر لفظة (قباب) أيضاً، واستعمل التكرار الصوتي إلى جانب اللفظي فقد كرر الصوت (الجيم) وهو من الحروف المجهورة الشديدة لما لها من وقع على النفس، والذي يوحي بالتعب والإرهاق، فقد استعمل الشاعر رد العجز على الصدر، في قوله (بغير) إذ جاءت اللفظتان في البيت متفتحتين في الصورة؛ لأن اللفظتين قد تكونان في معنى واحد ومن مادة واحدة، وقد يكون كل منها من مادة^(١)، وكذلك عمد على الطباق فطابق بين (أضحى ، أمسى)، (بيض ، السواد) محدثاً نقلة إيقاعية من خلال المطابقة التي أحدثت نوعاً من النبر العالي والشدة العالية، فصور الشاعر المشهد من خلال عنصر التضاد والطباق بينهما، ليظهر مقدرته في التغلب على الصعاب، وبهذا أثبت الشاعر استعماله للبديع من خلال الجناس والتضاد والتكرار ٠٠٠ إلخ .

وأشدد ابن الخطيب قائلاً لصاحب المغرب^(٢):

"عَبْدُ الْعَزِيزِ"^(٣) خَلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي ظَفِرَ الْهُدَى مِنْهُ بِفَوْزِ قِدَاجِهِ
حَيَا بِهَا وَطَنَ الْجِهَادِ تَحِيَةً أَبَدَتْ عُهُودَ نَشَاطِهِ وَمَرَاكِه

جَدَدَاتَ عَهْدِ أَبِيكَ فِي إِمْدَادِهَا لَمَّا قَبَسْتَ الثُّورَ مِنْ مِصْبَاجِهِ
لَا زَالَ سَعْيُكَ فِي الْخَلَافَةِ نَاجِحاً تَسْتَمِطِرُ الدُّنْيَا مَهَبَّ رِيَاكِه

(١) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج ٢، ص ٥٦.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١/ ٢٤٩- ٢٥٠.

(٣) عبد العزيز أحمد بن إبراهيم هو أبو فارس المريني (٧٥٠- ٧٧٦ هـ) الملقب بالسلطان المستنصر بالله من ملوك الدولة المرينية، بايعه بنو مرين وأعيان الدولة (آخر سنة ٧٦٧هـ) ومات بفاس . الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ٢، ص ١٢٩-١٣٠. الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١٣.

إذا نظرنا إلى الصورة الفنية فإننا نرى أن الشاعر شبه صاحب المغرب بخليفة الله الذي ظفر الهدى والتقوى، وكذلك شبهه بأبيه لاقتباسه من نوره، أما الألفاظ فقد جاءت مناسبة للحديث الشعري؛ لأن الألفاظ لها دور كبير في إنشاء الدلالة من خلال ما تثيره من إحياءات وتخيل في ذهن السامع .

فإن الشاعر اهتم بضبط الألفاظ، من خلال انسجامها الصوتي نتيجة لتلاؤم أجراس حروفها في اللفظة الواحدة، وتلاؤمها مع أخواتها في السياق؛ لأن السياق " إن كان فخماً كانت ألفاظه فخمة، وإن كان غريباً كانت ألفاظه غريبة، وإن كان متوسطاً بين الغرابة والاستعمال فألفاظه كذلك " (١) وقد أتى بالتكرار اللفظي، كرر (عهد) في عدة مواضع، وبصيغ مختلفة؛ وذلك لبيان سمة الوفاء في سجية السلطان، ونجاحه في خلافة أبيه.

ويُنشد للسلطان في عيد الأضحى ويشكره لأجل نعمة أعادها، ويذكر وفاءه بالعهد قائلاً (٢):

أَعَدَّتْ لَنَا مِنْ عَهْدِ أَسْلَافِكَ الرَّضَا عُهُودًا، فَيَا طَيْبَ الْوِصَالِ عَلَى الْهَجْرِ
وَجَدَدْتِ فِينَا نِعْمَةً طَالَ عَهْدُنَا بِهَا فَاجْتَلَيْنَا غُرَّةَ الزَّمَنِ النَّضْرِ

إن الوفاء بالعهد هو الضمان الوحيد لإبقاء الثقة في التعامل بين الناس وبين الحاكم والمحكوم؛ وبدونه لا يقوم المجتمع، فهنا شبه الشاعر السلطان بـ (طيب الوصال) وعمد إلى التكرار اللفظي في قوله (عهد) ليؤكد سمة الوفاء لدى السلطان؛ لأنه أوفى بعهوده، وكذلك الشاعر كرر حرف (العين) فالعين صوت مجهور، وقد جاء تكراره لأجل أن يتناسق مع التعبير عن حالته النفسية وما يهدف إلى تحقيقه، وكذلك جاء ليُعبّر عن انفعالات كامنة في داخله لتتحول إلى طاقة صوتية مدوية تمتاز بالجهر وتعبّر بصدق؛ لأنها تسهم في إبراز المعنى والصوت في وقت واحد .

الشاعر يخاطب بعض أصدقائه قائلاً (٣):

أَجَدَّ ادَّكَارَ الْعَهْدِ، وَالْعَهْدُ شَاسِعٌ وَحَلَّ عَرَى الْأَجْفَانِ، فَهِيَ مَحْوُلٌ
وَهَاجَ ضِرَامًا لِلتَّشْوُقِ مَا حَبَا فَيَا لَبْلِيلِ ثَارَ عَنْهُ غَلِيلٌ!

رَعَى اللَّهُ قَلْبِي مَا أَتَمَّ وَفَاءَهُ إِذَا نَزَحَتْ دَارٌ، وَبَانَ حَلِيلٌ!
مُقِيمٌ عَلَى رَعِي الْعُهُودِ عَلَى النَّوَى كَفَى الْقَلْبَ دَمًّا أَنْ يُقَالَ مَلُولٌ!
وَلَا تُجْرِيَا نِكْرَ الْفِرَاقِ فَإِنَّهُ حَدِيثٌ عَلَى سَمْعِ الْعِدَاةِ نَقِيلٌ

(١) لاشين، عبد الفتاح، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٥١.

(٢) ديوان ابن الخطيب ١ / ٣٧٧.

(٣) ديوان ابن الخطيب ٢ / ٤٨٠.

يصور الشاعر العهد القديم الذي عقده، ويؤكد التزامه به، فنرى الشاعر أكد لفظة (العهد) وكررها في القصيدة، فضلاً عن ذلك تبرر لنا قيمة وجمالية النص، وهو بذلك يعبر عن ألم ومرارة الفراق؛ واستعمل الشاعر الحرف (القاف) في أكثر من مرة في ألفاظ (القلب، الفراق، تشوق، قلبي ، مقيم ، ثقيل)؛ وذلك لأن (القاف) من أصوات القلقللة الشديدة، وهو يعبر عن معاناة الشاعر، وما في داخله من لوعة وحسرة إلى جانب تكرار لحرفي (الباء ، العين) ليزيد النص من النغم الموسيقية التي تنسجم مع دلالة البيت، فقد جمع الشاعر بين الشدة والرخاوة؛ مما أكد على صفة الوفاء مع اضطراب الحالة النفسية للشاعر.

الخاتمة :

خلصت في هذه الدراسة إلى تقديم صورة عن المضامين التراثية في شعر لسان الدين بن الخطيب والتي توصلنا إليها وما تضمنته من استنتاجات على النحو الآتي :

١- جاء ميل ابن الخطيب في الاقتباس القرآني إلى الإشاري بالدرجة الأساس الذي يمنح الشاعر حرية أكثر في التعامل مع النصوص في الحذف والزيادة والتقديم والتأخير واستبدال بعض الألفاظ أكثر شيء في ديوانه، أما اقتباس جزء النصي جاء بالدرجة الثانية، في حين جاء الاقتباس النصي نادراً، وذلك لعدم انسجام أغلب الآيات القرآنية مع وزن الأبيات الشعرية لطولها من جهة، وتحريم المذهب المالكي - الذي كان سائداً في الأندلس - للاقتباس النصي من جهة أخرى.

٢- وظف ابن الخطيب القصص القرآنية توظيفاً دينياً في شعره ليؤكد عمق تأثيره بالتراث الديني من خلال إعادة تلك التجارب في سياق التشكيل الفني للألفاظ والمعاني والأفكار، التي تدخل ضمن حدود القرآن الكريم.

٣- ضمن الحديث النبوي الشريف بصيغة الاقتباس الإشاري فقط.

٤- استدعى المضامين التاريخية في نطاق الأنساب والقبائل لإثبات أصالتها العربية وانتمائها إلى هذه الأمة، ومن أكثر القبائل حضوراً في شعره قبيلة الخزرج .

٥- استدعاء شخصيات ما قبل الإسلام استدعاءً للقيم منها شخصية حاتم الطائي للكرم وعنصرة للشجاعة وقس بن ساعدة للفصاحة.

٦- استدعائه للشخصيات الإسلامية واستلها مضمينها الدينية، ومن الشخصيات التي استدعاها ابن الخطيب بكثرة شخصية سعد بن عباد؛ ولعل السبب هو انتماء بني الأحمر لهذه الشخصية.

٧- ولم يقتصر استدعاؤه للشخصيات الإيجابية بل استدعى بعض الشخصيات السلبية في التعبير عن المكر والخديعة والعدو والخيانة والكفر والكذب، ومن تلك الشخصيات (مسيلمة الكذاب).

٨- جاء استدعاؤه لعرائس الشعر استدعاءً لحبيبات الشعراء التي ذاع صيتهن على مرّ العصور والتي وظفها الشعراء رمزاً عن أسماء حبيباتهم أو تزيينا لأشعارهم ولاستمالة القلوب اليهم، ونجد ابن الخطيب قد استخدمها رمزاً في الشوق إلى الأراضي المقدسة فيذكر (سلمى) كناية عن (قُبا) المدينة التي شيد بها أول مسجد في الإسلام .

٩- وظف الأيام والوقائع في عصر ما قبل الإسلام للتعبير عن الانتصارات واستنهاض الهمم، ولا سيما فيما حدث من وقائع ومعارك ما بين العرب انفسهم مثل (جفر الهبأة)، أو بين العرب وغيرهم مثل (يوم ذي قار)؛ لأجل الحديث عن صروف الدهر ونوائبه، فضلاً عن استدعائه للوقائع الإسلامية في تشبيهه للانتصارات واستنكاراً لأمجاد الإسلام.

١٠- استدعى الأماكن التاريخية؛ لأنها تمثل الحضارة العربية في الإبداع العمراني ومنها (قصر غمدان)، كما استدعى المدن المشرقية التي اشتهرت بالحضارة مثل (بغداد وبابل ومصر والشام)، وزاد تركيزه على الأماكن الدينية المقدسة مثل (مكة وعرفات ومنى وزمزم والحطيم)، فضلاً عن توظيفه لأسماء الجبال ومنها (رضوى، وثهلان)، ليكوّن وسيلة ارتباط بالمشرق الذي يعده أصله النابع منه والباحث عنه.

١١- تضمين التقاليد والعادات الاجتماعية الإيجابية المتمثلة بالكرم والشجاعة مع تضمين بعض القيم والمعتقدات التي تدور في محور التفاؤل والتشاؤم مثل التمام والحرز.

١٢- وظف ابن الخطيب الأساطير في التعبير عن علاقة الإنسان بما يحيط به من الكون والأشياء المجهولة، فمنها أساطير الكواكب والنجوم، إذ حاول إيجاد علاقة بين تلك الكواكب وسبب وجودها في عصر ما قبل الإسلام، فضلاً عن استدعائه أساطير الطيور منها (طائر العنقاء، وهديل الحمام، والغراب) وجاء تضمينه لهذه الأساطير ليس من باب الإيمان بمعتقداتها وإنما استلهمها على أنها جزء من تراثه الذي يستمد منه الأفكار والمعاني.

١٣- أما الأمثال فقد جاء المثل النصي أقل من الإشاري بالرغم من أن المثل عبارة محكية تقال كما هي، ولا يجوز تغييرها، ولكن الشاعر قد أعاد صياغتها لكي تتلاءم مع نصوصه الشعرية مستلهمها منها دلالة المثل، ولعل إكثاره من المثل الإشاري، يعود إلى ما يمنحه هذا المثل من حرية الصياغة في التعامل مع الأمثال وإعادة صياغتها بما يتوافق مع نصه الشعري.

١٤- جاء تضمين ابن الخطيب للمضامين الأدبية من الشعر المشرقي، وتبين إعجابه بموروثه الأدبي ولاسيما الشعر، فضلاً عن محاولته للتقرب منه ومحاكاته.

١٥- تنوع الصورة الشعرية في شعره، واتباعه أسلوب القدماء في أنماط تشكيلها وبرزت الصورة البلاغية القائمة على التشبيه والجناس والتورية وغيرها.

١٦- عبرت الموسيقى الخارجية في شعر ابن الخطيب عن تجربته الشعرية، باستعماله للبحور الخليلية التي سار عليها بوصفها تمثل الموروث الشعري القديم، وعدت القافية الركيزة الأساسية

التي استند إليها، وتنوعت القوافي لديه، كما سار على نهج الشعراء القدماء عندما أورد التصريح في أغلب قصائده ، فضلا عن التناسب الصوتي بين الحروف ومخارج أصواتها مما أنعكس على الإيقاع الداخلي لشعر ابن الخطيب، وسار على تقوية الإيقاع الداخلي بأساليب منها التكرار مما أدى إلى إثارة الحماس في ذهن المتلقي، وهذا ما سار عليه الشعراء جميعا قديما وحديثا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وعلى اله وصحبه وسلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

- ١- إستيتية، سمير شريف، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار الأوائل، عمان، ٢٠٠٢م.
- ٢- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٣- الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين، نثر الدر، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ٤- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٥- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصرالله (ت ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت (د.ت).
- ٦- الأحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.
- ٧- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- ٨- الأصفهاني، لأبي الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ط٣، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ٩- الأنصاري، زكريا، (ت ٩٢٦هـ)، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ١٠- أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ط٢، منشورات مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م.
- ١١- الأوسي، حكمة علي، الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ١٢- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، (ت ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسنته وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ٢٠٠١م.

- ١٣- البدرى، حكمة فرج، معجم آيات الاقتباس، دار الحرية للطباعة، ودار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
- ١٤- البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٧٨هـ) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٢م.
- ١٥- البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٦- البلادي، عاتق بن غيث (ت ١٤٣١هـ)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر، مكة المكرمة، ١٩٨٢م.
- ١٧- بهجت، منجد مصطفى، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢هـ - ٨٩٧هـ)، ط٢، دار ياقوت، عمان، ٢٠٠١م.
- ١٨- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار أحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
- ١٩- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- ٢٠- التكريتي، أسماء صابر جاسم، المضامين التراثية في شعر أبي العلاء المعري (دراسة موضوعية فنية)، دار غيدان، عمان، ٢٠١١م.
- ٢١- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، كتاب خاص الخاص، شرحه وعلق عليه: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
- ٢٢- الثعلبي، ابن أسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٢٣- الثعلبي، ابن أسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٢٤- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٢٥- الجبوري، جمعة حسين يوسف، المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين، عمان، دار صفا، عمان، ٢٠١٠م.
- ٢٦- الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

- ٢٧- ابن جني، أبي الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥.
- ٢٨- حَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن الميداني دمشقي (ت١٤٢٥هـ)، **البلاغة العربية**، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٦ م.
- ٢٩- الحجبي، عبدالرحمن علي، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢هـ - ٨٩٧هـ)**، ط٢، دار القلم، بيروت، ١٩٨١ م.
- ٣٠- حداد، علي، **أثر التراث في الشعر العربي الحديث**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦ م.
- ٣١- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ٣٢- الحلبي، شهاب الدين (ت٧٢٥هـ)، **حسن التوصل إلى صناعة الترسل**، تحقيق، أكرم عثمان يوسف، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٠ م.
- ٣٣- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (٥٧٤ - ٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧ م.
- ٣٤- الحميدي، محمد بن فتوح، (ت٤٨٩هـ)، **جنوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩.
- ٣٥- ابن حنبل، أحمد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩ م.
- ٣٦- الحنفي، جلال، **العروض - تهذيبه وإعادة تدوينه**، ط٣، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١ م.
- ٣٧- الحوفي، أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، ط٤، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٦٢ م.
- ٣٨- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ)، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١ م.
- ٣٩- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩ م.
- ٤٠- الخراز، خالد بن جمعة بن عثمان، **موسوعة الأخلاق**، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ٢٠٠٩ م.

- ٤١- الخراشي، سليمان بن صالح، **المنتقى من أمثال العرب وقصصهم**، دار القلم ، الرياض، ٢٠٠٧م.
- ٤٢- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله بن سعد بن أحمد السلماني، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٤٣- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني، **ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام**، دراسة وتحقيق: محمد الشريف قاهر، منشورات الشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٧٣م.
- ٤٤- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني. **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣.
- ٤٥- ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام**، ط٢، تحقيق: ليفي بروفنسال، منشورات دار الكشوف، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٤٦- ابن الخطيب، لسان الدين، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، صححه ووضع فهرسه، محبّ الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٨م.
- ٤٧- ابن الخطيب، لسان الدين، **رقم الحلل في نظم الدول**، ط٤، علق عليه: عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠م.
- ٤٨- ابن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**: تحقيق: أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د.ت).
- ٤٩- ابن خلدون، أبي زكريا يحيى بن أبي بكر، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق: الفريد بل، الجزائر، ١٩١٠م.
- ٥٠- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، المعروف بتاريخ ابن خلدون، ط٢، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٥١- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ط١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.
- ٥٢- خلوصي، صفاء، **فن التقطيع الشعري والقافية**، ط٦، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
- ٥٣- الدميري، أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى ، (ت ٨٠٨هـ)، **حياة الحيوان الكبرى**، تصحيح: حسن الهادي حسين، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، ١٨٥٥م.

- ٥٤- ديوان أبو تمام، ط٢، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
- ٥٥- ديوان أبي العلاء المعري، سقط الزند، ط٢، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار المكتبة العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ٥٦- ديوان الحطيئة: تحقيق: عيسى بابا، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م.
- ٥٧- ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعو، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٥٨- ديوان المتنبي مع فهارسه ومعانيه، فهرسه وشرحه: عبود أحمد الخزرجي، المكتبة العالمية للنشر، بغداد، ١٩٨٨م.
- ٥٩- ديوان امرئ القيس، ط٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.
- ٦٠- ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٦١- ديوان لبيد بن ربيعة، اعتنى به حمدو بن طماس، دار المعارف، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ٦٢- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلطاني، صنعه وحققه: محمد مفتاح، الدار البيضاء ودار الثقافة، ١٩٨٩م.
- ٦٣- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٦٤- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٦٥- الراوي، مصعب حسون، الشعر العربي قبل الإسلام بين الانتماء القبلي والحس القومي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م.
- ٦٦- الربيعي، أحمد حاجم، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١م.
- ٦٧- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، ٢٠٠٤م.
- ٦٨- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٦٩- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، المستقصى في أمثال العرب، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- ٧٠- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٧١- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ)، **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٧٢- الشايب، أحمد، **أصول النقد الأدبي**، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣م.
- ٧٣- الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط١٧، مكتبة الآداب، جامع الأزهر، ٢٠٠٥م.
- ٧٤- الصلابي، علي محمد، **دولة الموحدين**، دار البيارق، عمان، ١٩٩٨م.
- ٧٥- صليبيا، جميل، **المعجم الفلسفي**، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.
- ٧٦- الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (ت١٧٨هـ)، **أمثال العرب**، ط٢، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٧٧- ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ط١٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ٧٨- ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس**، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ٧٩- ضيف، شوقي، **في النقد الأدبي**، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.
- ٨٠- ابن طباطبا، محمد أحمد العلوي (ت٣٢٢هـ)، **عيار الشعر**، تحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
- ٨١- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ٢٠٠١م.
- ٨٢- الطوخي، أحمد محمد، **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، ١٩٩٧م.
- ٨٣- عاشور، سعيد عبد الفتاح، **المجتمع المصري في عصر السلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ٨٤- العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين (ت١٠٣١هـ)، **الكشكول**، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٨٥- عباس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها - دراسة - منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م.**

- ٨٦- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله النميري (ت ٤٦٣ هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٨٧- عبد المطلب، محمد، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٥م.
- ٨٨- عبد ربه، أبو عمر أحمد الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ)، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.
- ٨٩- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، ٢٠٠٥م.
- ٩٠- العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
- ٩١- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.
- ٩٢- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ)، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٩٣- العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٩٤- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٩٥- علي، عبد الرضا، العروض والقافية، دراسة وتطبيق بشعر الشطرين، والشعر الحر، مديرية الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٩م.
- ٩٦- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العسكري الدمشقي (ت ١٠٨٩ هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ٩٧- عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام، عصر المرابطين والموحدين، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ٩٨- عنان، محمد عبدالله، لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٩٩- عيد، يوسف، دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والإعلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ٢٠٠٦م.

- ١٠٠- ابن فارس، أبي الحسين أحمد (ت ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، سورية، ٢٠٠٢م.
- ١٠١- قادر، عزيز، حرب الأفكار، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨م.
- ١٠٢- القالي، أبو علي إسماعيل بن قاسم (ت ٢٥٦ هـ)، الأمالي، دار الكتب العالمية، بيروت، ١٩٢٦م.
- ١٠٣- القرطاجني، أبو الحسن حازم (ت ٦٨٤ هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق : الحبيب ابن الخواجة، دار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م.
- ١٠٤- القزويني، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، ط٤، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٨م.
- ١٠٥- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- ١٠٦- قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م.
- ١٠٧- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق : يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م.
- ١٠٨- القيرواني، ابن رشيق أبو علي الحسن (ت ٤٦٣ هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ط٥، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.
- ١٠٩- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن الكريم، تحقيق ، محمود حسن، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.
- ١١٠- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية ، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، مصر، ١٩٩٧م.
- ١١١- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ)، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار التأليف، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ١١٢- كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م.
- ١١٣- كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل، ترجمة : سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.
- ١١٤- لاشين، عبد الفتاح، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٩٩م.
- ١١٥- ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله (ت ٢٧٣ هـ)، سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر، بيروت (د.ت).

- ١١٦-مبارك، زكي، **النثر الفني في القرن الرابع الهجري**، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٣٦م.
- ١١٧-مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط٢، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، إستنبول، ١٩٨٩م.
- ١١٨-المقري، أحمد التلمساني، **نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
- ١١٩-الملائكة، نازك، **قضايا الشعر المعاصر**، ط٣، دار النهضة، مصر، ١٩٦٧م.
- ١٢٠-ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م.
- ١٢١-ابن منقذ، الأمير أسامة (ت٥٨٤هـ)، **لباب الآداب**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الدار السلفية لنشر، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ١٢٢-الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- ١٢٣-الناصرى، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد (ت١٣١٥هـ)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.
- ١٢٤-ابن النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت٣٣٨هـ)، **إعراب القرآن**، ط٣، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.
- ١٢٥-النميري، حسن محمود موسى، **دنيا الحيوان في التراث العربي**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٨م.
- ١٢٦-النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١٢٧-النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم (ت٢٦١هـ)، **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥م.
- ١٢٨-اليافعي، أبو محمد عفيف الدين، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ١٢٩-ابن يعلى، أحمد بن علي بن المثنى (ت٣٠٧هـ)، **مسند أبي يعلى**، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م.

الرسائل والأطاريح الجامعية .

- ١-ديوب، طلال علي، بنية القصيدة الشعرية عند لسان الدين بن الخطيب، (رسالة ماجستير) جامعة تشرين، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٧م .
- ٢-رزق، عبد المنعم السيد الشحات، المسائل البلاغية بين ميثم البحراني وابن سنان الخفاجي، (رسالة ماجستير)، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، المنصورة، ٢٠٠٠م.
- ٣-العزاوي، فائزة رضا شاهين، المضامين الدينية والتراثية في الشعر الأندلسي في القرن الرابع الهجري، (رسالة ماجستير)، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، العراق، ٢٠٠٤م.
- ٤-العقيلي، فوزية عبدالله محمد، الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي، (أطروحة دكتوراه) جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٠م.
- الكوسا، عبير فايز حمادة ، اللون في الشعر الأندلسي، (رسالة ماجستير) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البعث، سورية ، ٢٠٠٧م.
- ٥- المالكي، سعيد بن مسفر سعيد العاصمي، المدحة في شعر لسان الدين بن الخطيب الغرناطي (ت٥٧٧٦هـ) ، البعد التشكيلي، (رسالة ماجستير)، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢م.

البحوث والدراسات :

- ١- اسليم، فاروق، مفهوم الشعر وبواعثه في ديوان لسان الدين بن الخطيب، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ٢٣، العدد الثاني، الجمهورية السورية، ٢٠٠٧م .
- ٢- البياتي، عادل جاسم، منابع الثقافة الأولى للشاعر الجاهلي، مجلة بغداد، العدد(٤) ١٩٧٥م.
- ٣- الساسي، عامرة، مفهوم التصوف وتطوره، بحث منشور في مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، مطبعة منصور، العدد ٤، مارس، الجزائر، ٢٠١٢م.
- ٤- التازي، عبد الهادي، ابن الخطيب سفيراً ولاجناً سياسياً، مجلة كلية الآداب بتطوان، المغرب، عدد (٢) لسنة ١٩٨٧م.
- ٥- القرشي، سليمان، مفهوم الشعر عند لسان الدين بن الخطيب، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثامنة، العدد الثاني والثلاثون، مطبعة دبي، الإمارات المتحدة، ٢٠٠١م.

الأنترنت :

١ - الفيافي، عابر، التورية في الشعر الأندلسي، منتديات نور الاستقامة، noor-alestiqamah.com، تاريخ الدخول، ٢٩ / ١٠ / ٢٠١٥ .

Abstract

Manifestations of the Contents of Heritage in the Poetry of Ibn al-Khatib

Prepared by: Kamel Shehab Mohammed Al-Juboury

Supervision by Dr. Buthainah Al-Qudah

This study aimed the title of manifestations of contents heritage, it also investigated the heritage of the effects in the poetry of Ibn Al-Khatib and identify the contents by defining the relationship between the influential and affected, and disclose how it has handled these contents which have served the poet, it was found that religious source - the Koran and stories of the Prophet, the Hadith - is the main source of the heritage of the poet, and literary quote clearly appeared in his divan and in this clear indication of the culture of the poet, and capacity briefed on the writing of others.

This study was divided into the booting and four chapters and a conclusion, the researcher showed in the boot the biography of the poet's life, then briefly showed its effects.

The first chapter contained religious content, and singled out by quoting from the Koran and Koranic stories and how poet dealt with them, then the Hadith, relying on the text and quote the reference technique.

The second chapter dealt with the historical implications of the study in three sections, the researcher discussed in the first section to call the tribes and historical place, and singled out the second topic recall facts and figures and historical events, while the third section the researcher studied the recall literary categories and poetry brides.

Third quarter included on the social implications and the three first sections singled out the customs and traditions and social positive and

negative, and the second in which the researcher examined the myths that summoned Ibn al-Khatib of heritage and not a matter of faith, and singled out the third section parables inspired them wisdom and compared to the case of a similar case.

And then the researcher moved to fifth chapter who specialized in the study of artistic vision two topics touched first section to the technical imaging methods such as metaphor and alliteration and puns and contrast, while the second section has studied the rhythm of internal and external music.

The final comes at the end of the study to summarize the vision researcher about all that has been studied, and through the presentation of the findings.